

الجاسوسية
بقلم : هانز برندورف
ESPIONAGE
By: H. BERNDORFF

الجاسوسية

بقلم

هانز رودولف برندورف

ESPIONACE

By:

H. R. BERNDORFF

١٩٦٤

مقـــــدمة

على ضوء عود الثقاب الذى اشعلت به لفافتي بانت لى سمات وجهه واضحة وألقيت عود الثقاب بعيدا ، فغاب الوجه فى الظلام ، ولكن الملامح بقيت ماثلة فى ذهنى ، كانت عيناه تشعان بضوء الخبرة والتجربة وكانت ترتسم على وجهه ابتسامة خفيفة ولكن ويلات الحرب قد تركت آثارها عند ركنى فمه .

ورفعنا كأسينا لنشرب الكوكتيل نخب رجال المدفعية فى كلا الجانبين المتضادين ، وشربنا بهدوء وبقيت الكاســان فارغتين امامنا على حين راح الساقى يتجول بين الموائد فى مطعم أدلون فى برلين .

كان زميلى هانز رودولف بيرندروف من مدفعية الميــدان (ميتز) الرابعة والثلاثين وكان يقول بهدوء : بقيت فى هذه البطارية من مدفعية الميدان الى أن أصبحت ضابطا فى جيش ولى العهد ـ اما بعد ذلك :

وسكت زميلى دون أن يكمل عبارته وأدركت أن تفكيره قد عـاد الى الوراء الى عالم الاحداث السرية الرهيبة ـ وفجأة سألنى : ماذا اصــاب ترينش ؟ فقلت له المسكين ترينش : اظن أنك تفكر فى بوركوم وفى لغز الرمال ؟ The Riddle of the Sand

فقال لى .. نعم .. ولكننى افكر أيضا فى آن مارى التى استحوذت على كل تفكيره بجمالها ولطفها وكيف كانت أعظم جاسوسة بل انهــــا أعظم من « هـ ٢١ » H - 21

وكان صوت بيرندورف ينم عن اعجابه العميق ، وكنت أراقبه بعين نصف مغلقة ، لقد كان رجلا لا يخطئه الحدس فى انه عاش بين الاخطار

وواصل حديثه قائلا : اننى استطيع أن اكتب عن آن مارى فان قلم المخابرات عندكم لا يعرف شيئا عنها وحتى اقدر جواسيسكم العجـوز

لا يعرف عنهـا الا القليـل بالرغم من انه لا بد أن يكون قد وقف على مغامراتها • وهو يستطيع أن يروى عنها قصصا جديدة كالتى أعرفها عنها•

فقلت له : فقط لو أمكننا أن نجعله يفعل ذلك ••

ودار الحديث بيننا عن « ش » وعن بيرترام ستيوارت ورايلي وشولتس وجروس ورينهارت وغيرهم • وتكلم بيرندورف عن نيكولاى الذى وضـع كتابا عن صناعة الجاسوسية وعن بيكا الذى انشـأ مدرسـته العجيبة للتجسس بالقرب من رشيزا وعن شـخصية ريدل السيء الحظ ، وعن اديث كافيل وآخر كلمات نطقت بها •• كما تحدث عن جريفز Greves أعتى الجواسيس جميعا •• والكوه (الفتحة) الصغيرة للنجاة عندما قررت المخابرات الالمانية أنه اصبح يعلم أكثر مما يجب •• ولكنه كان يرجع بالحديث دائما الى آن مارى وعن حبها لوينانكي وعن وعيها وعن شخصية (ماتشبوس) الذى كان اشبه بالعنكبوت الذى ينشر نسيجه •

ثم ذكر أبياتا للشاعر كيبلنج يقول فيها : « لا يوجد مائة يقودوننا نحو المجد والشرف ، ومع ذلك فمن غير القادة يستطيع أن يجمع صفوفنا فكل رجل يكرس نفسه وجهوده للواجب ليس الا •• وقد لا تكون هناك أبواق لتنادى على الكتائب ومع ذلك فمن غير الابواق تستطيع أن تجمع صفوفنا • ومن أطراف المسكونة الى أطراف المسكونة نستطيع أن نتبع العلم »

وتطلع بيرندورف الى سيجارته وقال انها لعبة خطرة وعندما نرفع الاستار فلن يكون الامر سهلا لأن شخصيات قصص وشخصيات حقيقية يجرى فى عروقها الدم وليست شخصيات خيالية مجرد حبر على ورق •

ثم قال لى ونحن نخرج من المطعم •• سوف تكون لعبة خطرة عنـدما نرفع الستار عن اعمال الجاسوسية العظيمة ونعرضها على الناس •• ولن يكون هذا عملا سهلا لأن أبطال المغامرات التى سوف أكتبها يجرى فى عروقهم دم ، وليس حبرا ••

وكنت افهم ما يعنيه لأن الحديث عن « الأشخاص » غير الحديث عن « صفحات الكتب » وان كانت صفحات الكتب تؤرخ عادة لحياة الناس ••

« روبرت جربسون »

١
جاسوسية ما قبل الحرب

نحن الآن فى مايو عام ١٩١٣ وكانت عربات السكك الحديدية الدولية الثقيلة من شبكة السكك الحديدية الاوروبيــة التى تمتد من باريس عبر وارسو الى بطرسبرج ، ومن كوبنهـــاجن عبر برلين الى ميونخ ، ومن أمستردام عبر بال بسويسرا الى فينيسيا ؛ رائحة غادية فى كل اتجـاه كأنها تمشى مسرعة فى الحقول والمدن والقرى حيث يعيش الناس كما لو كانوا فى دوله واحدة ويحيون ويشتغلون ويموتون ، هذه الارض هى القارة الاوروبية وشعوب هذه الارض يرتبطون ببعضهم بعضا بوساطة مختلف أوجه النشاط التى تجعلهم يعتمدون على بعضهم بكيفية متبادلة وبوساطة العادات التى ترسم مصائر الناس ثم بعد هذا توجد بينهم تماثلا مشتركا ، وفى مكاتب كل حكومة من حكومات هذه القارة توجد قضـايا ومشاكل تنتظر الحل الذى لابد له أن تتطور معه صورة الحيـــاة لكل فرد وتوجه الصراع من أجل الحياة ، الصراع الذى يقوم به الافراد لتحقيق مســتوى أفضل من العيش ، وتنطبق هذه الحـال على برلين ولنــدن وبطرسبرج وباريس ٠

وكانت المجلة « الاسبوعية » السينمائية التى صدرت فى الاسبوع الاخير من شهر مايو المذكور تعرض على سكان هذه العواصم الاربع الكبرى صور القطار السريع الدولى وأخبار الاضراب وآخر المخترعات وأحـــدث السفن والطائرات وعمال الحفر يعملون فى أحد المناجم ــ كمـــا تعرض عليهم انزال أكبر باخرة جبارة والاستعراضات العســـكرية للجيـوش الوطنية ، ثم سير طابور القوات الوطنية ٠٠ وتصفيق المشاهدين ٠ وكان الجميع يعرفون أسماء ووجوه قواد الجيوش ــ كما يعرفون مختلف أردية الجنود وأســلحتهم ، ومع ذلك فان مكتب وزير الحربية فى باريس كان مشغولا فى ذلك الوقت وقد جلس كبار ضباط القيـادة وأمامهم الخرائط الكبيرة التى كانوا يوضحون عليها بكل دقة خططهم السرية فيها ، كذلك

كان يفعل زملاؤهم فى بطرسبرج ولندن وبرلين ، لقد كان كل فريق منهم يدرس الخرائط وليس فى رؤوسهم غير سؤال واحد وهو : **ماذا سيحدث عندما تنتهى هذه المرحلة من السلام ؟** وعندما يتغير مجرى السياسة ؟ وعندما تشتعل شرارة فتشعل البارود وتصعد ألسنة النيران الى السماء وعندما تنقسم على نفسها هذه الاراضى الاوروبية العظيمة الهادئة الصناعية وعندما تزحف جيوش كل دولة فيها نحو الحرب ٠

ان القيادات العسكرية فى كل عاصمة من هذه العواصم الاوروبية الكبرى كانت تفكر فى هذا السؤال وتقول : يجب أن نكون مستعدين لكل ما قد يحدث ٠٠ ويجب علينا أن نكتشف استعدادات خصومنا ٠٠ وماهى خطط رجالهم العسكريين ٠٠ ماذا يفعلون من أجل الحرب وما هى خطتهم ويجب أن نعرف أسرار الجيوش التى قد تصبح يوما ما فى حالة عداء معنا .

كان هذا هو الموقف فى برلين وكذلك فى لندن وفى بطرسبرج وباريس ٠

وفى شهر مايو عام ١٩١٣ كان ضابط شاب من قيادة الجيش الالمانى يسير متمهلا عندما قابله زميلان له يرتديان مثله القبعة الحمراء الخاصة بضباط أركان الحرب وتقدما منه بسرور وهما يقدمان له التهانى الحارة ٠

ان هذا الضابط الشاب الذى تلقى التهنئة هو الميجور نيكولاى أحد رجال رئاسة الاركان ، وكان السبب فى تهنئته هو أنه عين فى ذلك اليوم رئيسا للخدمة السرية فى هيئة الاركان حرب فى قيادة الجيش الالمانى ٠

وعندما تولى الرائد الميجور نيكولاى هذا المنصب وجد منظمة سرية صغيرة هى المسؤولة عن أعمال التجسس ، وليس لديه غير ضابط واحد لمساعدته ، أما ميزانيته فلم تكن تزيد على ٤٥٠ ألف مارك ـ وبهذا المبلغ البسيط وبهذه الدائرة الصغيرة كان واجبه أن يدير الجهاز السرى للدفاع عن أسرار ألمانيا ٠

وكانت ادارة المخابرات الالمانية خاوية من أى نظام وكانت تتكون فى الغالب من بضعة أفراد من المغامرين من بينهم امرأة جريئة طوفت بمعظم أنحاء أوروبا ، كان هؤلاء الرجال يرسلون بأسلوب منظم الى بعض الاقطار الاوروبية ٠ وعلى قدر استعداد هؤلاء العملاء القلائل وتأهيلهم الدقيق

لمهمتهم ، بقدر ما تطمع الهيئة في الاعتماد عليهم • وعلى أسرارها العسكرية وقد درب هؤلاء الرجال تدريبا خاصا للبحث عن الاسرار الخطيرة الاهمية •

ومن الطبيعى أن تكون أعمالهم محفوفة بالصعاب وفى فرنسا التى لا تثق بالاجانب بالنسبة لاسرارها العسكرية ومن ثم تحوطها باحتياطات غير عادية ، ومن ثم يفقد الجاسوس الامل فى الوصول الى هدفه سالما ، على نقيض الحال فى روسيا حيث يمكن تجنيد أحد رجال المخابرات الالمان فيستطيع بوساطة عملاء يثق بهم أن يرسل الى برلين معلومات هامة ، كما انه من الممكن أن تجد أى جاسوس ألمانى على الحدود من بين السكان المحليين رجالا ونساء يتعاونون معهم ويمدون أيديهم الى الذهب الالمانى •

على أن الصعاب فى روسيا من طابع آخر مختلف ، ذلك لان الوحدات العسكرية تنتقل من حامية الى أخرى ، ولما كان لا يوجد طابع ثابت للعتاد الحربى فانه من المستحيل الحصول الا على معلومات قليلة ، ثم ان تغطية الارض الروسية الفسيحة يتطلب عددا كبيرا من الجواسيس وهى حالة لا تكفيها الميزانية الضئيلة المخصصة للخدمة السرية ، ولذلك كانت الجاسوسية الالمانية تحتاج مزيدا من الاموال والرجال من أجل العمل فى روسيا وفرنسا • فقصرت عملها على نطاق التحرى عن المظاهر الاساسية لمشكلة العدوان العسكرى على ألمانيا • أما بالنسبة للعمل فى بريطانيا فقد جرت العادة أن يرسل جاسوس واحد من وقت الى آخر • وبما أننا فى هذه السنة التى سبقت سنة الحرب العالمية الاولى والتى زادت فيها أهمية بريطانيا بين الدول الاوروبية الكبرى فقد أرسل بضعة رجال من رجال ادارة المخابرات الالمانية حيث كلفوا بالاقامة هناك بصفة دائمة •

وتحصل جميع الاتصالات بين أفراد الجواسيس وبين رئيس ادارة المخابرات السرية عن طريق وسيط اذ قلما يتصل أحد ضباط الخدمة العاملة بكيفية مباشرة مع الجاسوس ذلك لان الضابط الالمانى ـ وهذا أمر يثير العجب وليس له ما يبرره ـ ينظر بازدراء الى جهود العميل السرى ـ وكانت هيئة الاركان حرب الالمانية مشغولة فى الاستعداد للحرب التى لم يكن مناص منها ـ وكان من أهم وسائل الاستعداد تنظيم الجاسوسية وهو عمل كان ينظر اليه بشىء من الكراهية ، وحتى ضابط المخابرات نفسه الماجور (كولونيل فيما بعد) نيكولاى لم يكن باستطاعته أن يغير من تفكير زملائه الضباط من هذه الناحية •

كان من الصعب على الرائد نيكولاى أن ينال احترام زملائه اذ كان عمله في نظرهم ليس أكثر من اختيار عدد من الجواسيس وتدريبهم تدريبا كافيا وارشادهم الى الاعمال التى سوف يقومون بها ·

كانت هذه هي الحال في ألمانيا ولكنهـا في فرنسـا كانت مختلفـة الصورة ، فلقد أدركت هيئة أركان الحرب الالمانية منذ سـنة ١٨٩٤ أن ادارة المخابرات الفرنسية قد نجحت فى اسـتمالة عدد كبير من جنـود الجيش الالمانى ، والواقع أنه قبل تلك السنة لم يكن لديها معلومات حقيقية عن مدى نشاط الجاسوسية الفرنسية فى ألمانيا · ولكن قضية الجـاسوس الفرنسى نوفمبى تومبس أظهرت أن السـلطات كانت غارقة فى أوهام خطيرة كان تومب قد جاء من ميونخ حيث يعمـل أبوه تاجر خمـور وله علاقات تجارية مع بوردو وبورجاندى وبعد حرب سنة ١٨٧١ أرسل الاب الذى احتفظ بجنسيته الفرنسية بوساطة القيادة الفرنسـية الى بافاريا وقدمت له المساعدات حتى استطاع أن يفتح محلا للخمور فى ميونخ وكان ابنه دائم السفر بين ميونخ وباريس دون أن يثير أى انتباه بحجـة أنه مسافر لشراء الخمور وتسوية حسابات مشترياته · وقد ظهر فيما بعـد عندما اكتشف أمره أن القيادة الفرنسية كانت قد دربته تدريبا خاصـا على العمل في باريس وبناء على مشورة الاركان حرب غينت شركة عربات النوم الدولية هذا الشاب فى وظيفة مفتش وكان تبعا لهذا يستطيع التنقل داخل هذه العربات بين جميع أنحاء ألمانيا على أنه فى نفس الوقت ــ وكان هذا هو السبب فى اكتشاف أمره ــ كان يشغل فى البـوليس الفرنسى منصب مفتش خاص ضمن قوات « الجاسوسية الدفاعية × » . وفى واقع الأمر لم يكن فى عمله ما يتعلق بشئون الدفاع بحـال ما ، وكان لهـذا المفتش الشاب « صديقات له » ينفق عليهن عن سعة وينقدهن فى سخاء ، ومن ثم أخلصن له ، كن مجموعة من صغار الراقصات وفتيات المجموعة الكورس (وطالبات معاهد التمثيل ' وقد وزعهن فى أرض ألمانيـا وجمع ست منهن فى برلين) ·

وكان على هاته الفتيات الاتصال بالضباط الشبان وبخاصة ضباط الوحدات الفنية للحصول من هؤلاء الضباط على كل ما يمكن الوصول اليه

× *Defensive Espionage* هى التسـمية السـابقة للتسمية الحديثـة *Counter Espionage* اى الجاسوسية المضادة بما فى هذا مكافحة الجاسوسية (المراجع) ·

من معلومات ، وقد استطاعت فتاتان من مجموعة برلين الاتصال بضباط فى مدرسة المدفعية ، وفى كلتا الحالين استخدمت الفتيات مهارة غير عـادية ، وقد بدأت بافساد ضابطين شابين ينفقان أكثر من مرتبيهما ثم دفعا بهما الى جماعة من المقامرين ، ولما وصلت الحال بالضابطان الى حد الحرج ، ولم تكن من وجهة يرتدان اليها الا بوسائل تؤدى الى امتهانهما وطردهما من خدمة الجيش ، عند هذا الحد جاء شخص غامض لم يذكر اسمه قط ، وقدم لهما مبلغا كبيرا من المال مقابل احضار بعض وثائق من مدرســة المدفعية ومدرسة الهندسة ، وقام الضابطان بما طلب منهما ــ ولم يكتفيا بسرقة الوثائق وحدها مما كان فى حيازتهما بل التقطا صورا فوتوغرافية لاحدث أنواع الأجهزة السرية للحرب .

* * *

وكان اكتشاف أمر هذه السرقات بمثـابة الضوء الذى انار الطريق أمام المخابرات الالمانية لترى الحالة على حقيقتها وكشفت هذه السرقة عن حقيقة الحال ، وفى هدوء وضعت القيادة التدابير الدفاعية اللازمة وراحت تعمل للكشف عن هذه الشبكة الفرنسية ، ووفقت بسرعة الى اكتشافات مزعجة اتضح أن ادارة المخابرات الفرنسية لم تكن تعمل من باريس كما كان الحال فى موضوع (تومبس) بل انه كان لها مكاتب رئيســـية ، تتبعها منظمات مستديمة تعمل تحت اشرافها ، فى دول كان يرجح أنهـا ستبقى على الحياد فى حالة نشوب الحرب .

ففى جنيف مثلا كان يوجد ضابط برتبة ليفتننانت كولونيل اسمه بارشيه ويتبعه ما لا يقل عن تسعين من أعوانه وتدل كل الظواهر على أن مكتبه يتعامل فى تجارة المنسوجات .

وكان موظفو هذا المكتب يسافرون فى كل أنحـاء ألمانيـا بلا قصد الا جمع المعلومات لتجارتهم الجاسوسية .. وكان لهذه الشركة فرع فى بازل كانت مهمته مراقبة الجيش البافارى . وأنشئت فروع أصغر بعدد أقل من الموظفين فى كثير من المدن الالمانية لادارة الاعمال الجاسوسية فيها واليوم فقط بعد مضى أكثر من عشر سنوات على انتهاء الحرب يمكن تبين أن ادارة المخابرات الفرنسية كانت أقامت نفسها بكيفية وطيدة ، قبل الحرب بزمن طويل ، فى قلب ألمانيا .. ولم تكن تعتمد ــ خلافا للمخابرات الالمانية على

عدد قليل من أفراد الجواسيس الذين ترسلهم اليوم الى دولة ٠ وغدا الى دولة أخرى ، بل كانت تحتفظ فى الدول الالمانية الكبرى بعملاء مستديمين انضموا للخدمة مدى الحياة وهؤلاء العملاء غالبا ما ينتهجون فى العمـــل نفس الوسيلة ٠٠ يدربون الفتيات على اجتذاب الضباط الالمان الشبان ، وقد نجحت بعض هذه المحاولات ، وهناك مثلا قصة الملازم المدفعى هلموت فيسيل الذى دفعه عميل فرنسى فى كولون بين ذراعى فتاة فرنســية لم يعرف من اسمها غير (م٠ب) ونعرفها الآن باســم « ماتيلدا بوملر » ، وظهر كذلك أنها ليست فرنسية بل انها من سـكان شارلوتنبرج ، وقد وقع فيسيل ضحية لهذه المرأة وهرب من البلاد عندما اكتشفت جريمته ، ولكن السلطات استطاعت اعتقاله ـ وبعد محاكمة طويلة جرت فى مدينة ثورن نقل الى برلين حيث حكم عليه بالسجن ، وبعد انتهـــاء مدة عقوبته وخروجه فى مدينة نيس ـ وهناك واصل العمـــل من أجل المخــــابرات الفرنسية وقامت زوجته الجميلة باصطياد الضـــباط الالمـــان فى نيس ومرافقتهم الى مونت كارلو حيث كانت تغريهم على المقـــامرة ، وكان كل ضابط منهم يخسر أمواله حول المائدة الخضراء ويصبح بحاجة الى انقــاذ فيبادر المنقذ الغريب الى التدخل فى الوقت المنـــاسب ٠ وكان هذا المنقذ هو زوجها فيسيل الذى كان يعرض على الضـــابط مبالغ كبيرة من المال مقابل ما يحصل عليه من الاسرار العسكرية ٠

ومن الواضح أن القضايا التى نجح فيها الجواسيس الفرنسيون فى الحصول على معلومات عن المانيا قبل الحرب أكثـــر من أن تحصر ، وكل ما نعرفه هو عدد القضايا التى اكتشفت واعتقل فيها جواسيس العـدو قدموا أيام المحاكم الالمانية ، وفى سنة ١٩١٣ وحدها اعتقل ٣٤٦ شخصا بتهمة التجسس ٠ وكانوا جميعا يعملون لحساب فرنسا ، وقد قيل الكثير عن البراعة الفائقة التى كان يعمل بها هؤلاء العملاء الى حد أنه لم تقم أدلة اتهام كافية الا فى ٢١ قضية منها ، وقد وصلت الى السلطات الفرنســية معلومات مفيدة من الالمان الهاربين الذين كانوا يجتازون الحـدود ـ ومن الاشخاص الذين خدموا فى الجيش الالمانى ثم قرروا الانضمام الى الفرقة الاجنبية الفرنسية ، وقد عين عدد من الضباط الفرنســـيين خصيصـــا لاستجواب هؤلاء الاشخاص كانت المخابرات السرية الفرنسية فى المانيـــا منظمة تنظيماً بديعا ٠ وكان عملاؤها الرئيسيون من الرجال المهرة الذين بزوا فوشيه الجاسوس الكبير الذى عاش قبل ذلك بمائة عام وكان يعتبر من أقدر المشتغلين بأعمال الجاسوسية والبوليس السرى ٠

ولا تقل الجاسوسية البريطانية هي الاخرى تنظيما وقوة عن الجاسوسية الفرنسية ، وكانت القيادة العليا للجاسوسية البريطانية فى آلمانيا تقع هي الاخرى على مثال القيادة الفرنسية في دولة محايدة وهي بلجيكا ، وكان الكابتن رينجارت أحد ضباط الاركان حرب قد أقام له مكتبا فى المنزل رقم ٧ فى شارع جارشار فى بروكسل ، وكان هناك عدد من الضباط البريطانيين معظمهم من المهندسين والمدفعيين يخدمون معه بصفة مؤقتة وكان هذا المكتب البريطاني يتعاون مع مكتب المخابرات الفرنسى فى أمستردام حيث كان للبريطانيين بها فرع لمكتب بروكسل ، وقد استطاع البريطانيون بعد استعدادات طويلة من انجاز منظمة للجاسوسية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الخدمة السرية قبل الحرب ، وكانوا قد وضعوا عملاءهم فى المدن الكبيرة على امتداد الراين ابتداء من هولندا الى سويسرا ـ كما انتشر عملاؤهم فى المدن الالمانية على طريق أمستردام الى هانوفر الى شنيدمول تورن ، وعلى امتداد هذا الطريق كانوا يطلقون الحمام الزاجل وبهذه الوسيلة كانوا يستطيعون فى أى وقت ـ حتى فى الطوارىء الخطيرة ـ أن يقفوا على الانباء والمعلومات بخاصة ٠

وفى أوائل سنة ١٩١٤ تم تدعيم هذه المنظمة السرية على أفضل وجه ولاحظ البريطانيون أن الحمام الزاجل كان يتبع طريق الراين فى احدى الحالات ، ويتبع خط السكة الحديد فيما بين أمستردام وثورف وقد جهزوا آلات تصوير دقيقة للغاية الى حد أنهم كانوا يثبتونها فى ذيل الحمامة ٠ كانت آلات التصوير مزودة بأجهزة زمنية صار ضبطها طبقا لاوقات معينة لاخذ الصور ولما كان يطلق عدد كبير من الحمام فى وقت واحد تضبط آلاته الفوتوغرافية على أزمنة مختلفة كان يتجمع لديهم بهذه الكيفية شريطا من الصور يقدم رسما كاملا لطول الطريق جدا ولكن كان من السهل تكبيرها عند اللزوم ولم يكن للمنظمة أهمية فى أيام السلم ـ ولكنها أضحت وقت الحرب ذات قيمة لا تقدر لانها أصبحت تقدم معلومات عن تحركات العدو وعتاده الحربى ٠

ولم يكن عدد الجواسيس البريطانيين المستديمين فى آلمانيا مثل الفرنسيين ولكنهم كانوا يعملون بكيفية آكثر خشونة من زملائهم الفرنسيين وكانوا مسؤلين عن مراقبة الاشخاص المتخفين الذين ينسلون الى معسكرات ضباط البحرية الالمانية بينما كان الفرنسيون مسؤلين عن معسكرات ضباط الحدود فى مقاطعتى الالزاس واللورين ـ الا أن المهمة الرئيسية التى كانت تقوم بها المخابرات البريطانية هى مراقبة وزارة البحرية اذ كان

البريطانيون طبعا يهتمون بالتجسس على أسرار الدفاع الساحلى ـ كما أنهم كانوا يهتمون منذ سنين باقامة مكتب مخابرات فى ويلهلمشافن ذاتها وقد أقيم هذا المكتب فى فيلا منعزلة لها ممر تحت الارض ـ وقد استطاع الجواسيس البريطانيون شراء اثنين من رجال البوليس الالمان فى ويلهمشافن مع أحد رجال مكتب الاشارة ـ وكانت النتيجة أن السلطات الالمانية قد اضطرت الى طرد جميع رجال قوة بوليس الميناء ٠

أما أشهر جاسوس بريطاني كان يعمل فى ألمانيا فهو ضابط بريطانى فى الجيش العامل (الذى أصبح يعرف فيما بعد باسم اللورد بادن باول مؤسس حركة الكشافة) ٠ وكان يقوم برحلات فى جميع أنحاء ألمانيا ٠ وهو يعتبر حتى الى اليوم حجة فى أعمال التجسس ٠ وكان يرسل الى رؤسائه فى لندن تقارير معينة وقد نشرت بعد ذلك وكانت تعتبر وقتا ما فى منتهى الخطورة كما فهم الألمان فى بلجيكا ، قاموا فى فرنسا بدراسة كل المنطقة التى يفترضون أنها ستكون مسرحا للعمليات المقبلة ـ وعندما يلاحظون وجود أماكن تصلح قواعد لمدفعيتهم ٠ فانهم يقومون فعلا باعداد هذه القواعد وحتى لا يثيروا أى اشتباه عن أغراضهم يقوم أحد الالمان بشراء أو استئجار الارض التى اختاروها لتكون قاعدة للمدفعية ثم يخطط الارض لاقامة مزرعة عليها ـ واذا كان فى جوارها مدينة ، يخططها لاقامة مصنع ثم يقيمون بناية عادية على الارض ٠

أما طريقة اختيار القواعد الصالحة للمدفعية ـ فقد كانت تجرى بهدوء وأمان قبل وقت طويل من يوم المعركة ٠

ويقول اللورد بادن باول أنه شاهد بنفسه عددا من هذه القواعد فى فرنسا وبلجيكا من أجل هذا الغرض فى وقت السلم ولذلك فان بريطانيا كانت ترسل رجالها للقيام بأعمال التجسس يمتازون بالمقدرة والشجاعة وفى معظم الحالات كان هؤلاء الرجال يقتحمون الحصون البحرية الالمانية على طوال الساحل عند قناة كييل ، ثم يمكثون هناك مددا طويلة دون أن يكتشف أمرهم أحد ٠

وقد قبض على اثنين من الضباط البريطانيين هما براندر وترينش ومعهما محام بريطانى اسمه ستيوارت بواسطة السلطات الالمانية قبيل الحرب بقليل عندما كان الثلاثة يقومون بمغامرة خطرة وكان الجواسيس

البريطانيون فى معظم الحالات وخصوصا فى القضايا الهامة يتعاونون مع زملائهم الفرنسيين ولذلك كانت لندن تتلقى باستمرار تقارير من المكتب الرئيسى فى بروكسل عن حالة التسلح الالمانى ٠

أما روسيا فانها قد سارت فى أعمال التجسس على أسلوب آخر وكان مركز رئاسة الخدمة السرية الروسية يقع فى وارسو برئاسة ضـابط من رجال الاركان حرب اسمه ياجوشين ـ وكان عليه أن يرسل جواسيسه الى مكانين هما المانيا والنمسا ـ وكان بطبيعـة الحـال ، على خـلاف زملائه الفرنسيين والبريطانيين يهتم بصفة خاصة بقدرة القوات المسلحة المرابطة على الحدود الالمـانية ـ وكانت تحت تصرفه وسائل لا حصر لهـا كثيرة وامكانيات وفيرة ـ بحيث كان فى وسعه أن يستميل كثيرا من الالمـان والنمسويين للعمل معه فى مناطق الحدود ـ وكان يستخدم عددا كبيرا من صغار التجار الذين كانوا يستطيعون بحكم عملهم اجتياز الحدود والاتصال بالضباط الروس المسؤولين عن مناطق الحدود وينقلون اليهـم المعلومات أولا بأول ـ كما كانت جيوش بأكملها من الجواسيس الروس يتسللون عبر الحدود الى المانيا ويبلغون فورا عن أدنى التغييرات التى يقفون عليها ٠ ولكن على اتساع نطاق هذه الاجراءات فقد فشلت كلية فى تحقيق هدفها ، لانه حتى فى مسائل الجاسوسية فان كثرة الطباخين يفسدون الطبخة فان الاشخاص الذين استخدمتهم روسيا كانوا غالبا مايجهلون الامور العسكرية ولذلك فانه بالرغم من أن الوكالة المركزية فى وارسو كانت تعلم الكثير الا أن معظم ما يصلها من معلومات كان قليل القيمة أو بالاحرى مكذوبا ٠

ولم يحاول قلم المخابرات الروسى تغيير أساليبه الا قبل وقوع الحرب .

وامتنعت المخابرات الروسية عن الاعتمـاد على الجواسيس الروس فى داخل المانيا وقصرت جهودها على استمالة الضـباط والجنـود فى الجيش الالمانى واستطاع كاتب عسـكرى بعمله فى قلعـة تورن وكان قد زاره ياجوشين فى معسكره من أخذ صور للقلعة كلها وسلمها الى الروس ـ كما

أن أحد الكتبة العسكريين فى قلعة برسلاو وكان بالمثل قد تقابل مع باجوشين ، قام بنفس العمل ـ وقد اكتشف أمر الرجلين وحكم عليهما بالسجن مدة طويلة · ولا شك أن قلم المخابرات الروسى لم يكن بحال ما مساويا لقلم المخابرات البريطانى · ولكن اذا تركنا جانبا قلم المخابرات الفرنسى · ولم يحرز قلم المخابرات الروسى الا نجاحا ضئيلا فى ألمانيا ·· وفى الواقع أنه ضئيلا للغاية الى حد أنه فى أوائل سنة ١٩١٤ تسرب فجأة اخطار الملحق العسكرى الروسى فى برلين الكولونيل فون ياساروف ، بالرغم من مركزه الرسمى ، فانه يقوم بدور فعلى فى أعمال الجاسوسية · وأحرز باساروف نجاحا فى بادىء الامر واستطاع أن يشترى من بعض ضباط الصف غير المخلصين رسومات معظم الحصون الالمانية الواقعة على الحدود الشرقية ·

وقد علمت هيئة الاركان حرب الالمانية بواسطة ضابط روسى كبير كان يعمل جاسوسا للألمان بنشاط الملحق العسكرى الروسى · وكانت الخرائط والرسوم قد سلمت الىرسول خاص لينقلها الى بطرسبرج فاعتقل هذا الرسول فى آخر لحظة عندما كان على ظهر سفينة ألمانية واضطر الملحق العسكرى الروسى أن يسرع الى أخذ متاعه والعودة الى روسيا وكانالنجاح الذى أحرزته المخابرات الروسية فى النمسا أكثر من نجاحها فى ألمانيا اذ لم تستطع فى الدولة الاخيرة أن تغرى أى ضابط يشغل مركزا ذا مسئولية فعلية · ولكنها استطاعت فى النمسا أن تفعل ذلك ··

وكانت هناك أسباب أخرى لنجاحها الاكبر فى النمسا هو أنه بالنظر الى الوضع السياسى فى أوروبا كانت الحرب بين روسيا والنمسا تبدو أكثر احتمالا من نشوب الحرب بين روسيا وألمانيا ·· ولم تغمر الحدود النمساوية بغزو منتظم من الجواسيس كالحدود الالمانية ، وانما بأفراد من الجواسيس الروس ، من رجال تدربوا عسكريا وعلى قدر من العلم بالشئون العسكرية فكانوا يجوسون أنحاء البلاد وقد أمكن لهؤلاء العملاء أن يحصلوا على معلومات عظيمة القيمة ·

ويمكن القول بصفة عـامة أن التجسس على نطـاق واسع يؤدى الى نتائج ضئيلة بينما الجاسوس المدرببكيفية خاصة يحرز نجاحا عظيمالقيمة وتفسير ذلك فى الواقع يرجع الى عوامل نفسانية ـ فكما فى الحرب كمـا فى كل عمل آخر ينطوى على تنازع متبادل ، وكما فى المنافسة الاقتصادية أيضا بين دولة وأخرى ، وكما فى الحالات التى تدخل فيها هيئات تجارية كبـرى فى نزاع مع الافراد ، فليست المنظمـة هى التى تكون المنتصرة اطلاقا ، وانما الفرد ، الرجل الذى يتصف بالشجاعة والآراء الجديدة ٠٠ ان وسائل الجاسوسية الجماعية واستجواب اللاجئين الى غير ذلك ليست الا عنصرا من الفن العسكرى ولها قوانينها وقيودها ٠٠ وهذه مثل جميع المواضيع الفنية لن تكون لها قيمتهـا بالنسـبة لغير المدربين الموهوبين والسبب فى الاهتمام العام بالجـاسوسية ، وفى أنه ينظر اليهـا دائما كموضوع رومانتيكى يرجع الى المغامرات الفردية لهؤلاء الجواسيس سواء أكانوا رجالا أم نساء ممن يغـامرون بالدخول الى الدول الاجنبية لكشف أسرارها ٠٠

٢

جواسيس من رجال البوليس

لا تعتبر مدينة ويلهلمهافن بحـال ما حتى فى أفضل أوقاتهـا مدينة ملهمة لانهـا فى الواقع ليست مدينة بالمعنى الصـحيح اذ أنشئت لخدمة الميناء • ولو دخلت الى هذه المدينة ليلا فانك تجد شوارعهـا خالية ليس فيها أحد من الناس باستثناء بعض البحارة العائدين بسرعة الى قواعدهم تحت المطر الغزير ـ ولا تكاد تصدق أن أحدا من الناس يرضى أن يقضى معظم عمره فى ويلهلمهافن • كانت هذه الافكار تدور فى ذهن انســان شاءت الظروف أن يقف فى احدى ليالى الصيف من سنة ١٩١٠ فى ضواحى هذه المدينة أمام حديقة صغيرة يقع فى وسطها منزل صغير تكسوه الاشجار فلا يكاد يظهر من الشارع العام •

وكان هذا المنزل المحاط بالحديقة منعزلا موحشا واقترب منزل اليه هو قصر صغير يبعد عنه أكثر من ٢٠٠ ياردة •

وكان هذ الرجل الغريب الذى يقف أمام الحديقة قد لاحظ منذ بضعة أسابيع أن هناك عددا من الاشخاص يقيمون فى هذا المنزل الصغير ـ وأنهم كانوا من الجنسين يرتدون ملابس أنيقة ويضعون خواتم نفيسة فى أصابعهم وبالاختصار فلابد أنهم من أغنياء الناس • ولكنهم فى تلك الليلة لم يكونوا فى المنزل • اذ شاهد هذا الرجل الغريب ثلاثة رجـــال وامرأة يتركون المنزل وهم يتدثرون بالمعاطف الشتوية الثقيلة وتحقق لديه من مراقبــة المنزل عدة أيام أنه لا يقيم فى المنزل غيرهم •

واختار الرجل الغريب مكانا مظلما من الطريق لم يكن يصل اليه الا ضوء خافت من مصباح بعيد واقترب من هذا المكان نحو سياج الحديقـة وقطعه واجتاز المكان الى الداخل بعد أن قطع الاســلاك الشائكة بمقص خاص حيث سقط على أرض رطبة مكسوة بالزهور • واقترب من المنـزل وهو يزحف على الحشائش وكان الظلام والصمت يخيمان على المكان بينمـا

كانت حبات المطر تتساقط بانتظام وجميع نوافذ المنزل مغلقة سوى نافذة صغيرة تقع خلف المنزل • وبدأ الرجل الغريب يقترب من النافذة وهو يلف نفسه بمعطف المطر الذى يرتديه واضطر الى أن يتسلق أغصان احدى الاشجار لكى يصل الى النافذة التى كانت ترتفع تسعة أقدام عن الارض واستطاع فى النهاية أن يندس من النافذة الى داخل المنزل حيث وجد نفسه فى ظلام دامس وأنه يقف على سجادة ناعمة وأخرج من جيبه مصباحا يدويا ولكن قبل أن ينير مصباحه أصيب بضربة على رأسه فسقط على الارض فاقد الوعى •

عاد الصمت يخيم على المكان أكثر من ذى قبل • وبعد قليل سمعت فى الخارج خطوات منتظمة قادمة من نهاية الطريق بين حدائق المنازل المجاورة وشوهدت صورة أحد رجال البوليس وقد رفع ياقة سترته حتى غطت أذنيه ووضع يديه فى جيوبه وكان يقترب رويدا رويدا وكأنه يقوم بدوريته المعتادة •

وعندما أفاق الرجل المغمى عليه وجد نفسه فى غرفة نوم جميلة وفتح عينيه وبدأ يتفقد ما حوله فسقطت أنظاره على امرأة طويلة ممتلئة القوام تجلس على كرسى كبير وهى تدخن سيجارة ــ وحاول الرجل الغريب أن يقف على قدميه فوجد رجليه ويديه مقيدة بالحبال • كان راقدا على ما يظهر فى غرفة نوم السيدة ونظر نحو المرأة بدهشة وخوف وزاد رعبه عندما وجد أن المرأة قد انتهزت فرصة اغماءه وأفرغت جيوبه من كل أوراقه ووضعتها أمامها وهى تفحصها الآن واحدة بعد الاخرى • وعندما أحست المرأة أن الرجل قد استفاق من اغمائه قالت له : ان الصورة الفوتوغرافية التي وجدتها معك تشبهك تماما يا هر جلاوس • ولكننى أعترف أن رداء البوليس يناسبك أكثر من معطف المطر الذى ترتديه الآن ويبدو أن هناك أشياء كثيرة يجب أن تتعلمها • لقد لاحظت أنك منذ عدة أيام تحوم حول منزلنا ورأيتك وأنت تقفز السياج وكنت أقف خلف النافذة عندما كنت تزحف عبر الحديقة وأنا التى ضربتك على رأسك عندما دخلت هذه الغرفة ــ ولن أتردد فى ضربك مرة أخرى وفى قذفك من النافذة وتحطيم عنقك اذا لم تخبرنى من الذى أرسلك الى هنا •

وتابعت المرأة حديثها قائلة :

لقد أدركت من أوراقك أنك جاويش فى بوليس ويلهلمهافن ولم أسمع قبل الآن أن رجال البوليس هنا اعتادوا على اقتحام المنازل وتسلق النوافذ لذلك أريد أن أعرف من هو الذى أرسلك ـ وماذا تريد من هذا المنزل ؟

فأجاب الرجل قائلا بعد أن أدرك أن لعبته قد انكشفت لم يرسلنى أحد ٠ لقد دخلت المنزل لاننى فى حاجة الى المال وسوف يضيع مستقبلى اذا كشفتى أمرى فدعينى أذهب وأنا أقسم لك بأننى سوف لا أقوم بأى عمل من هذا النوع فى المستقبل ٠

وضحكت المرأة وأرسلت دخان سيجارتهـا فى وجه الرجل وقالت : هل تنتظر منى أن أصدقك ؟ وأن الصدفة وحـدها التى دفعتك الى هـذا المنزل ؟ وانك مجرد لص عادى وليس أكثر من ذلك ؟ هل حقا تريدنى أن أصدق ذلك ؟ ولم يستطع هذا الرجل أن يدرك نوايا المرأة ٠٠ واستمرت المناقشة بينهما أكثر من ساعة وأسفرت فى النهاية عن قطع قيود الرجل والسماح له بالجلوس على أحد المقاعد ـ واقتنعت المرأة بأن جلاوس هو فعلا من رجال البوليس ٠٠ وأنه وقع فى ارتباكات مالية وجاء يقتحم هذا المنزل أملا فى سرقة بعض المال أو الاشياء الثمينة ٠

وفى نفس الوقت فتح باب الدور الارضى ثم أغلق اذ أن بقية سـكان المنزل قد عادوا ولكن المرأة كانت قد قبلت التماس الرجل الغريب وسمحت له بالخروج من نفس النافذة التى دخل منها ٠

وخرج الرجل مهرولا عبر الحديقة وقفز من السياج ومضى مسرعا فى الطريق العام دون أن يلاحظ أن هناك رجلين قد خرجا من نفس المنـزل لاقتفاء أثره ٠ وعندما أصبح جلاوس على مسافة كبيرة من المنزل توقفت فجأة وهو يلهث وأسند جسمه على جذع شجرة بينما كان أحد الشخصين الذين يقتفيان أثره يقف على بعد عشرين ياردة من مكانه ـ وسـمع وقع خطوات أخرى قوية تقترب من المكان وظهر أحد رجال البوليس فى ردائه الرسمى فرفع جلاوس رأسه دون أن يخاف من اقتراب رجل البوليس منه ٠ وعندما اقترب الضابط وظهر فى الضـوء ، صفر جلاوس صـفيرا

خاصا بينما تسلل الرجل الغريب ليصبح فى مكان يستطيع منه أن يسمع ما يقال ٠ وسمع البوليس القادم من الطريق يسأل جلاوس : ما الذى حدث لك ؟

فأجاب جلاوس : لا تسألنى ٠ عندما تسللت من النافذة جاءت امرأة من خلفي وضربتنى على رأسي وفقدت الوعي وما زال رأسي يدور حتي الآن وقد أخذت أوراقى من جيبى وعرفت من أنا ٠

فقال له رجل البولس : يا للسماء ٠٠ وهل تنوى هذه المرأة أن تقدم شكوى الى السلطات ؟

فاجاب جلاوس : لا أظن ذلك ٠٠ ولكن المهم عندى هو كيف يمكننا الحصول على المال قبل صباح الغد ٠٠ فأنت تعرف أنهم يراجعون حسابات المنطقة غدا ٠

واستطاع الرجل الغريب أن يسمع أشياء أخرى غير هامة دارت بين جلاوس وبين زميله جانيك وعرف أنهما من قوة بوليس ويلهلمهافن وأنهما فى ضائقة مالية شديدة اذ بددا مبلغا كبيرا من المال من صندوق الادارة — كما عرف أنهما افترقا قبل الآن عدة حوادث سـطو وأن جلاوس اقترح السطو فى هذه الليلة بالذات على أحد مستودعات البيرة فى مكان قريب ٠ بعد أن يكون جانيك وهو بملابسه العسكرية الكاملة قد تعرف تماما على الموقع وتمت عملية السطو فعلا تلك الليلة ووجدا فى خزانتها مبلغا من المال لا يزيد على بضع مئات من الماركات وفى خلال ذلك الوقت الذى جرت فيه هذه العملية كانت العين الساهرة لا تغفل عنهما لحظة واحدة وهى عين الرجلين الذين خرجا من منزل المرأة الغامضة ٠

وبعد أسبوع من هذه الحوادث وكان مساء يوم سبت جاء الشرطيـان يرتديان زيهما كاملا الى المنزل الغريب الذى تقيم فيه المرأة وكانا يسـيران معا حسب نظام الدوريات الرسمي فى مثل هذا المساء اذ يحدث فى أمسيات السبت أن يكثر وجود البحارة السكارى فىشوارع المدينة ويخلون بالنظام أو الامن وعندما انتهيا من طوافهما وحاولا الذهاب الى شارع آخر ظهـر رجل طويل القامة قوى البنية خرج من المنزل فجأة وطلب منهما بكل أدب

واحترام أن يدخلا معه الى المنزل ولكن جانيك تجاهل كل ما وقع لزميله جلاوس وتظاهر بانه لا يعرف شيئا عن الموضوع واتخذ لهجة البوليس الرسمية وهو يقول :

ما هي الخدمة التى تريد منا القيام بها ؟ هل وقع شىء تريد أن تبلغه للبوليس ؟

فضحك الرجل الطويل وقال : هناك أشياء كثيرة ٠٠ اننى أريد أن أذكر لكم أسماء وعناوين رجلين اقترفا خلال الاسابيع الاخيرة عدة حوادث سطو ونهب وكان آخرها السطو على مستودعات البيرة ـ وأعتقد أن هـذا الامر يهمكما كثيرا ونشرته الصحف ومن المستحسن أن نبحثه فيما بيننـا فى داخل المنزل ٠

واصفر وجه جلاوس ٠٠ بينما حاول جانيك الاستمرار فى تهويش الرجل وتمثيل دور الشرطى الامين ووضع يده فى جيب سـترته وأخرج دفتر البوليس الرسمى وقال : اذا كنت حقيقة تعرف أسـماء المجرمين فعليك أن تذكرها لى حالا :

واضطر الرجل الطويل الى كشف أوراقه ٠٠ وقال : انهما شرطيان احدهما اسمه الشـاويش جلاوس وزميله الشـاويش جانيك ٠٠ وخيم الصمت على الشرطيين وتصلبت أصابع جانيك على القلم الذى كان يمسك به وأنقذهما الرجل من المباغتة بقوله : أعتقد أنه من الخير لنـا جميعا أن ندخل المنزل لنتحدث بهدوء ٠ وتقدم الرجل الطويل وهو واثق بأنهمـا يسيران وراءه حتى وصل الى غرفة مفروشة أنيقة الرياش فى الدور الارضى

وكانت المرأة الغريبة تتصدر هذه الغرفة وتمسك كتابا تقرأ فيه ٠٠ وهزت رأسها عند فتح الباب وطلب الرجل الطويل من الشرطيين الجلوس وقدم لهما أقداح البيرة والسجائر الى أن هدأت الاعصـاب واستراحت النفوس ثم قال :

أبدأ فأخبركم من أنا ٠٠ اننى مهندس واسمى بيترس وهذه السيدة أختى ولو بحثتما فى سجلات البوليس فسوف لا تجدان شيئا عنا فان جوازات السفر التى نحملها تشير الى أننا دخلنا البلاد بقصد المرور فقط لا بقصد الاقامة ٠ وأنا أخبركما بهذه الحقائق حتى لا يدهشكما عدم وجود

اسمينا في سجلات البوليس وفي خلال أسبوعين تقريبا سوف نغادر البلاد بسلام • وقد أخبرتني أختي أنك يا مستر جلاوس حاولت اقتحام المنزل • وقد اقتفيت أثرك وسمعت كل ما دار بينك وبين زميلك جانيك في الطريق وأعرف تفاصيل جميع حوادث السرقة التي قمتما بها خلال الاسابيع الاخيرة — ومعنى هذا أن معلوماتي كافية لارسالكما الى السجن مدة كافية •

وانهار جلاوس في مقعده وضع راحته فوق عينيه وبدا عليه الانزعاج ولكن جانيك وقف على قدميه واحمر وجهه غضبا وقال : كيف تجرؤ على هذا القول — انني لا أعرف شيئا عن اقتحام جلاوس لمنزلك أما حديثنا عن حوادث السطو أثناء وجودنا في الطريق فانه حديثا عاديا يدور بين اثنين من رجال الأمن يراقبان اللصوص وأن اشارتك الى اشتراكنا في حادث مستودعات البيرة فهو اتهام خطير ومن حقنا أن نقاضيك عليه •

وكان بيترش يقف الى جانبه فأمسكه من ذراعه وقال له : ما دمت تصر على هذا الموقف فانني سوف أستدعي تليفونيا رجال المباحث ولكنني أنذرك اذا رفعت أمرك الى السلطات فسأطلعهم على هذه الصورة الفوتوغرافية •

وأخرج من جيبه صورة فوتوغرافية وسلمها الى جانيك كانت صورة ليلية وفيها يظهر مكتب شركة البيرة وقد وقف جلاوس وجانيك أمام الخزانة المفتوحة يجمعان النقود منها • وكانت صورتهما واضحة تحت ضوء القمر •

وقال بيترسن : انها آلة تصوير رائعة أليس كذلك ؟

ولم يستطع جانيك أن يحتفظ بالصورة بين أصابعه فقد كانت صورة رهيبة وكأنها شواظ من نار تحرق أنامله فسقطت على الارض وسقط هو الآخر على أقرب مقعد له ونظر الى بيترسن مستسلما وهو يريد أن يعرف منه الخطوة التالية •

وانصرف الشرطيان من المنزل بعد منتصف الليل وكل واحد منهما يحمل خمسة آلاف مارك بالاضافة الى وعد قاطع بأن لا يفشي بيترسن سر جريمتهما ، وتعهد منهما بالقيام بعمل خطير •

وفى اليوم التالى وكان يوم أحد خرج جانيك بملابس مدنية يتنزه على شاطىء البحر ودخل منطقة الميناء وصعد على ظهر طراد حربى اذ كان يقضى يوم أجازة وأراد أن يغرى صديقه رجل الاشارة هلزر الذى يعمل فى طاقم لاسلكى الطيران للخروج الى الشاطىء لقضاء ليلة ساهرة فى أحد الملاهى كانا صديقين منذ سنين عديدة وكان اهلرز خطيبا لأخت زوجة جانيك ٠ وقد استمرت الخطوبة عدة سنوات ــ وكان الحائل الوحيد دون اتمـــام الزواج هو قلة المال ٠ وقبل أن يقوم جانيك بالذهاب الى الطراد كان قد زار أخت زوجته وتحدث معها طويلا ــ وفى المساء تقابل الثـلاثة ثم أعلن جانيك أنه اشترى ثلاث تذاكر لحضور حفلة مسرحية ــ وبعد انتهاء الحفلة اقتادهما جانيك الى مطعم فاخر وطلب كمية كبيرة من الطعــام والشراب وبدون سابق موعد ظهر جلاوس وهو يرتدى أفخر ملابســــه وجلس مع الثلاثة ودار الحديث حول ضرورة الاسراع فى زواج اهلرز وبينمــــا كان الاربعة يشربون معا أخرج جانيك مبلغ ألف مارك ودفعــه الى اهلرز ٠٠ فدهش اهلر من وجود هذا المبلغ مع جانيك وهو يعلم جيدا أنه مفلس ٠٠ الا أن الخمر قد أحدثت تأثيرها فى نفسه فلم يدقق فى الامر وأخذ المبلغ من جانيك ووضعه فى جيبه ٠

وبدأت بعد ذلك مقابلات طويلة بين اهلر وجانيك وجلاوس ــ وكان اهلر قد اشترى بالمبلغ الذى أخذه من جانيك مفروشات منزلية واستأجرت خطيبته فاخرة واشترت ما يلزمها من ملابس العرس وكانت تعطى الفواتير الى اهلر الذى أصبح مدينا بمبلغ ثلاثة آلاف مارك ٠ وبعد أيام قلائل اذ شعر بالضائقة مرة أخرى أبلغ صديقيه رجلى البوليس بمتاعبه ــ وفى أحد الايام وهو فى طريقه الى الباخرة أحس أنه كان يعانى من حلم مزعج وأخذ يفكر كيف يحصل على الاموال اللازمة كسداد لهذه الديون ٠٠

لم يكن يفهم ما الذى أغرى زوجته المقبلة التى كانت دائما فتاة متواضعة أن تنقلب فجأة وتصر على مشترى كل هذه الاثاثات المنزلية الكاملة التى قد لا يستطيع الوفاء بثمنها ٠ وفى تلك الليلة عندما كان جانيك وجلاوس يجرانه بالقوة غالبا من حانة الى أخرى وأخــذت الخمر تســيطر على عقله تبينت له الامور فجأة فى أبهج مظاهرها ٠ وردا على الاستفسارات العديدة عن كيفية حصول جانيك وجلاوس على الاموال التى مكنتهم من حياة البذخ التى يعيشونها ٠٠ كان دائما يتلقى نفس الجواب وهى أن جانيك ورث بعض الاموال ، وأن هناك مبالغ أخرى ما زالت فى الطريق ٠٠

فى تلك الليلة اعترف لهما بديونه وأنه لا يعـرف كيف يتصرف . وعرض جانيك على البحار أكثر من مجرد النصح لقد قال له انه سيتكفل بتسديد ديونه من مبلغ الارث ووعده بتسوية كل شيء فى اليوم التالى .. بينما كان اهلر فى طريق عودته الى طراده كان يشعر بمنتهى السعادة ولو أنه كان أقرب الى السكر ..

وأخيرا أخبراه ببعض الحقيقة وبدأ اهلر يستفيد من أموال بيترسن ويقدم له المعلومات التى تتعلق بالسلاح البحرى الالمانى ـ وبعد أن تم ايجـاد العلاقات التامة بين اهلر وبيترسن قرر جلاوس الحصول على أجازة بحجـة أنه يريد أن يذهب لزيارة أخته المقيمة فى هامبورج .

وسافر جلاوس الى هامبورج حيث اختفى بين الجماهير الغفيرة من سكان هذه المدينة . وفى نفس المساء ظهر فى أحد مكاتب السياحة فى هامبورج رجل يرتدى ملابس أنيقة واشترى تذكرة سفر من الدرجة الاولى الى باريس وكان هذا الرجل الانيق هو جلاوس الذى أراد أن يقضى أياما جميلة فى باريس . وأصبح أصحاب صالات الرقص والبارات يعرفون هذا الرجل الذى كان يبعثر الاموال فى كل مكان وكأنه صاحب مصرف مالى وتعرف على فتاة من مارسيليا اسمها ايفون وأصبح صديقا لها . أما جانيك فقد بقى ويلهلمهافن ينتظر حلول موعد أجازته . وكان يقدم الاموال الى صديقه اهلر ويسدد الفواتير التى كانت تقدمها عروس اهلر . وفى النهاية طلب من اهلر أن يوقع له على حوالة مالية بجميع المبالغ التى قبضها وأصبح من المنتظر أن يتم زواج اهلر خلال مدة لا تزيد عن شهرين خصوصا وأن اهلر أصبح يقيم الآن فى منزل أنيق . وقد اشـــترى كل ما يلزم من الامتعة والمفروشات ـ وفى أحد الايام جاء رجل غريب وقابل اهلر وقدم اليـــه الحوالة المالية التى كان اهلر قد وقعها لحساب جانيك . وقال الرجل الغريب انه اشترى الحوالة من جانيك لانها أصبحت دين شرف خسرها جانيك فى القمار . وأدرك اهلر أنه لا يستطيع دفع المبلغ مرة واحدة وهـو كذلك لا يرغب فى دخول السجن وفى احراج مركز زميله جانيك وكان لا يستطيع أن يخبر أحدا عن الطريقة التى حصل بها على هذا المال وتم الاتفـاق على دعوة جلاوس للتشاور فى الامر ـ وكان جلاوس قد عاد من باريس بعد أن أنفق الاموال التى كانت معه ـ وبدأ الثلاثة يتشـاورون فى الامر ـ وكان جلاوس قد لقن الدور الذى يجب أن يقوم به فقال للمستر بيترسن: اننى أعرف أنك رجل غنى فان قصرك يقع فى المنطقة التى أعمل فيها . ان المبلغ المطلوب من اهلر ليس كبـيرا بالنســبة اليك ـ وأنا أعلم أنك

تحتاج فى بعض الاحيان الى خدمات وأعمال ليس فيها أى ضرر على أحد وأذكر أنك دفعت لى مبلغ ألف مارك عن خدمة بسيطة جدا لذلك أرجوك أن تفكر فى مسألة تنقذ المستر اهلر من هذه الورطة ٠

وقال المستر بيترسن : أعتقد أننى وجدت طريقة يمكن بواسطتها مساعدة المستر اهلر ـ فان لى صديقا من كبار المهندسين يعمل فى صناعة السفن للحكومة الالمانية وهو يقدم لها المناقصات من أجل هذا الغرض الا أن هناك بعض المنافسين الذين يقدمون مناقصات لمنافسة صديقى وأنا أريد الاطلاع على هذه المناقصات والتصميمات والخرائط الملحقة بها لكى يستطيع صديقى المهندس الكبير الفوز بالمناقصة وحده ٠ وهو مستعد لدفع الثمن نظرا للارباح الكبيرة التى تعود عليه اذا فاز بالمناقصة ٠ وليس من الضرورى نقل هذه المناقصات من مكانها بل يكفى أخذ صور لها ـ أو الاطلاع على البرقيات المتبادلة بشأنها وطريقة حل هذه البرقيات وهو عمل من اختصاص المستر اهلر ٠٠ وهو مستعد أن يدفع فى الحال المبالغ اللازمة لهذا الغرض ٠

وتمت الصفقات الاولى بكل سهولة دون أن يضطر اهلر الى سرقة أى شىء من أوراق مكتب الاشارة أو من أوراق هيئة التخطيط والتصميم ـ وبهذه الطريقة تم الوصول الى النص الكامل لسجل الشفرة السرية لجميع القوات المسلحة الالمانية ٠

واستطاع أحد الجواسيس الالمان فى لندن أن يرسل الى حكومته برقية يقول فيها أن السلطات البريطانية تملك السجل السرى للشفرة العسكرية ـ كما تملك الخرائط والتصميمات لاحد القطع البحرية التى تعتبر من أهم أسرار الدولة ٠

وفى نفس الوقت أرسلت قيادة البوليس فى كولون أحد رجال المباحث الى باريس للتحقيق فى حادث سرقة مجوهرات عالمية ٠ وفى صباح أحد الايام عندما كان هذا الضابط يغادر مكان نومه الى المطعم المجاور شاهد فى الممر رجلا عريض المنكبين يقف وقد وضع يديه فى جيوبه وهو يطل من أحد النوافذ وتذكر ضابط المباحث أنه شاهد هذا الرجل منذ بضعة أشهر وهو يركب أحد القطارات فى طريقه الى باريس ولاحظ رجل المباحث أن مظهر الرجل يختلف عن طبيعته ـ فان أناقته لا تتفق مع تصرفاته ـ وحجم يديه لا يتفق مع القميص الحريرى الثمين الذى يرتديه

وقرر ضابط المباحث أن يعرف شخصية الرجل وأن يراقبه ـ وتمكن بكل سهولة من أن يعرف أن هذا الرجل الانيق الذى يركب الدرجة الاولى فى القطار هو أحد رجال البوليس الالماني مع أن القانون لا يسمح للبوليس أن يسافر بالدرجة الاولى وتقدم ضابط المباحث الى السلطات المسؤولة يطلب الاطلاع على جواز سفر الشرطى الالمـانى • وعند ذلك عرف أنه الشرطى جلاوس وأنه قادم من ويلهلمهافن وذاهب الى باريس بالاجازة •

وأبرق ضابط المباحث الى السلطات المسئولة فى ويلهلمهافن يطلب منها شرح الموضوع دون أن يخبر جلاوس بأى شىء ووصل ضابط المباحث الى باريس من أجل البحث عن المجوهرات المفقودة • واخذه بعض أصدقائه الى احدى صالات الرقص • وهناك وجد أمامه الشرطى جلاوس وهو يجلس مع امرأة فاتنة • وكان يعدها بأنه سيعود حـالا ثم يترك المرأة لينصرف وطلب ضابط المباحث من زملائه أن يساعدوه فى الحديث مع الفتاة الجميلة وعرف أن اسمها ايفون التى حدثتهم عن الرجل الذى كان جالسا معهـــا فقالت انها لم تكن تعرف أنه من رجال البوليس بل كانت تظن أنه من كبار الاغنياء ـ وأن هذه هى المرة الثانية التى يزورها فى باريس وفى كل مرة ينفق عليها بسخاء وأنه فى المرة الاولى تلقى برقية فاضطر الى تركهـا فى باريس والعودة الى المانيا ثم عاد اليها ليزور معها جميع محـلات اللهو والرقص فى باريس وقالت انها ما زالت تحتفظ بالبرقية التى وصلته من ويلهلمهافن والتى كانت السبب فى اسراعه بالعودة • ثم قدمت البرقية الى ضابط المباحث •

وفى اليوم التالى عاد الضابط الى كولون ولم يستفد كثيرا من البرقية التى سلمتها اليه الفتاة اذ كانت البرقية تتالف من كلمتين وتوقيع المرسل ونصها هو : عد حالا ، والتوقيع بيترسون •

وعندما قدم الضابط تقريره الى السلطات المسؤولة تحدث فيه عن حادث الشرطى الذى زار باريس مرتين وحكاية البرقية التى وصلت اليه • وكان يعتقد أن المسألة عادية وأن هذا الشرطى نال رشوة وأراد أن يبعثرها فى باريس ولكن القائد العام لقوات الامن فى مقاطعة كولون أظهر اهتماما فوق العادة بالقضية واستدعاه الى مكتبه وأخذ منه البرقية وقال له : لقد قدمت لنا برهانا على مسالة خطيرة جدا • وقدم اليه القائد العام تقريرا فى ملف وطلب منه أن يقرأه وفيه تطلب قيادة الجيش العليا من مكاتب البوليس فى كل مكان مراقبة بعض الجواسيس الذين انتشروا فى المدن الساحلية

واستطاعوا الحصول على سجل الشفرة السرية وعلى بعض الاسرار البحرية الخطيرة • وأن المقر الرئيسى لهؤلاء الجواسيس يقع فى ويلهلمهافن • وأن رئيس الجواسيس هناك اسمه بيترسن وطلب القائد العام من ضابط المباحث أن يسافر فى الحال الى برلين ومعه البرقية ـ ولما عاد الضابط من برلين كان يحمل تفويضا من السلطات الالمانية العليا بمنحه السلطات الكافية بالسير فى القضية الى النهاية •

وسافر الضابط الى كولون وتعاقبت الحوادث بسرعة واحدة بعد الاخرى ووضع الشرطى جلاوس تحت المراقبة وظهر أنه لا يفترق تقريبا عن زميله جانيك وعن البحار اهلر وعن موظف فى بلدية ويلهلمهافن اسمه سوهر وظهر للبوليس أن هؤلاء الاربعة ينفقون أموالا أكثر من مرتباتهم • وأن اهلر قد أنفق مبلغا طائلا من المال لتأثيث منزل أنيق ـ وكان ضابط المباحث يراقبهم ليل نهار •• ، ولاحظ أن جلاوس وجانيك يقومان فى كل صباح بزيارة منزل ريفى منعزل وهو المنزل الذى يقيم فيه بيترسن •

وفى صباح أحد الايام قامت وحدات صغيرة من البوليس باعتقال جلاوس وجانيك فى منزليهما ونقلت كل واحد منهما الى سجن منفرد أما اهلر فقد اعتقل على ظهر الطراد الذى يعمل فيه •

ووجه ضابط المباحث اهتمامه الى اهلر ـ وبعد ساعة من الاستجواب اعترف اهلر بكل شىء • وقال انه عرض على بيترسن سجل الشفرة السرى ورسوم الطراد وغيرها ـ وشرح اهلر كل شىء ـ وذكر كيف أن جلاوس كان يساعد بيترسن فى الحصول على جميع المعلومات التى تلزمه ـ وأنه كان يغرى الكثيرين من الناس على التجسس لمصلحة بيترسن •

وفرض ضابط المباحث مراقبة دقيقة على المنزل المنعزل وأحاطه بنطاق من رجال البوليس المختفين فى المناطق والمخابىء القريبة من المنزل • وكان يبدو أن المنزل ليس فيه أحد فأرسل ضابط المباحث احد رجاله على شكل مفتش كهرباء وغاز ليدخل المنزل ففتحت له الباب خادمة وسمحت له بالقيام بعمله • ولما عاد أبلغ أنه لا يوجد أحد فى المنزل سوى الخادمة •

وكان ضابط المباحث يبحث فى هذه الاثناء عن المستر سوهر فلم يعثر عليه ويبدو أنه علم بالقاء القبض على جلاوس وجانيك ففر هاربا • ولذلك بات منتظرا أن يتصل بالمستر بيترسن وينذره •

وقد أظهر التحقيق أن عددا كبيرا من رجال البوليس ومن غيرهم كانوا يعملون فى خدمة بيترسن بواسطة جلاوس وجانيك • واستمر ضابط المباحث فى مراقبة المنزل ـ وفى احدى الليالى وصلت سيارة ونزل منها ثلاثة رجال وامرأة وهرولوا بسرعة عبر الحديقة واختفوا فى المنزل • وعند ذلك جمع ضابط المباحث جميع القوة التى كانت تحت تصرفه وأطبق بها على المنزل • وكان لديه عشرون رجلا مسلحين بمسدساتهم ثم طرق الباب فلم يرد أحد ـ وشاهد بعض الانوار تتسلل من وراء الستائر الموضوعة على النوافذ ثم طرق الباب مرة أخرى وقرع الاجراس ولكن لم يرد عليه أحد ـ وعند ذلك حطم احدى النوافذ ودخل المنزل مع اثنين من رجاله ثم تبعه عدد آخر وراحوا يفتشون المنزل فوجدوه خاليا • وكانت الابواب كلها مفتوحة ما عدا أحد الابواب فى الطابق الارضى فحطموه بأكتافهم ووجدوا أمامهم قاعة واسعة مجهزة بجميع الآلات التى تجعلها شبيهة باستديو تصوير ووجدوا الخرائط فى كل مكان ـ كما وجدوا عددا من آلات التصوير الناسخة ومولد كهربائى قوى مع مصابيح كهربائية كبيرة معلقة فى السقف •

وقام المفتش بالبحث فى أرجاء المنزل ولكن دون جدوى وفتشوا أقبية المنزل حتى عثروا على باب سرى يدور حوله مصراع واحد ويؤدى الى نفق يتسع لمرور رجل واحد ـ ومشى المفتش فى هذا النفق وهو يتحسس طريقه على ضوء المصباح اليدوى فوجد أنه طويل جدا ويؤدى الى منزل اخر بعيدا عن المكان • ومن هناك كانت سيارة استطاع بها جميع الجواسيس ومعهم خادمة المنزل الافلات من النطاق الذى ضربه البوليس حول المنزل •

وعاد مفتش المباحث الى الفندق ليستريح من عناء العمل فوجد أحد رجاله فى انتظاره ليخبره أن حلاوس هرب من السجن منذ ساعتين فاسرع المفتش الى السجن حيث علم أن جلاوس تمكن من الهرب بمساعدة بعض الجواسيس الذين خافوا من أن يشى بهم • وأن جلاوس استطاع أن يصل الى بريطانيا مع بيترسن وبقية الجواسيس •

وسافر مفتش المباحث الى لندن يحمل رسالة من السلطات الالمانية تطلب فيها القاء القبض على الشرطى الهارب وتسليمه من أجل محاكمته ورفضت السلطات البريطانية فى بادىء الامر الموافقة على التسليم لان القانون الدولى لا يسمح بتسليم الجواسيس ولكن مفتش المباحث قال ان التهم الموجهة الى جلاوس ليس فيها شىء عن التجسس بل ان السلطات الالمانية لديها وثائق وبراهين تدل على أن جلاوس اقترف عدة سرقات واضطرت السلطات البريطانية الى تسليمه للحكومة الالمانية ـ وفى يوم ٢٦ من يونيه عام ١٩١٣ حكم على جانيك بالسجن ست سنوات يضاف اليها ثلاث سنوات بتهمة السرقة ـ أما البحار اهلر الذى اعترف بجميع التهم المنسوبة اليه فكان قد حكم عليه بالسجن ست سنوات يوم ٢٧ من يونيو سنة ١٩١٢ .

على أن الذى دل على قوة الشبكة الانجليزية التى كانت تعمل فى ألمانيا قبل الحرب ، أنه فى ديسمبر سنة ١٩١١ أرسل الملازم ستينبيك من أسطول بحر الشمال من ويلهلمهافن الى كييل يحمل كل الوثائق السرية لقضية بترسون ، ولكن فى نهاية الخط الحديدى عند همبورج سرقت منه حقيبة الاوراق ، وقد حوكم الضابط الالمانى بمجلس عسكرى قضى باعتقاله لمدة سنة فى أحد الحصون .

٣

الكولونيل ريدل

في يوم ٢٦ من مايو سنة ١٩١٣ بعث مراسل براج لصحيفة اميتاج الالمانية والذى هو فى الوقت نفسه محرر جريدة بوهيميا التى تصدر فى براج : أن الكولونيل ألفريد ريدل رئيس أركان حرب فرقة براج من الجيش النمسوى قد انتحر فى أحد فنادق فينا اذ أطلق على نفسه النار .

وقد نشر هذا الخبر وفى يوم ٢٧ من مايو عام ١٩١٣ أبلغ رئيس التحرير فى برلين تلفونيا بما يأتى :

راجت شائعات غريبة فى براج حول انتحار رئيس أركان حرب الفيلق التاسع من الجيش النمسوى . وتقول هذه الشائعات أن انتحار الضابط لا يخلو من علاقته بحادث التجسس الذى اكتشف مؤخرا ، وان الكولونيل ريدل هو سليل عائلة فقيرة ـ ولكنه كان يعيش عيشة مترفة . وكانت قد صدرت اليه الاوامر بالذهاب الى وزارة الحرب فى اليوم السابق لانتحاره . وكان الكولونيل ريدل يقوم بمهمة الادعاء فى قضايا التجسس نيابة عن وزارة الحرب واستطاع بهذه الطريقة الاتصال بالاوساط التى أتاحت له الفرصة لاستغلال مركزه .

وقد نشرت هذه المعلومات أولا فى الجريدة البرلينية وبالرغم من أن محرر صحيفة بوهيميا التى تصدر فى براغ كان يعرف جيدا بأن الكولونيل المنتحر كانت له علاقة بالتجسس وكان المحرر يستطيع أن يتكهن بسبب الانتحار ولكنه رأى أنه من الافضل نشر الخبر فى جريدة برلينية لانه فى هذه الحالة يصبح من المتعذر على رقابة الصحف النمسوية أن تمنع نشر الخبر .. وكان يرى أنه من الضرورى اذاعة الخبر بين الرأى العام ولو انه حاول نشر الخبر فى جريدة بوهيميا أولا لمنعته الرقابة من ذلك ولن يصل الخبر الى علم الجمهور ، وكان من نتيجة نشره فى الجريدة البرلينية أن وقفت

عليه الاوساط العسكرية العليا وبادرت قيادة الجيش الالمـانى فى نفس اليوم الى سؤال السلطات العسكرية فى فينا عن حقيقة الخبـر ـ وقام مراسلو جميع الصحف العالمية الكبرى بمحاصرة وزارة الحربية فى فينا للحصول على مزيد من التفاصيل ـ كما قام كبار ضباط الجيش النمسوى بمحاصرة مكتب الوزير لمعرفة الحقيقة وأبلغت التفـاصيل الى الامبراطور فرانز جوزيف فى ظهر ذلك اليوم وطار عدد من مكاتبى وكالات الأنبـاء العالمية الى براغ وفينا ـ وكان هؤلاء المكاتبون من ذوى الخبـرة والمقدرة الفائقة فى تقصى الاخبار وبالرغم من الاوامر الشديدة التى أصدرتهـا السلطات النمسوية لعدم تسرب أى معلومات عن هذا الموضوع الا أنه لم تمض مدة قصيرة حتى أصبح الرأى العام يعرف أن الكولونيل ريدل أحد كبار ضباط الجيش النمسوى والمدعى العام فى وزارة الحربية قد أمضى سنوات طويلة وهو يعمل لحساب الجـاسوسية الروسية ـ وأنه باع الى روسيا جميع المعلومات التى لها أية قيمة عسكرية فى الجيش النمسوى . وكذلك جميع المعلومات العسكرية الالمانية التى وصلت الى يديه .

وبينما كانت صحف العالم تتحدث عن هذه الفضيحة فى الصفحات الاولى كانت الصحف النمسوية بسبب الرقابة الشديدة المفروضة عليهـا صامتة لا تستطيع أن تنشر شيئا من هذه الفضيحة ولكن محرر جريدة بوهيميا أراد أن يتحايل على الرقابة ويعطى فكرة شاملة لقرائه عن الموضوع فنشر الخبر على الشكل التالى :

طلبت منا السلطات العليا أن ننفى جميع الشائعـات التى انتشرت خاصة فى الاوساط العسكرية حول الكولونيل ريدل الذى انتحر منذ يومين فى فينا كما يعلم قراؤنا وأن نكذب ما يقـال من أنه أفشى المعـلومات العسكرية أو أنه كان جاسوسا للروسيا ، وأن اللجنة التى أرسـلت الى براج تضم ضابط برتبة كولونيل وآخر برتبـة ميجور واجتمعت مع البارون جيزل قائد الوحدات العسـكرية فى براج . وفحصت مكتب الضابط المنتحر وفتشت أوراقه انما كانت مكلفة بذلك من أجل التحرى عن جرائم أخرى من نوع مختلف .

وكما توقع المحرر مر هذا الخبر دون أن تمنعه الرقابة ..

* * *

نشأ ألفريد ريدل فى عـائلة فقيرة وكان غلاما صـغير السن عندما انخرط فى الجيش النمسوى ولم يكن له نفوذ أو أقارب لمساعدته على الترقية

ولكنه كرس نفسه لدراسة الفنون العسكرية واستطاع بمهارته أن يثير اعجاب رؤسائه وعين رئيسا للمخابرات فى الجيش النمسوى وهناك مايدل على أنه عند تعيينه فى هذا المنصب بدأ يشتغل لحساب روسيا • وأخذ يوجه عناية خاصة الى مكافحة الجاسوسية كما عين خبيرا فى المحكمة التى كانت تحاكم المتهمين بالتجسس لم يكن يبدى شدة متطرفة • وفى الواقع أن المساجين الذين كان يحاكمهم ، غالبا ما كان يخلى سبيلهم •

كما أنه كان يقوم بتنظيم أعمال التجسس النمسوى ضد روسيا وقد أتاحت له كل الظروف أن يتصل بجميع أنواع الجواسيس وكانوا فى روسيا يعرفون جيدا أن ريدل كان بارعا فى الكشف عن الجواسيس الروس ولذلك قررت المخابرات الروسية تقليم أظافر هذا الرجل الخطير • وكان ذلك ممكنا اذ كان هناك بعض الضباط النمسويين الذين يخدمون روسيا وكانت لهم علاقات مع ريدل وطبقا لخطة زمنية مرسومة أخذ عدد من النساء الجميلات يحاولن الاحتكاك بهذا الضابط وجذب اهتمامه بهن دون جدوى

ولا يعرف التاريخ اسم الجاسوس الروسى الذى نجح فى استمالة ريدل فقد استطاع هذا الجاسوس أن يكتشف جميع نقاط الضعف فى ريدل وأهم هذه العيوب هو أن ريدل لا يميل الى النساء بل الى الشذوذ الجنسى •• ووقع الضابط النمسوى ضحية لمكيدة شيطانية •• لم تعد النساء هن اللاتى تحاولن الايقاع به ، وانما الرجال •• وقد تمكن هؤلاء منه وسيطروا عليه ، واستمرت هذه الحالة عدة شهور • وفى أحد الايام تقدم هذا الجاسوس بكل جرأة ودخل مكتب ريدل وهو يحمل نسخة من مجلة ألمانية وفيها مقال بقلم ايجون كيش عن انتشار الشذوذ الجنسى بين ضباط الجيش النمسوى مع بعض الصور المخجلة التى أخفيت منها وجوه الضباط ــ وبينما كان هذا الجاسوس جالسا مع ريدل فى مكتبه دق جرس التليفون واستدعى ريدل للذهاب الى غرفة أخرى ــ وكان فى غرفة ريدل كل الأجهزة والوسائل التى تسجل كل حركة يقوم بها الزائر ولكن الجاسوس لم يقع فى هذا الفخ وانتظر الى أن عاد ريدل وعرض عليه المجلة ثم عرض عليه الصور الاصلية التى يبدو فيها وجه ريدل وهو فى وضع شاذ يثير فضيحة من أكبر الفضائح اذا ما نشرت هذه الصورة • وعند ذلك اضطر ريدل الى تعطيل جميع الاجهزة الموجودة فى غرفته لكى يتبادل الحديث مع الجاسوس الروسى دون أن يسمعه أحد واستمر الاجتماع بينهما بضع ساعات تحول بعدها الضابط النمسوى المخلص الى جاسوس

روسى وقبض الاموال التى عرضها عليها زائره ـ كما سلم لهـذا الزائر مجموعة من الوثائق الخطيرة التى برهن فيها على اخلاصه فى التعاون مع الروس ٠

وقد يسأل البعض لماذا لم يحاول ريدل اعتقال هذا المغتصب الذى يستغله أو قتله أو ترك الخدمة للعمل فى حرفة أخرى ـ والجواب على ذلك هو أن ريدل كان حريصا على سمعته ويخاف من الرأى العام ٠

ومنذ ذلك الوقت كان ريدل يحصل على مبالغ طائلة من المال مقابل ما يقدمه الى المخابرات الروسية من المعلومات التى تريد الاطلاع عليها ٠ وقد رسم تخطيط الحصون النمسوية ومراكز الحدود وجميع الوثائق الهامة وقدم هذه الصور الى العدو ٠

وفى سنة ١٩٠٣ طلب منه سادته الروس أن يقدم لهم مشروع التعبئة العامة للجيوش النمساوية والمجرية وهو المشروع الذى وضعته القيادة العليا لتنفيذه فى حالة وقوع حرب بين النمسا وروسيا ولم يتردد ريدل فى تصوير حتى هذه الوثائق الخطيرة وتسليمها الى العدو وبذلك يكون قد وجه ضربة قاضية ضد جيشه وهذه بالاضافة الى المعلومات التى سبق أن قدمها ريدل كانت السبب فى الاضرار الخطيرة التى لحقت ببلاده عندما نشبت الحرب فى سنة ١٩١٤ .

وبتسليم ريدل لمشروع التعبئة الىالعدو يكون قد قامبنوع منالنشاط الذى يعتبر كارثة على الجيش النمسوى ـ اتصلت المخـابرات النمسوية بضابط روسى واستطاعت أن تستميله ليصبح جاسوسا لها فى قيـادة وارسو وفى أحد الايام أرسل هذا الجاسوس أخبارا الى فينا قال فيها أن القيادة الروسية تملك الآن مشروع التعبئة النمسوى بكامل تفاصيله ٠ وقد أثار هذا الخبر دهشة شديدة بين كبار ضباط الجيش النمسوى فيما عدا الماجور ريدل بطبيعة الحال الذى باع بنفسه هذه المشروعات ٠ وكانت سير العمل تتضمن بأن يلقى على عاتق ريدل اكتشاف الشخص الذى سلم للروس هذا المشروع لان ريدل هو رئيس مكتب مكافحة التجسس ونظرا لما أثاره هذا الموضوع من ضجة كبيرة وكان من الضرورى على ريدل اذا أراد الاحتفاظ بمنصبه أن يكتشف ويعتقل الخائن ٠

وبدأ ريدل يقوم بجميع أنواع البحث والتحقيق ـ وفي أحد الايام اختفى ولم يعرف أحد الى أين ذهب ثم ظهر فجأة في مكتبه وأبلغ السلطات المسئولة أن المعلومات التي لديه والتي لا تقبل الشك تدل على أن الاشخاص الذين نقلوا الى روسيا مشروع التعبئة هم ثلاثة أشخاص وهم المستر هيكالو رئيس مكتب المحاسبة في قيادة لانبرج والميجور ريترفون فنوفسكي أحد كبار قيادة منطقة ستانسلاف والكابتن آخت مدير مكتب القيادة العسكرية في لامبرج ـ وقال ريدل للسلطات المسئولة أنه سيقوم ببعض التحقيقات قبل القاء القبض على المتهمين الثلاثة ، ثم حدث أن هرب المستر هيكالو بينما كان التحقيق السرى لا يزال جاريا واتضح أنه كان قد زور ايصالات لاخفاء الاختلاسات التي حصلت في الاعتمادات العسكرية واعتقل بعد ذلك في البرازيل وهو يحمل جواز سفر روسى وكان يضع نفسه تحت حماية القنصلية الروسية وأكد أنه رعية روسية وقال انه لا يعرف شيئا عن الهر هيكالو وأنه لم يحاول أن يقدم الى روسيا اية معلومات سرية ولكن البوليس البرازيلي وجد في حقيبة ملابسه سترة عسكرية نمسوية كان قد وضعها متعجلا في هروبه المفاجيء وعندئذ قبض عليه بتهمة التضليل واعترف في فينا بأنه كان يعمل جاسوسا لروسيا ولكنه أنكر واقعة تسليمه خطط التعبئة للروس •

ومن الواضح أن هذا الاعتراف قد أخذ منه بواسطة ريدل • وبما أن قانون تسليم المجرمين يمنع محاكمته بتهمة التجسس قد حوكم بتهمة اختلاس أموال الجيش • أما الضابطان آخت وفينكوفسكي فقد اعتقلا واعترفا بأنهما كانا يعملان في التجسس لحساب الروس ، ولم يتم هذا الاعتراف الا بعد أن عرض ريدل رسائل بخطهما مرسلة الى السلطات الروسية • أما كيف استطاع ريدل الحصول على هذه الرسائل ، فقد كان هذا سره الخاص •

وكان ريدل يريد أن يقدم خدمة جديدة الى روسيا • وفي نفس الوقت سد ثغرة بسيطة في الدليل على ادانة الاسرى الثلاثة فانه اقترح ريدل على لجنة التحقيق أن تطلب من الضابط الروسى الذى كان في خدمة المخابرات النمسوية في وراسو والذى أخبرها بوصول مشروع التعبئة الى الروس أن يرسل من عنده بعض الوثائق السرية من المكتب المركزى في فينا فأرسلت التعليمات المطلوبة فعلا ولكن بينما كان هذا الجاسوس يحاول في مكتبه بوارسو نقل بعض هذه الوثائق من ملفاتها في احدى غرف مركز

رئاسة الاركان حرب في وارسو كان قد دخلها بمفتـاح مصطنع ، فتح الباب فجاة ودخل عليه ثلاثة من الضباط الروس وصوبوا اليه مسدساتهم واعتقلوه ·

والمفهوم اليوم أن ريدل قد أغرى اخوانه الروس على تسليم هيكالو وآخت وافينكوفسكي حتى تقوم بعملية ناجحة ، وقد زودوه حتى بالادلة ضدهم · ولكنهم طلبوا منه خدمة معينة فى مقابل ذلك وهى يجب أن يسلم لهم أخطر جاسوس يخشونه في روسيا الذى كان فى حقيقة الامر ضابط الاركان حرب الروسى الموجود في وارسو ، وقد أوقعه ريدل فى الفخ وأعدم هذا الضابط بعد محاكمة عاجلة ·

وبالرغم من انكار هيكالو وآخت ونيكونسكى فقد رأت لجنة التحقيق ادانتهم بسرقة مشاريع التعبئة وهى تهمة ليست منافية للمنطق طالما أنه قد ثبت أنهم كانوا فى خدمة الجاسوسية الروسية · ولكن تبين بعد ذلك أن الاجراءات ضد الرجال الثلاثة اتخذت وجهة أخرى ·

وفى أثناء المحاكمة أعلن ريدل فجأة بأنه كان مقتنعا بأن هيكالو وحده هو الذى باع للروس مشروع التعبئة وأن الضابطين الآخرين كانا بريئين ، وأنهما قد ساعداه دون علم منهما بحقيقة أهدافه ولذلك كانا بريئين ولكن هذا القول من جانب ريدل ، وهو نفسه الذى قدم الادلة على ادانتهمـــا ، لم يؤخذ به وصدرت ضدهما أحكام بالسجن لمدد طويلة وقد أمره ســـادته الروس بأن يعمل على انقاذ الرجلين اذ من الممكن أن يخدما بلادهمـــا كضابطين عاملين ولكنه لم يستطع ·· واذ غضب الروس من فشـــله ، ألحوا عليه بطلبات أخرى ولم يطل الوقت حتى كان عليه أن يكشف لهم عن بعض أسرار الجيش ·

ويبدو أن السلطات الروسية أرادت أن تستغل ريدل بطريقة انتقامية وأن يزودهم بأسماء جميع الجواسيس الذين يعملون فى روسيا فاذعن ريدل لما طلب منه · وأخذ جهاز المخابرات النمسوى يتلقى الضربة تلو الضربة ــ وقبض على عدد من أكفـأ الجواسيس النمســويين الذين كانوا يعملون فى روسيا ، وعنـــدما أرسـل غيرهم من الجـدد المدربين حديثـا الى الحدود لاقوا نفس المصير المخيف ·

وحدث أن قام فرانس فريدناند ولى العهد النمسوى بزيارة القيصر الروسى كان يرافقه الملحق العسكرى النمسوى الليفتنانت كولونيل مولر وعندما وصل ولى العهد الى وارسو عائدا من موسكو تقدم كولونيل روسى من ضباط أركان الحرب وقدم نفسه الى مولر وعرض عليه مشروع التعبئة ضد النمسا وطلب مقابل ذلك مبلغا كبيرا من المال ودخل مولرفىمفاوضات دون أن يتشاور فى هذا الموضوع مع مكتب المخابرات فى فينا ثم اقترح على القيادة النمسوية أن ترسل اليه ضابطا بملابس مدنية يحمل جواز سفر مزور ومعه المبلغ المطلوب الى وراسو وتم تنفيذ البرنامج ودفع المبلغ ولكن الكولونيل الروسى اعتقـل فى الحال لان ريدل كشف أمره وكانت النتيجة أن هذا الكولونيل أطلق على نفسه النار عند القبض عليه ٠

ولكن أعظم خدمة استطاع ريدل أن يقدمها الى الروس كانت من نوع آخر مختلف ، فقد كان يوقف ، بطريقة رتيبة ، أى تقرير يرسله العملاء النمسويون فى روسيا ويتضمن معلومات عن زيادة قوة الجيش الروسى ٠ واذا كان أحد الجواسيس على درجة من الكفاءة بحيث يرسل تقاريره عن هــذه الزيارات على فترات متواليــة ، فان ريدل كان يكشف أمر هــذا الجاسوس للروس ٠٠ وكانت النتيجـة أنه عندما نشبت الحرب العظمى كان لدى الروس أربعة وستون فرقة لم يكن يعلم بأمرها لا النمسويون ولا حتى الالمان ٠٠

وكان المطلوب من ريدل فى بعض الاحيان أن يزور الجبهة للاطلاع على أحوالها وليكون على صلة بالاحداث العسكرية ـ ومن أجل هذا الغرض عين فى منصب رئيس أركان الفرقة المرابطة فى براج ـ وكان هــــذا المنصب الجديد يضطره الى تسليم العمل فى مكتب فينا الى شخص آخر تعاونه هيئة أركان حرب رسمية لتسيير أعمال المكتب والاطلاع علىالتقارير والرسائل ٠ وكان من المفروض أن لا يحاول هذا الوكيل الاطـلاع على الرسائل الشخصية التى ترد باسم ريدل ٠ ولكن الوكيل عنـد ما قـدم الى اللجنة العسكرية الرسائل كان من بينها رسالتان شخصيتان بعنوان ريدل وجرى فتحهما مع بقية الرسائل فوجد فى احداها ستة آلاف كرون نمسوى وفى الرسالة الثانية ثمانية آلاف وأثار هذا الامر بعض الاشتباه خاصه وأن هذه الرسائل التى تحتوى على مبالغ كبيرة قد جاءت بالبريد العادى مع أن الرسائلالمالية تأتى بالبريد المسجل ٠ ثم ان هاتينالرسالتين قد أرسلتا من بلدة أودكونين على الحدود الروسية ولكن زيادة فى الحذر ظهر أن الرسالتين مرسلتان لوضعهما فى صندوق بريد يقع فى المكتب

الرئيسي للبريد في فينا أي أن هناك أحد افتراضين هما أن تكون ادارة البريد قد أرسلت هاتين الرسالتين الى ريدل للاطلاع أو أن المطلوب من ريدل وضعهما في صندوق البريد المذكور ورقمه ١٣ ليأتي شخص آخر ويأخذهما وقررت اللجنة وضع الرسالتين في صندوق البريد وارسال بعض المخبرين لمراقبة هذا الصندوق واعتقال الشخص الذى سوف يأتي لاستلام الرسالتين ٠ وفى أحد الايام تقدم شخص وفتح الصندوق وأخذ الرسالتين ومضى مسرعا من مكتب البريد فلحقه المخبرون وشاهدوه يركب سيارة أجرة فسجلوا رقم السيارة وعثروا عليها فيما بعد وعلموا من سائقها أن الشخص نزل من السيارة ودخل أحد المقاهى فلحقوه الى المقهى وهناك علموا أن هذا الشخص غادر المقهى وذهب الى فندق كلومسير وادعى خادم فى بادىء الامر أنه لا يعرف اسم الشخص الذى يبحثون عنه ولكن رجال المباحث فحصوا سجل الفندق ووجدوا أن هــذا الشـخص هو الكولونيل ريدل ٠

وكان أحد رجال المباحث قد وجد حقيبة جلدية صغيرة فى سيارة الاجرة التى ركبها الشخص من مكتب البريد فطلبوا من خادم الفندق أن يعرض هذه الحقيبة على نزلاء الفندق ٠ وكانت النتيجة أن الكولونيل ريدل هو الشخص المطلوب واحتاروا فى آمرهم ٠ هل يجب عليهم ان يدخلوا عليه ويعرضوا عليه المسألة كلها ؟ وفجأة ظهر الكولونيل على باب الفندق فتقدم منه أحد رجال المباحث وسأله عما اذا كانت الحقيبة التى قدمها اليه الخادم هى حقيبة فعلا فقال نعم ثم تابع سيره كأن الامر لا يعنيه ٠ ولكن رجال المباحث تعقبوه ــ وأحس ريدل بالامر وتذكر أنه نسى الحقيبة فى سيارة الاجرة التى ركبها من مكتب البريد وأدرك أنه مراقب فغير اتجاه سيره وذهب الى جراج الفندق حيث تقف سيارته الخاصة ولكنه وجد أن رجال المباحث يسيرون وراءه وأدرك أنه قد انكشف ووقف فى الزقاق الضيق المؤدى الى الجراج وبدأ يخرج من جيوبه بعض الاوراق التى تثبت جريمته ويمزقها قطعا صغيرة ويرميها فى الهواء ــ وكان يعتقد أن رجال المباحث سوف يشغلون أنفسهم بجمع هذه الاوراق ولكنهملم يكونوا أغبياء فقد كلفوا واحدا منهم فقط بجمع الاوراق المتناثرة بينما سار اثنان منهم وراء ريدل ٠ واستمر ريدل عدة ساعات وهو يطوف شوارع فينا ٠ وفى أثره أحد ضباط المباحث ٠

وكان ضابط المباحث الذى انشغل بجمع الاوراق قد اتصل تليفونيا بمكتب بوليس الدولة وأخبرهم بما حصل ولكن الضابط المسئول توهم

أن رجال المباحث قد أصيبوا بلوثة من الجنون اذ لا يعقل أن يكون ريدل جاسوس بينما هو يتولى أكبر منصب لمكافحة الجواسيس فى الدولة ٠ ومع ذلك فقد أرسل أحد ضباط الامن الى مكتب البريد للتحقق من الامر كما طلب من وزارة الحربية ارسال بعض الوثائق المكتوبة بخط ريدل وكان طول الوقت يعتقد أن هناك سوء تفاهم فى الموضوع ـ وأن ريدل قد استلم الاموال فى عمليات سرية من الاعمال التى يقوم بها بحكم منصبه ـ ثم جاء رجل المباحث وهو يحمل قطع الورق التي تناثرت بعد أن مزقها ريدل وتم جمعها بسرعة وظهر أنها عناوين أجنبية وبينها أوراق تثبت بما لا يقبل الشك أن ريدل جاسوس ووقف الكولونيل فون أوربانيسكي رئيس المخابرات الذى خلف ريدل مذهولا لا يستطيع أن يفسر الحقائق التى استطاع أن يكتشفها ٠

وفى نفس الوقت كان الكولونيل ريدل يحس بأنه غير قادر على الافلات من رجال المباحث الذين كانوا يتعقبونه فعاد الى الفندق حيث وجد أحد أصدقائه فى انتظاره وكان هذا الصديق هو المدعى العام الدكتور فيكتور كولاك أحد كبار موظفى المحكمة العليا ـ وذهب ريدل ولولاك الى مطعم الفندق وبعد أن شرب ريدل بعض الخمر أزاح الكؤوس والاقداح جانبا وبدأ يتكلم فأخبر صديقه بكل ما فعل ٠ ومضى في سرد الحوادث التى قام بها والتى كانت كلمة التجسس تبدو سهلة بسيطة أمامها وطلب من صديقه أن يستدعى البوليس السياسى ويحصل على أذن للعودة فى نفس الليلة الى منزله فى براغ حيث يضع نفسه تحت تصرف رؤسائه ٠ ومن المحتمل أنه كانت لا تزال تراوده بعض الافكار للهرب عبر الحدود ٠

٤

جاسوس مثـالى

فى يوليو عام ١٩١٢ حوكم الجاسوس الالمانى ارمجـارد كارل جريفز بتهمة التجسس ٠ وقد كشف النقاب فى المحاكمة عن طبيعة ومدى نشاط جريفز ، وكان المتهم يجيب بهزة رأس مؤدبة على كل فقرة من ادلة الاتهام الموجه اليه ٠ وفجأة صاح القاضى : ولكنك حقا جاسوس مثالى !

واذا أردنا أن نروى قصة هذا الجاسوس المثالى فاننـا نصف معركة بين نابغتين حتى فى فن التجسس ٠ وأحد البطلين هو الجاسوس الالمـانى جريفز والثانى هو الضابط والجاسوس البريطانى الكابتن ترينتش الذى سبق أن ورد اسمه فى هذا الكتاب ٠

وكان الكابتن ترينتش أحد العملاء الرئيسيين للمخابرات البريطانية ، وقد كان دائما فى المقدمة سواء قبل الحرب أو اثنائها كلمـا اقتضى الامر الحصول على معلومات دقيقة ٠

دخل ارمجارد كارل جريفز المخـابرات الالمـانية قبل الحرب ببضع سنوات ٠ وقد درس الرياضة والهندسة فى المدارس الفنية الالمـانية ، وجند لخبرته فى الاسلحة ٠ وفى سنة ١٩١٠ اجتاز بحر الشمال للقيـام بمهمة ما ، فقد كان عليه أن يكتشف نوع المدافع التى تقوم احدى الشركات الهندسية البريطانية بصنعها ٠ وقد كانت هذه الشركة تنتج بعض المدافع للأسطول البريطانى وكانت المدافع من عيار كبير غير عادى ومزودة بمعدات آلية حديثة بالاضافة الى تقدير المسافات والاجهزة الفنية من روافع وأجهزة بصرية مما لم يكن معروفا بعد فى ألمانيا ٠ وكان الالمـان على يقين بأن مقاييس المسافة التى تنتجها الشركة هى أفضل ممـا كان لدى الالمـان ، لذلك كان لابد من معرفة هذه المسألة أيضا كى لا تظل ألمانيا فى المؤخرة ٠

وتقمص جريفز شخصية مواطن سويسرى . وحصل على الاوراق اللازمة وقبل أن يسافر الى الشمال أمضى فترة فى أحد مصانع الساعات حيث استطاع أن يمثل دور صانع ساعات متجول . وهذه الاشياء التافهة كتزوير أوراق من مؤسسة سويسرية لها شهرة عالمية فى الساعات كانت سهلة بالنسبة لمكتب المخابرات . وبعد أن حصل جريفز على هذه الاشياء انطلق الى لندن .

ولم يغادر جريفز لندن لفترة من الزمن كى يدرس ما حوله ويتقن اللغة الانجليزية تماما وليحصل على معلومات عن شركات الملاحة . ثم توجه شمالا الى أحد الموانىء حيث مركز الشركة الهندسية واستأجر غرفة رخيصة وراح يبحث عن عمل .

وتفقد المدينة فعرف مداخلها ومخارجها قبل كل شىء ، ولم يكن على عجل بشأن الحصول على عمل ، وقال لصاحبة المنزل ان معه بعض المال ادخره من عمله في سويسرا حيث كان يحصل على أجر طيب وبعد أسابيع عثر على عمل عند أحد النجارين كان يصنع صناديق لساعات الحائط وكان بحاجة الى عامل ماهر لضبط الساعات بعد وضعها فى الصناديق ويقوم ببعض الاصلاحات اللازمة . وتردد جريفز فى قبول الاجر ثم اتفق الطرفان على الاجر . ولبضعة أسابيع لم يبد العامل الجديد أى اهتمام خارج عمله . فقد كان لين الجانب استطاع أن يصادق أحد عمال المحل كانت له متاعبه الخاصة . وذكر العامل لجريفز أنه يعول أسرة كبيرة وأجره لا يكفيه لسد حاجات الاسرة . وكان أحد أبنائه يكسب شيئا من النقود لذا كان فخورا به فقد كان أكبر أولاده وقد أرسله الى مدرسة ممتازة . وكان لدى الابن موهبة فى الرسم فحصل على عمل فى أحد مكاتب رسم الشركة التى كان يهتم بها جريفز حيث يضع رسومات تستخدمها الادارات المختلفة .

وكان الاب يقدر الابن كثيرا . وتوطدت الصداقة بين جريفز والعامل الى حد أن جاء اليوم الذى ذهب فيه الاثنان لمقابلة الابن أثناء مغادرته لمكتب الرسم . وانتظراه خارج أبواب الشركة الى أن خرجت أفواج العمال ، وقابل الرجلان الابن وذهبا الى المنزل معا . وشكا جريفز فى أحد الايام من أنه غير مرتاح فى مسكنه لان صاحبته شريرة طماعة ، تضيف الى فاتورة الحساب لكل ابريق من الماء الساخن علاوة على أنه لا يجد من يتحدث معه فى المنناء . وتحدث جريفز عن رغبته فى البحث عن مسكن آخر . فأخبر العامل زوجته بأن صديقه يبحث عن غرفة مفروشة . وقال انه اذا

كان صديقه لا زال يبحث عن منزل جديد فهو يستطيع أن يقيم معهم فقد كانت في المنزل غرفة صغيرة خالية رخيصة الاجرة كما أنه يستطيع تناول وجبات الطعام معهم أيضا اذا أراد ويمكنهم الاتفاق حول تكاليف هـــذه الاشياء ٠

واتفق الرجلان حول الاجرة وذهب جريفز ليقيم مع العامل وأصـــبح يقضي الامسيات مع الابن الرسام ويروى له رحلاته وعن المصـــانع التى عمل فيها ٠

وابتهج الابن بصحبة جريفز الذى كان محدثا لبقا . وراح الابن بدوره يروى لهذا الصديق أسماء الشركات التى عمل فى مكاتب الرسم التابعة لها بينما راح جريفز يصف طريقة اعداد الرسومات العملية فى النواحى الهندسية الاخرى ٠ وهكذا كانا يقضيان ساعات فى الحديث ٠

وعاد الابن ذات يوم وفى جعبته أنباء كثيرة ٠ فقد تلقت شركتـــه اتفاقات هامة مع الحكومة لصنع مدافع بحرية لذلك يجب عليهم أن يعملوا وقتا اضافيا ٠ وجرى تنظيم ورديات فى الليل والنهار في جميع ادارات الشركة وشمل هذا الامر مكتب الرسم لان عليه نسخ وتكبير رســومات الآلات الدائرية وهو عمل شاق يتطلب دقة متناهية ٠ وفى هــذه الآونة أظهر جريفز الضجر من عمله فى مصنع النجارة ، وأعلن فى أحد الايام أنه سيبحث عن عمل فى حوض السفن أى فى المكان الذى تجمع فيـــه الآلات الدائرية ٠ وسأل مكاتب‌الشركة وذهب اليها للاستعلام ، ولم يوافق على طلبه لان استخدام الاجانب محظور فى حوض السفن ٠

واستاء جريفز من هذا ، وفى طريق عودته من مكاتب الشركة سأل عن مكتب الرسم حيث يعمل صديقه ، فقابله وحادثه قليلا ثم عـاد الى المنزل ٠

الى ذلك الحين كان جريفز يعيش حيـاة عامل مجد كفء ، وبدأ الآن تبدو عليه صفات أخرى ٠

وعرف جريفز من حديثه مع صديقه الرسام كيفية تنظيم الساعات فى مكتب الرسم ، وقد كانت غرفة الرسم التى يعمل فيها صديقه فى الطابق الارضى وهى غرفة صغيرة فى بناء طويل الشكل يتكون من طابق واحد ٠

وكان فى الغرفة رجلان يعملان أمام نافذة طويلة منخفضة ، وفى الليل يعملون على ضوء مصباح من المصابيح المنتشرة فى الشركة • وفى الوقت الذى قرر فيه جريفز بدء العمل كان صديقه يعمل فى الوردية الليلية • وكان أحد العاملين يترك مكتب الرسم فى الثانية مساء وفى الليل يبقى واحد يسلم العمل فى الرابعة صباحا • ومن الساعة الثامنة وحتى الساعة الرابعة صباحا تبقى الغرفة خالية ولا يعمل فيها أحد • وتأتى الخادمة فى السابعة صباحا •

وكانت رسومات الآلة الدائرية تنسخ فى هـــذا المكتب • وتحفظ الاصول فى خزانة حديدية موجودة فى الجدار وهى تفتح بمفتاحين •

ومع صديق جريفز مفتاحان ومع أحد العمال الآخرين المفتاحان الآخران

وكان جريفز يمارس احدى الهوايات فى أوقات فراغه • فقد كان مصورا هاويا وفنانا ، وكان صديقه يقوم له بدور الموديل • ووضع جريفز عدة رسومات لصديقه وأخذ له صورا عديدة بالالوان •

وفى الساعة الخامسة والنصف من صباح أحد أيام الشتاء حضر العامل من مكتب الرسم بعد انتهاء ورديته الليلية وبعد أن استغرق الفتى فى النوم تسلل جريفز وأضـــاء مصباحا فى غرفته وتوجه الى المرآة • وكان جريفز يشبه صديقه الرسام من حيث القامة والشكل ، غير أن شـــعره أسود كثيف بينما كان شعر الرسام أشقر اللون • ووضع جريفز شعرا أشقرا مستعارا فوق شعره واستخدم الاصـــبغة والالوان لتغيـــير ملامح وجهه وأصبح يشبه الرسام ولا فرق بينهما •

وراح جريفز يضع اللمسات الاخيرة على وجهه وشعره ثم أطفأ النور وهبط الى القاعة الصغيرة وقد تأبط صندوقا صغيرا • ثم خرج من المنزل الى الشارع •

وأسرع جريفز الى الشركة التى لا تبعد عن المنزل سوى عشر دقائق . ولبس المعطف والقبعة التى يرتديها الرسام ثم توجه نحو بوابة الشركة التى رأى صديقه يدخل منها • وجلس حارس عند البوابة فحياه جريفز قائلا : لقد نسيت شيئا فى المكتب • فرد له البواب التحية ودخل جريفز الى مقر الشركة • وقد عرف جريفز من زيارته السابقة موقع مكتب الرسم

فكان من السهل عليه الوصول اليه دون عناء ولا مشقة · وبعد هنيهة دخل جريفز مكتب الرسم · وكان يجلس قرب باب المكتب حارس عجوز استغرق فى النوم · وأفاق البواب عندما سمع صوت باب المكتب وهو يفتح ولمح شخصا يشبه الرسام الاصلى يقول له : لقد عدت لابحث عن شيء ودخل المكتب · وعاد الحارس العجوز الى مقعده واستغرق فى سبات عميق ·

واجتاز جريفز ممرا طويلا ثم اتجه الى اليسار ثم اليمين وفتح باب مكتب الرسم وأغلقه خلفه بهدوء ·

ولم يضع وقتا بل شرع فى العمل · وكان المصباح الخارجى ينير له المكان بالنسبة للمرحلة الاولى من العمل ، غير أنه أثار أعصابه · فاتجه الى النافذة وغطاها بقطعة قماش سوداء أخرجها من صندوقه · ثم أخرج المفتاحين اللذين أخذهما من سترة صديقه الرسام وفتح الخزانة واخرج الرسومات والتصميمات ووضع ثلاثة رسوم أصلية فى جانب وأعاد الباقى الى الخزانة ، وخلع معطفه ·

وأخرج بعض أدوات الرسم والدبابيس من جيبه وثبت الرسومات على الباب ثم أخرج آلة التصوير وصور الوثائق الثلاثة بمهارة وبراعة ثم أغلق آلة التصوير وأعاد الرسومات الى الخزانة وأغلقها ونزع قطعة القماش عن النافذة وفتحها ليدخل الهواء الى الغرفة ·

وخرج من المكتب وحيا الحارس الذى رد التحية وهو نائم ثم اجتاز الشارع وأسرع عائدا الى المنزل · وفتح باب المنزل بهدوء وأعاد سترة الرسام وقبعته الى مكانهما واختفى داخل غرفته ، حيث أزال الاصبغة من على وجهه ونزع الشعر المستعار وجلس أمام مصباح صغير أحمر وبدأ باخراج الصور وتحميضها · وبعد فترة وجيزة وضع على الطاولة ثلاث صور دقيقة للرسومات الاصلية ، وأعدم جريفز سلبيات الصور بعد أن أخذ صورة واحدة لكل من الوثائق الاصلية ·

ووضع جريفز الوثائق فى أنبوبة معدنية صغيرة دفنه فى الحديقة وحرص على معرفة مكانها · وبقيت الانبوبة هناك يومين · وبعد ذلك أخطر جريفز أصدقاءه يوم الاحد أنه سيذهب للقيام برحلة قصيرة ، لانه سمع أن أحد مواطنيه قريب من الميناء ·

ورحل جريفز فى الصباح · وغادر المدينة وسـار فى طريق ريفى · ولم يشاهد أحدا فى طريقه ، وكانت تمر به من حين لآخر احدى السيارات وكانت بجانب الطريق سيارة جلس سائقها الى عجلة القيادة على استعداد للانطلاق ، وتوجه جريفز نحو السيارة على مهل ولما لم يكن هناك أحـد يراقب المكان قفز جريفز الى السيارة فانطلقت بسرعة · ووقفت السيارة بعد بضعة أميال نزل منها رجل جنتلمان يرتدى معطفا ثقيـلا وله لحية كثة بيضاء ويضع نظارة ذهبية · ولم يكن أحد فى الطريق وجلس هـذا الرجل الى عجلة القيادة وانطلق لمرحلة أخرى ثم وقف · فنزلت من السيارة شابة حسناء ارتدت فراء فاخرا ثم جلست الى جانب السائق الجنتلمان · واتجهت السيارة ناحية الجنوب نحو لندن بأقصى سرعة ·

وكانت تنتظرهما شابة فى أحد فنادق لندن جلست فى احد المقاعد تتصفح احدى الجرائد ، فدخلا الفندق وهنا هتفت الفتاة الجالسة : عمى ، أهذا أنت ومعك اليزابيث أيضا ، كم أنا مسرورة لحضوركما ! دعونا نذهب الى غرفتى ·

وصعد الجميع الى غرفة الفتاة ، ولم يكن العم سوى الجاسوس كارل جريفز ،وكانت ابنته اليزابيث مواطنة بريطانية تعمل فى خدمة المخابرات الالمانية · وكانت اليزابيث هى همزة الوصل بين جريفز ورؤسائه وأخذت المقابلة طابع المشاورة بين عميلة المانية منالقيادة وبينجريفز وسكرتيرته .

وقدم جريفز الصور خلال المقابلة مما ابتهجت له العميلة الالمـانية وتقرر أنه من أجل سرعة توصيل المعلومات لابد لاليزابيث من أن تقيمفى المدينة ثم تقوم بنقل ما يحصل عليه جريفز الى برلين ·

وفى صبيحة اليوم التالى ، عاد جريفز الى عمله السابق واسـتاجرت اليزابيث غرفة متواضعة · وكان لديها الى جانب متاعها الشخصى حقيبـة صغيرة تضم مجموعة من الخيوط الحريرية · وأخبرت اليزابيث صـاحبة المنزل بأنها تعمل لصالح احدى شركات الحرير الهولندية ·

وتردد الجاسوس جريفز أربع مرات على مكتب الرسم متنكرا فى زى الشاب الرسام · وبعد انتهاء الزيارات الثلاث كان جريفز يتوجه فى المساء بعد فراغه من العملية الى مقهى صغير ويتناول قدحا من الشاى وتشاركه

الجلوس فتاة يبدو أنها أجنبية نظرا لأن الاثنين قلما ينبسان بكلمة ٠٠ وكانت الفتاة دائما هى التى تغادر المكان أولا ومعها صحيفة كانت تقرؤها

هذه الفتاة هى اليزابيث ، وفى داخل الصحيفة التى يكون الجاسوس قد استبدلها بصحيفة أخرى ، توجد الصور الفوتوغرافية ٠

واستعد جريفز للقيام بعملية هامة تفوق ما قام به من أعمال باهرة ٠ ففى الزيارة الاخيرة للمصنع استدعاه الحارس ليسأله عن أسباب عودته المتكررة لمكتب الرسم بعد انتهاء ورديته الليلية فرد عليه بضحكة امتنع بعدها الحارس عن سؤاله ٠ ومع ذلك فان زياراته لمكتب الرسم أثارت الانتباه لذلك قرر جريفز القيام بزيارة أخيرة للمصنع ، ولكنه عزم على أن يدخل مكاتب الرسم الاخرى ٠ وزود نفسه بالادوات التى يحتاجها لفتح الخزائن الحديدية ٠ وقرر ألا يلتقط صورا هذه المرة وانما يسرق الرسومات نفسها ثم يرحل من البلاد ٠

ولم يكن لدى جريفز أدنى شك فى أن هناك من يقتفى آثاره ٠٠

وكانت الامبرالية البريطانية حريصة كل الحرص على أن يتم تنفيذ الاتفاق الذى عقدته مع الشركة المذكورة بسرعة وبدقة بحيث يمكن تزويد بعض السفن التى سيتم صنعها قريبا بالمدافع الجديدة فى تاريخ معين ورأت الامبرالية أن سرعة العمل فى الشركة قد تجعلها لا تهتم باتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد التجسس على المدافع ٠

ولذلك ، ظهر الكابتن ترينتش فى المصنع فجأة ٠ ولم يكن يعرف أحد أنه فى الشركة وأنه حصل على عمل بسيط فيها كمفتش على البوابين والحراس والكناسين وخفراء الليل ٠ وكان من عمله تفقد حضور صغار الموظفين فى مواعيد العمل المحددة ، وبالاختصار فقد تولى عملا يسمح لها بأن يدس أنفه فى كل شىء ٠

وكان الكابتن ترينتش قد تولى عمله فعلا ، عندما توجه جريفز متنكرا فى زى الرسام فى زيارته الرابعة لمعامل الشركة ٠ ولم يكن شىء يغيب عن ترينتش ٠ ففى الصباح ، علم من الحارس أنه لم يجد شىء غير مألوف فى الشركة خلال الليل باستثناء شىء تافه وهو أن أحد الرسامين نسى شيئا فعاد الى مكتبه لاحضاره ٠

واستفسر ترينتش لماذا كان من السهل عليه أن يفعل ذلك أو عمن لديه مفاتيح مكاتب الرسم المختلفة ؟ فعلم أن الابواب لا تغلق أثناء الليل ، فاستفسر من الرسام المذكور . وتبين له في النهاية أن الرسام عاد الى مكتبه خلال الشهر الماضي حوالى أربع مرات في الساعات الاولى من الصباح.

فتساءل ترينتش في قرارة نفسه عن سبب هذه العودة ثم سار في طريقه .

وكان مقتنعا في نفسه أن هناك شيئا غير طبيعي في عمل هذا الرسام. لذلك توجه بنفسه الى مكتب الرسم . ولم تكن الخادمة قد حضرت بعد فدخل الى غرفة الشاب الرسام .

ولم يمض ترينتش بضع دقائق في المكتب حتى أدرك ماذا حدث . فقد استنشق هواء الغرفة ولاحظ احتراق مادة مغنيزيوم في الغرفة وهي التي تستعمل في التصوير ، فانبطح على الارض وعثر على شظايا من هذه المادة فعرف على الفور أنها رماد شريط من المغنيزيوم .

وتفقد أنحاء الغرفة بدقة ، فعثر على ثقوب في بابها ، ولما كان رجلا لهخبرته فقد عرف القصة . وهي أن الرسام يقوم بتصوير الرسومات أثناء عودته في الليل .

ولم يقوم ترينتش على شيء في البداية وأظهر أنه لا يعتزم الاهتمام بالامر . وفي ذلك الحين علم جريفز من اليزابيث - أن لجنة تفتيش قد حضرت الى الشمال لاستلام المدافع والاجهزة التي صنعتها الشركة . وأفراد اللجنة هم من ضباط البحرية والمهندسين ومعهم خطط تتعلق بأسلحة هامة قد تعطى اتفاقية صنعها للشركة نفسها .

وفي ذلك الحين أيضا ، عاد الرسام الى منزله وقال ان مكاتب الرسم يجرى نقلها ، وعلم جريفز منه أن الرسومات الاصلية ستوضع في خزانة مكتب صديقه حيث سيقضي هناك يومين حتى يتم اجراء التعديلات . وعلم جريفز من اليزابيث أيضا أن عملاء المانيا في لندن أخطروا برلين بأن الكابتن ترينتش وهو من أفضل جواسيس الانجليز . قد أرسل الى الميناء حيث يعمل جريفز ، وسيبقى ترينتش هناك بعض الوقت ، ولا يعرف شيء عن مهمته .

ولم يجد النوم سبيلا الى عيون جريفز فى تلك الليلة . فقد كان يفكر فى الرسومات التى نقلتالى خزانةصديقه الرسام . ولكن لماذا جاءترينتش الى الشمال فجأة ؟ وكان يعرف اسم هذا الشخص ويعرف أنه منالجواسيس الاذكياء . وواتته فكرة فجائية ، فقال الا يحتمل أن يكون هناك صلة بين الامرين . وشعر فى قرارة نفسه أن تعليله صائب . فوضع خطة يستطيع بواسطتها أن يصل الى الحقيقة .

وعادت الامور فى المصنع الى مجراها الطبيعى . فقد توقفت الورديات الليلة ، وعاد صديقه الرسام الى عمله فى النهار فقط .

وذات مساء ، عاد الرسام من عمله اليومى ، وتذكر جريفز أن صاحب المعمل الذى يشتغل عنده طلب منه أن يضع له بعض الرسومات ، ولـكنه نسى البوصلة . وكان معمل النجارة بعيدا ، والليل هادئا جميلا ، فطلب جريفز من الرسام أن يذهب الى الشركة لاحضار بوصلته .

وكانت الساعة الثامنة تقريبا . ومضت ثلاث ساعات ولم يعد الرسام وغادر جريفز المنزل بهدوء فقد كان الجميع نياما وحمل معه جميع حاجياته وذهب الى غير عودة .

وقد صح ما توقعه جريفز . فقد مر الرسام بحارس البوابة ودخل الى مكتبه ، وعندما توجه لاحضار البوصلة فتح باب المكتب وتوجه شخص اليه وكشف له عن شخصيته ثم ألقى القبض عليه .

وقد بوغت الرسام . وحقق معه الكابتن ترينتش واثنين من مديرى مديرى الشركة . وسألوه عما كان يفعله ابان زياراته الليلية السـابقة لمكتب الرسم . وصعق الرسام أمام المحققين ولم يحر جوابا ، وقال انه لم يعد الى مكتبه أثناء الليل أبدا ، وهو لا يعرف ماذا يريدون منه ، وقد أصر على انكاره حتى عندما ووجه بحارس البوابة وحارس المكتب .

وفى الوقت الذى كان مديرو الشركة يصرون على أن الفتى يكذب طرأت للكابتن ترينتش فكرة . فسأل الرسام الذى انفجر باكيا عن سببعودته الى مكتبه فى تلك الليلة . وعندما سمع الكابتن ما رواه له الفتى عنصديقه الساعاتى السويسرى والبوصلة التى أرادها توقف ثم اتصل تليفونيـــا

باثنين من رجال البوليس وتوجهوا جميعا نحو بيت الرسام وكان الوقت يقرب من منتصف الليل • ولما لم يجدوا أحدا أدرك الكابتن ترينتش أن العصفور قد طار ، واستطاع أن يكون فكرة عما حدث •

وكان جريفز أيضا يفكر فى أحداث تلك الليــلة • فعندما لم يعد الرسام أدرك أن شيئا لا بد قد حدث وأنهم يستجوبون الرسام • وأن أى تحقيق سيكشف الستار عن وجوده ، ولذلك فقد هرب •

وفى هذه الاثناء وصلت اللجنة التى ورد ذكرها ونزلت أحد الفنــادق الرئيسية • وحضر فى أحد الايام زائر من لندن هولندى طاعن فى السن وهو محام وله بعض الاشغال المدنية • وتحادث هــذا الزائر مع بواب الفندق والخدم وأجزل فى العطاء لهم فاحبوه كثيرا •

وكان الكابتن ترينتش منزعجا فى قرارة نفسه آنذاك، وسببانزعاجه أن عملاء الانجليز فى برلين أبلغوه بأن جاسوسا ألمانيا حصل على معلومات هامة عن المدافع الحديثة • وقد سرت شائعات سرية فى برلين حول ماحدث فقد قيل ان جاسوسا ألمانيا حصل على أسرار ونقلها الى برلين بواســطة امرأة • ولعن الكابتن ترينتش عندما أدرك أن الجاسوس قد أفلت منه لانه كان على يقين بأن الرسام الشاب والذى اعتقل فترة وجيزة حرصــا على الامن • برىء من هذا العمل •

وبدأ ترينتش يراقب أفراد اللجنة التابعة للامبرالية • لانه شعر بأن بأن الجاسوس الالمانى اذا كان لا يزال فىالمدينة فسيحاول الاتصال باللجنة

وكان الكابتن ترينتش يعيش حياة مزدوجة ، فيقضى جزءا من وقته فى مراقبة مصنع الشركة الهندسية ، ويقضى الوقت الآخر فى الفندق متنكرا فى زى رجل أعمال ألمانى •

وراح تريينتش يدرس توقيعاتنزلاء الفندق سرا ، ثم عكف علىدراسة الاشخاص أنفسهم ــ وتركزت شكوكه فى أربعة منهمــمن بينهم الهولنديين ولكنه لم يصل الى شىء محدد •

ثم أظهر الكابتن شخصيته الى مدير الفندق •

وفى صباح اليوم التالى ، استيقظ الهولندى من نومه على صوت تحطيم زجاج أحد النوافذ ، فقفز من فراشه وتوجه نحو النافذة فشاهد سلم رصد تلسكوبى قد وضع قرب الفندق • وكان هناك شخصا على السلم القريب من نافذة الهولندى ومعه بعض الادوات • واعتذر الشخص للهولندى لانه سيشتغل بشىء ما على السطح لذلك اصطدمت أدواته بنافذة الغرفة فحطمت لوح الزجاج • ثم حضر الخادم واعتذر بأن لوحا من الزنك كان على وشك السقوط من السطح فاستدعوا شخصا لاصلاحه الا أنه كسر النافذة فلم يقل الهولندى شيئا وعاد الى فراشه •

وفى صبيحة اليوم التالى بعد الافطار كان الهولندى يجلس فى ردهة الفندق ويقرأ احدى الصحف • فحضر اليه أحد الخدم وقال له ان هناك من يريده على التليفون فتوجه نحو التليفون وهنا هجم عليه شخصان ثنوا يديه الى الوراء وقيدوه بقيد حديدى • ونزع الكابتن ترينتش شعر الهولندى المستعار وابتسم وهو يضعه فى جيبه •

وقال الكابتن : هل تعلم معنى كسر النافذة ؟ لقد أردت أن أعرف ما اذا كان لون شعرك أسودا فى الليل •

وترك ترينتش سجينه فى حراسة اثنين من المخبرين وذهب الى صندوق التليفون الذى استدعى اليه جريفز •

فقال • هالو !

فأجاب صوت : أهذا أنت جريفز ؟

نعم ، جريفز يتكلم •

وقال صوت نسائى : متى ستقابلنى ؟

فرد ترينتش : سآتى حالا ، ولكن أخبرينا أين سنلتقى ! فقالت : ماذا تعنى ؟ لقد حددت لى أنت مكان الالتقاء •

فقال ترينتش : طبعا ، لقد فعلت ، ولكنى نسيت •

فذكرته اليزابيث بالمكان ، فأجاب عليها بأنه سيحضر حالا ٠

لم يكن جريفز هو الذى دخـــل الى المقهى حيث كانت تنتظر ، بل ترينتش الذى حضر ومعه عدة رجال من البوليس السرى ٠

وكان من حسن حظ ترينتش أن مقهى الفندق لم يكن فيه من الزبائن سوى رجل وامرأة حملت صحيفة وأوراقا عليها اسمهـــا فالقى القبض عليها ٠

ولم يستطع الكابتن ترينتش أن يحصل على اعتراف من جريفز حول حصوله على صور من مكتب الرسم فى الشركة الهندسية ٠ كما أن أمتعة الجاسوس لم تكن تحوى أى دليل الى أن مزقت حقيبته ٠ فقد عثر بين طيات الحقيبة على أدلة ملموسة ٠ اذ عثر على أوراق شفافة فيها رسومات تتضمن تفاصيل المدافع الحديثة ، كما عثر على أنبوبة فيها بعض السموم ٠ وكذلك عثر على شفرة تلغرافية ٠ ووجد لدى اليزابيث أشـــياء مماثلة ٠ وطاف ترينتش مع اليزابيث بمكاتب التلغراف فى المدينة ٠ وتذكر بعض الموظفين أنهم شاهدوا اليزابيث فى الماضى ٠ وجيء بأصول البرقيات التى أرسلتها وهى تحوى سلسلة أرقام وتبدو وكأنها رسالة عادية مرسلة الى هولندا وبتوقيع لا يثير الشكوك ــ توقيع شركة السادة بوروز ، ويلكوم وشركاهم

وقدم جريفز للمحاكمة فى يوليو سنة ١٩١٢ ، ووجهت اليه تهمـــة نقل معلومات الى الحكومة الالمانية عن الاسطول البريطانى وعن الدفاعات الارضية بالشفرة ٠ ويعتقد أن جريفز اكتشف ونقل معلومات وأسرار عن المدافع التى كانت تصنع آنذاك واستطاعت السلطات أن تحل الشـــفرة التى كانت تحوى علامات لكل قطعة من القطع البحرية البريطـــانية ٠ أما الوحدات المختلفة مثل ابحار سرب يتكون من عدة قطع مثلا فيرمز اليها بعدد من الارقام ٠ على أن هذه الارقام لم تكن تقرأ كما كتبت وكما أرسلت تلغرافيا ٠ وانما كان يقتضى أن يطرح منهـــا أولا الرقم ٢٧١ من الرقم الاجمالى ــ حقا كانت شفرة دقيقة تدل على النبوغ ٠

وأثناء سير المحاكمة كان جريفز مثال الشخص الجنتلمان المثقف وكان الحكم بسيطا ــ عبارة عن السجن لمدة ثمانية عشر شهرا ٠ ولو استطاع ترينتش أن يثبت قيام جريفز بتصوير الخطط فى مكتب الرسم لكان الحكم أشد وأقسى ٠

ونقل جريفز الى السجن لقضاء مدة العقوبة • وبعـد أن مضت أيام في السجن ، طلب السماح له بارسال رسالة الى الكابتن ترينتش ، فكان له ما أراد وتلقى ترينتش رسالة من جريفز يرجوه أن يزوره فى السجن •

وذهب ترينتش الى السجن • وقال جريفز انه يحترم العمل العظيم الذى قامت به المخابرات البريطانية • وانه استاء من الطريقة التى عاملته بها المخابرات الالمانية • لذلك اذا عاد الى ألمانيا بعد اطلاق سراحه سيطرح طرح النواه • فهل يريد الكابتن ترينتش الاستفادة منه ؟

وأنصت ترينتش الى هذا العرض وأمعن النظر فيه • وكان يعلم ان جريفز شخص ذو مقدرة كبيرة ، وأن الالمان لن يشتبهوا فيه ، ولكن لم يكن يدرى أيقبل هذا العرض أم يرفضه •

ثم فاجأه جريفز بأشياء جديدة • ففى الزيارة الثانية ، ذكر جريفز للكابتن ترينتش بأن مفاوضات سرية وعسكرية تدور بين ألمانيا واليابان فى أمريكا • وقد بدأت هذه المفاوضات قبيل اعتقاله • وذكر جريفز له أسماء الاشخاص الذين سيوقعون هذه الاتفاقية بل وذكر اسم السفينة التى ستنقل دبلوماسيى ألمانيا الى نيويورك •

واتصل الكابتن ترينتش بجواسيسه فى نيويورك وبرلين وأخطرهم بما حصل عليه من معلومات • فجاءته الردود بصحة ما جاء على لسـان جريفز وأن اليابانيين المذكورين ينزلون فى الفندق الذى ذكره جريفز كما أن بعض الغرف حجزت لدبلوماسيين ألمان • وصدق ترينتش قصة الجاسوس الالمانى • ولم تمض أيام حتى خرج جريفز من السجن وتعهـد جريفز بالسفر الى نيويورك للحصول على تفاصيل الاتفاق العسكرى الذى سيعقد بين ألمانيا واليابان ولنقلها الى الانجليز •

ورافقه الكابتن ترينتش فى السفينة المتوجهة الى نيويورك • وكانت السفينة انجليزية ، لذلك لم يشعر جريفز بالحرية الا عندما وصل الى أرض الولايات المتحدة المحايدة • ثم كتب الى الكابتن ترينتش ما يعتقد بأنه بنود الاتفاقية بين ألمانيا واليابان • وقد شعر أنه بذلك قد فعل أفضل ما فى استطاعته ردا على ما عهده فيه الكابتن ترينتش من ثقة وتقدير •• ثم اختفى بعد ذلك الى الابد ••

٥

الدكتورة الجاسوسة

هذه قصة أعظم جاسوسة المانية خدمت بلادها قبل الحرب وأثناءها ٠ وأما اسمها الحقيقى فلا يعرفه بل حتى لا يعرف بوجودها غير قلة من الناس ، وقد أشار الكولونيل نيكولاى الى اسم هذه الجاسوسة عرضا فى كتاب له ٠ وقال عنها انها أفضل الجاسوسات باستثناء أحد الضباط الجواسيس ٠ وقصتها خيالية فقد كانت نهايتها رهيبة ٠ وكان عملاء العدو وجواسيسه يعرفونها باسم الدكتورة ، واما اسمها الحقيقى فهو أنيمارى ليسر وكان منزل عائلتها فى تيرجارتنستراس فى برلين ٠ وعندما كانت فى السادسة عشرة من عمرها أحبت كارل فون وينانكى ـ وهو كابتن فى حرس الهوسار ٠ وكما كانت علاقتها به عميقة ولم تكن دون عواقب فقد طردها أبوها من المنزل ووضعت طفلا ميتا٠واستقال الكابتن وينانكى من الحرس ولكنه استدعى للجيش من جديد وعين فى كتيبة السكة الحديد برتبة كابتن ٠ وكان وينانكى طموحا مجدا فى واجباته لانه كان يأمل فى أن ينقل الى هيئة أركان الحرب ٠ وفى هـذه الفترة كانت صديقته أنيمارى ليسر تعيش فى برلين ، ولم تكن لديها خطط معينة فيما يتعلق بالمستقبل ، وكانت تعيش على ما يرسله لها الكابتن من نقود ٠ وعندئذ حلت كارثة بالكابتن وينانكى ٠ فان ممتلـكات عائلتـه التى كان يديرها اخوته قد تراكمت عليها الديون ، وقل ما كان يحصل عليه شهرياً من أملاكه ٠ وفى ايجاز فانه قد أصبح فى حالة يرثى لها ٠ وقد أصر رئيسه القائد على أن يسدد وينانكى الدين أو يستقيل من الجيش ٠ وفى غمرة الكارثة ذهب وينانكى الى برلين ليستشير أحد رفاقه السابقين فى السلاح كان برتبة لفتنانت كولونيل (مقـدم) فى هيئـة أركان الحرب ٠ ودبر الكولونيل مقابلة بين الكابتن واحد كبار الضباط المعروفين فاحاله هذا الى شخص يدعى ماتيسيوس له مكتب فى يولوستراس ٠ وهذا المكتب الذى يبدو عليه أنه وكالة سيارات وقطع غيار ـ كان فى الواقع مكتب مخابرات ٠ وكان الكابتن على استعداد لكل شىء اذا سدد دينه واستمر فى تزويد اينمارى ليسر ببعض المـال ووافق على العمـل كجاسوس فى

سبيل وطنه • وبعد أن سدد ديونه ، سرح من الجيش ، فقابل الهير ج• ماتيسيوس فى مطعم فنــدق أدلون • وكان ماتيسيوس شــخصا ضئيل الحجم بارز الوجنات صغير العينين •

وبدأ ماتيسيوس الكلام وقال له دون مقدمات ، هذا ما يجب عليك أن تفعله • اليوم هو الاربعاء • والليلة ستذهب الى باريس بقطار المساء • فى باريس ستذهب الى مكتب مونيير وشركاه ، وعنوانه فى هذه الورقة ، احفظ العنوان عن ظهر قلب ثم مزق الورقة •

ان شركة بونيير صغيرة ، لأن أصحابها مضطرون الى الاقتصــاد فلا يوجــد لديهم كتبــه فى الوقت الحاضر وهى تتعــامل فى كل مــا يختص بالسيارات والاطارات ولها علاقات مع شركتى • وقد حضر شخص الى الشركة يعرض عليها رسومات مدفع أتوماتيكى ، وهو مدفع ميدان يطلق النار بسرعة كبيرة جدا • وانت جندى ولابد أنك تعرف شيئا عن هــذه الاسلحة • والثمن المطلوب عن هذه الرسومات هو خمسة آلاف مارك • وستحمل معك هذا المبلغ نقدا ثم تشترى الرسومات اذا اقتنعت بقيمتها• ولا تشتريها الا اذا تأكدت أن السلطات العسكرية الفرنسية قد قبلت فعلا هذه الرسومات وانها مستعدة لصنع مدافع من هذا الطراز • ولن تتصل بى تلغرافيا أو بريديا ، ولكن بعــد أن تنتهى من عمــلك سواء بصــورة ايجابية أو سلبية عد الى برلين واتصل بى تلفونيا ومن ثم نجتمع فى مكان ما • وانت تدرك يا كابتن أن المهمة خطيرة ، واذا لم تستطع القيام بها فلن أدعوك بهذا اللقب بعد الآن • اليك شيكا بنفقاتك •• والى اللقاء •

وتوجه وينانكى الى باريس واتجه رأسا نحو مكتب مونيير وشركاه • وكان الموظف الوحيد فى الشركة شخص صامت قليل الكلام قام بتقديم وينانكى فى تلك الليلة الى شخص حقير المظهر قال أنه تعامل كثيرا مــع شركة مونيير وكان يقتضى أن أربع وعشرين ساعة أخرى قبل أن تصــله رسومات المدافع من شخص آخر وتولى الــكابتن التفاوض ، ثم اســتأذن السيد بيسارد مندوب شركة مونيير ، وانطلق مع الشخص الذرى المظهر الى الفندق الذى ينزل فيه • وهناك شاهد الرسومات وظل يفحصها لمدة ساعتين • وجلس الفرنسى ينتظر ثم وافق على العودة فى اليوم الثانى فى نفس الساعة •

وفى تلك الليلة توجه وينانكى الى السيد بيسارد فى منزله وطلب منه أن يعطيه شــهادة وعليهـا صورة تشــير الى أنه يعمــل فى الشركة كمهندس ، وان يحصل على جواز سفر باسم أى شخص كى يســافر الى سويسرا فى اليوم التالى • وقال الكابتن لقد حصلت على الصــور هنــا واعتقدت فى برلين أن شيئا من هذا سيلزمنى وقد ذهل المسيو بيسارد وقال للالمانى أن مثل هذه الاشياء لا تتم بمثل هذه السرعة كما تتصور ، وأنها قد تستغرق أسبوعا على الاقل وجلس وينــانكى على حــافة فراش الفرنسى وراح يقدح زناد فكره عما سيفعله بعــد ذلك • وفجــأة واتتــه فكرة •

فقال : حسنا ، لقد أخبرونى أنك رجل ذو خبرة وانك تفهم تجارتنا• ألا تعتقد أن الناس فى برلين سيعتريهم الذهول اذا علموا أن عميلهم فى باريس شــخص أحمق معتوه ؟ • ولمــاذا نحن ندفع لك ؟ لتخبرنى أنك لا تستطيع أن تحصل لى على جواز سفر مزور فى خلال بضع ساعات ؟

ومال بيسارد على فراشه ودفن رأسه بين الوسائد • واعتقد وينانكى أن الفرنسى تأثر من تعنيفه له • والارجح أنه كان يدهش لو عرف أن الفرنسى انما كان يحاول أن يكتم ابتسامة تدل على الارتياح •

وحصل الكابتن وينانكى على جواز السفر وفيه اسمه جورج ينويج• وقد أعجب جدا بدقة تزوير الطابع الرسمى على الاوراق • ثم أقدموينانكى على فعل شىء أثار البهجة والسرور عندما علمت به أوساط الجاسوسية فى العالم • فقد ذهب وينانكى مباشرة الى عرين الاسد ـ الى مقر هيئة الاركان الحرب الفرنسية وهناك عرض رسومات المدفع الاوتوماتيكى على الكابتن المهندس النوبتجى • وقد أسعفته ذاكرته القوية • وأثناء الليل عمل وينانكى فى نسخ الرسومات التى حصل عليها الما شاهدها الضابط المهندس لاول وهلة أزاحها جانبا •

وقال الضابط : أنك تخبرنى بأنك خبير فنى ، وانك تضيع وقتك فى مثل هذا العمل • فياعزيزى اننى أنصحك بالصيد أو لعب كرة القدم أو زيادة عدد أبنائك ولكن لا تضيع وقتك فى خطط تافهة كهــــذه • أن المدفع المصمم سينفجر عند الطلقة الثانية •

وقال الكابتن فى نفسه : نعم ان المدفع سينفجر • ثم استأذن من الضابط الفرنسى وراح فى سبيله •

وفى اليوم التالى ، بعد مضى ساعة من وصول اكسبريس باريس الى برلين اجتمع وينانكى بالهير ماثيسيوس •

وقال وينانكى : لقد أيقنت أن الخطط تافهة • واذا أردت أن تطلق عدة قنابل وبسرعة ومن اسطوانة واحدة بمثلهذا المعدل من سرعةالطلقات فيجب أن تجد وسيلة مختلفه تماما لتبريد الماسورة ، ولكن لايوجد نظام يكفى للتبريد • ثانيا لا يوجد نوع من خزانات الجلسرين ذات الانطلاق الذاتى تصمد أمام سرعة اطلاق القنابل • وللتأكد من هذه الامور سألت ضابط فرنسيا والمهندسين فى القيادة العامة •

فبوغت مانيسيوس وقال : من سألت :

فأجاب وينانكى لقد سألت خبيرا فنى فى هيئة أركان الحربالفرنسية ثم أخبر ماتيسيوس ماذا دار بينه وبين الضابط الفرنسى •

ونظر ماتيسيوس الى ساعته فاكتشف ان لديه موعدا هاما • وطلب من الكابتن أن ينزل فى مكان ما فى برلين حاليا وان ينصل به فى مكتبه•

وفى تلك الامسية ، اجتمع ماتيسيوس و بيسارد •

وقالبيسارد : لقـــد حضرت خصيصا من باريس ، لاخبرك بأنك استخدمت شيطانا هو المدعو وينانكى • ولست بحاجة الى أن أقول لك بأنه عرف تفاهة الرسومات من اللحظة الاولى • ولكن هل تعلم أنه ذهب الى هيئة أركان الحرب الفرنسية ؟ •

فاذا قال لك ذلك فقد صدق لاننى اقتفيت أثره • وقد اجتاز الرجل التجربة بنجاح ويمكننا استخدامه • ولكن كن حريصا ، لانه اذا علم أننا كنا نختبره فليرحمنا الله • وهو أقوى منى مالم أكن مخطئا •

وكان وينانكي يجلس ذلك المساء قرب فراش محبوبته اينماری لیس لانها مريضة • ولم يكن هناك شيء محدد فيما يتعلق بها ، ولكن احتمال حياتها بعيدة عنه أوصلها الى اليأس ، ورأى الكابتن أنه ما لم يستطع أن يحدث تغييرا شاملا فى حياتها فسيحدث مالا تحمل عقباه • وطرأت له فكرة خلال الليل • وبعد خمسة أيام طلب منه ماثيسيوس أن يتبع طريق نهر ميوز من سورس الى دينان وان يهتم ببعض التفاصيل ، فاصطحب اتيماری معه • وفي ستراسبورج عندما أبلغ وينانكي انيماری بما يعمل وبعد صراع داخلي عنيف رأى أن متاعبه لم تنته بحال من الاحوال • فقد ظهرت الفتاة خوفها من أخطار هذا العمل وانتابها بكاء هستيری ، ثم استعادت هدوءها بسرعة • وبعد اسبوع بينما كان الاثنان يسيران على امتداد مجرى النهر وكانت الفتاة قد تقبلت الوضع الجديد لانها لم تعد تفترق من صاحبها أبدا وكان هذا كل شيء بالنسبة لها •

وتلقى ماثيسيوس بعد أسابيع تصميمات دقيقة للغاية عن التحصينات الجديدة فى حصون الميز ، وخططا عن الخطوط الحديدية الاستراتيجية الموجودة فعلا والمنشأة حديثا ، والتى لم تكن مرسومة على أى خرائط خاصة بهذه المنطقة •

ونوجه الجاسوسان بعد ذلك الى شارل فيل ومعهما تعليمات مفصلة ، عن مكان بداية خط تحصينات الميدان الاول في قطاع شارلفيل - فيردون بالسفر من الشمال الى الجنوب واين النقاط القوية والضعيفة فيه ؟ وفى هذه المرة كانت انيمار تعرف بدقة ما هو المطلوب منها ، ورأى وينانكي أن معرفتها باللغة الفرنسية التى حصلت عليها فى مدرسة سويسرية داخليه يوازى معرفته • واكتشف وينانكى بسرور لا يخلو من خوف أن لصاحبته طريقة خاصة تعامل بها الفلاحين ورجال البريد وموظفى السكة الحديد وغيرهم ، وكان هؤلاء القوم يسرون لرؤية أنيمار ويخبرونها بكل ما تسألهم عنه • وبعد أن مضى على أنيمار فترة فى صحبة وينانكى أدركت واجبات عملها الجديد•وكانت تدرك بسرعة ماهية المعلومات اللازمة وكيفية الحصول عليها • وامضى الرفيقان فترة تجولا خلالها على الشاطىء بين شارل فيل وفيردون • وكان وينانكى - الذى بات اسمه جورج نيوويج ويحمل جواز سفر سويسرى - يحمل حقيبة وضع فيها كتبا عن علم النبات ولوازم عالم النبات •

وفي مساء أحد الايام ، كان الاثنان يقيمان في فندق صغير في احدى قرى فرنسا عندما استيقظت انيمارى من نومها وايقظت صاحبها وقالت له هامسة : هناك من يقتفى أثرنا • وكانت تلهث بصوت مسموع • ولم تستطع النوم من جـديد • وانسلت من فراشـها بهـدوء ، وتطلعت من النافذة ، وكانت قلقة وخائفة مما جعل وينانكى يشاركها القلق • وفي اليوم التالي توجها الى شارل فيل ومنها الى كولون • وعلى أي الاحوال كانا قد فرغا من عملهما ، وكان في بطانة معطف وينانكى صفحات عديدة من الورق الشفاف وقد ملأه بالرسوم والرموز •

وكان من المقرر أن يصل القطار في ربع سـاعة ، ووقف وينـانكى وانيمار ينتظرانه على رصيف محطة شارل فيل وفجأة رأى انيمارى أمامها شخص يرتدى رداء رمادى اللون وشريطا أحمر في عروة سترته وتذكرت أنها رأت هذا الشخص أربع مرات في الاسبوع الاخير • وأدركت أنه كان في زى الحطابين في الغابة وقد تحدثت اليه وسألته • وتذكرت الآن أنها رأته ليلة الامس في بار الفندق الصغير وقد ارتدى ملابس المزارعين ••• ثم أفاقت من تفكيرها وهي تشعر بانها تحت المراقبة •

وكان الرجل ينظر حوله ، ولم يكن يستطيع رؤية الفتاة ووينانكى لانهما كانا يقفان وراء صندوق البريد • وفجأة ضغطت انيمارى على يد صاحبها ، فنظر الى وجهها فوجده شاحبا • وشاهد الاثنان الرجل الذى كان يتحدث الى خمسة رجال ثم دخل الى مكان صرف التذاكر ، وبعد هنيهة شاهدا رجلين طويلين يقفان أمام مكان صرف التذاكر وقد أمسكا بقضيبين ثقيلين وكان وينانكى وانيمارى لا زالا وراء صندوق البريد•وعاد الشخص الاول ذو الشريط الاحمر مكان الانتظار وانتقل الرجال الخمسة الى نهـاية المحطة وراحوا يسيرون ببطء فوق الرصيف الرئيسى • ولم يكن باستطاعة هؤلاء أن يروا ما وراء صندوق البريد • ولكن ماذا سيحدث اذا اقتربوا من المكان ؟ • وهنا قررت انيمارى شيئا ، وهمست في اذن صاحبها ببضع كلمات فتبعها على الفور حتى وصلا الى مكان صرف التـذاكر من الجهـة اليسرى ، وعند الحاجز الخاص بصرف التذاكر وقف الرجلان اللذان يحملان قضيبين ثقيلين • وفي هذه اللحظة تقدمت أنيمارى الى الحاجز من ناحية اليمين واسرعت الى أحد الشخصين وامسكته من معطفه وقالت له : أسرع لقد طلبوا مني احضارك ــ انني اعمل في الامن ، لقد قبضوا على الجاسوسة وعلى الرجل أيضا ولكنهما يقاومان وهما يحملان مسدسات •

فشكرها الرجل والقى نظرة سريعة على هذه الفرنسية الحسناء واسرع مع رفيقه ، وعندما جرى الرجلان دخلت انيمار مع صاحبها من الحاجز ، ولما خرجا من المحطة أسرعا هاربين ، ثم توجها للمنطقة الريفية • ووصلا الى احدى القرى فى عربة ثم نزلا منها ، ولما بدأت البرقيات تصل الى القرية عن هربهما ركبا عربة أخرى ثم سيارة حتى عبرا الحدود البلجيكية ، ووصلا فى النهاية الى شارلروا ومنها ركبا القطار الاكسبريس الى كولون • واجتازا الحدود الالمانية بسلام ، وفى الصباح أعلن وينانكى أنه يشعر بألم داخلى عنيف •

وفى كولون نزل وينانكى من القطار وهو يئن متوجعا ولم يكن يستطيع السير فتوجه الى مستشفى سانت فنسانت وكانت تلك الليلة بالذات نهاية المصير القاسى لفترة حب أنيمارى اذ مات الكابتن كارل فون رينانكى نتيجة انفجار الزائدة الدودية وبقيت صاحبته وحيدة دون مصير سوى نفسها الحزينة •

وحصلت سلطات المستشفى على عنوان عائلة الضابط المتوفى وتذكرت الفتاة أن صاحبها أخبرها أنه اذا وقع له طارىء فعليها أن تتصل بسرعة بالهير ماتيسيوس فى بولو ستراس ـ برلين •

وارسلت البرقيات الى جميع من يهمهم الامر • وفى فندق دوم قابلت انيمارى أقارب صاحبها عند وصولهم • ثم ذهبت الى شقيق حبيبها وسألته عن موعد الجنازة فأخبرها بأن هذا لا يهمها ، وان العائلة ترجوها ألا تحضر جنازة الرجل الذى تعتبر هى مسئولة عما حدث له • ولم تكن العائلة تعلم شيئا عن أعمال وينانكى الاخيرة ، وكانت مقتنعة بأن الفتاة هى التى أوقعته فى المأزق الذى قضى عليه •

وانطوت الفتاة على نفسها فى حجرتها وانخرطت فى البكاء وفجأة دخل عليها ضابط من حامية كولون وقال لها أن لديه تعليمات بأن يطلب منها أوراق ونيانكى • وقفزت انيمارى على قدميها ، وكانت فى غمرة الحزب قد نسيت الاوراق التى وضعت فى بطانة معطف الميت • وعندما كانت العائلة مجتمعة فى المستشفى حول نعش الفقيد الذى ارتدى الملابس التى مات فيها تقدم ضابط من العائلة ومعه عدد من المدنيين وقال : بأمر القيادة القامة ! ان الجثة ستوضع تحت الحراسة •

ودهشت العائلة وعلاها الارتباك ، ولم يعرفوا سبب ذلك • وقبل موعد الدفن بنصف ساعة أعيدت الجثة وسمح بدفنها •

وفى تلك الليلة ، زار الضابط المذكور انيمار للمرة الثانية• فرفضت أن تفتح الباب فى بادىء الامر لأنها لا تريد مخاطبة أو مشاهدة أحد وانما تريد أن تتبع صاحبها الى القبر • وخاطبها الضابط من وراء الباب وبعد مضى وقت فتحت انيمار الباب ، فدخل الضابط وأول ما فعله أن أفرغ رصاص مسدس كان على المنضدة • ورافق الضابط الفتاة الى محطة السكة الحديد وطلب منها عند وصولها الى برلين أن تذهب مباشرة الى الهير ماتيسيوس وأعطاها عنوانه واستردت الفتاة أثناء رحلتها الى برلين نشاطها وحيويتها وعند المحطة قابلها شخص ضئيل الجسم لم يكن سوى ماتيسيوس ـ وطلب منها أن ترافقه • وقد عرفها ماتيسيوس على الفور سيدة شابة حزينة • وعلى المنضدة فى مكتبه كانت الاوراق المكتوبة التى عثر عليها فى معطف المتوفى وبجانبها خرائط وبوصلة وورقة • وبدأت الفتاة تشرح مذكرات صاحبها الراحل وتشير الى المواقع على الخرائط هنا الى اليسار هيئة أركان الحرب ، وهذه الخطوط هى الخطوط الحديدية الهامة واما هذه فخنادق ، وهذه المراكز احتلتها القوات فى المناورات الاخيرة وهكذا • وكان ماتيسيوس يصفر من أسنانه • واستطاع الاثنان بعد ساعات أن يحولا المذكرات الى خريطة لاحدى مناطق الحدود • واستمرت انيمار فى تفسير المذكرات بدقة بينما راح ماتيسيوس يرسم المناطق فى هدوء ، وعندما انتهيا من العملية ولاحت تباشير الفجر شد ماتيسيوس على يد انيمارى وقال لها : كيف استطعت القيام بذلك ؟ اعتقد أنه يجب أن نتقابل صباح الغد •

ونامت انيمارى فى منزل مانتيسوس وكانت تبكى أثناء نومها • وفى هذه الاثناء كان شخصان يقطعان حديقة المنزل جيئة وذهابا ، وأحدهما هو ماتيسيوس وأما الآخر فكان يناديه بيا صاحب السعادة •

وقال صاحب السعادة : أعتقد أن اقتراحكم غريب • وان قيام الفتاة بحل رموز مذكرات ونيانكى وشرحها لا يعنى أنها استطاعت الحصول على مثل هذه الاشياء بنفسها •

مايسيوس : أننى أعرف أشياء عن زملائى • وعلى كل حال ، فاننى أحبذ تجربة الفتاة ، بالاضافة الى أننى أرثى لحالها •

صاحب السعادة : اذا كنت ترثي لحال الفتاة فساعدها على أن تكسب قوتها من العمل مربية أو مدرسة • ولا يمكن للمرء أن يرسل فتاة شابة مثلها فى مهمات خطيرة •

ماتيسيوس : انها لن تحيد فى طريقها لتتجنب الخطر • وسترى أننى على صواب •

صاحب السعادة : افعل ما بدالك • فأنت تعرف ماذا تفعل •

وفى ظهيرة ذلك اليوم جلست انيمارى أمام ماتيسيوس وقد شحب لونها من كثرة البكاء والنحيب • ثم سألها : ماذا تريدين أن تفعلى الآن ؟

فقالت : لا أعلم ، لا شيء •

فقال : ولكن يجب أن تفعلى شيئا ؟

قالت أننى سأضع نهاية لحياتى •

فرد عليها : وهل تعتقدين أن هذا هو ما أراده لك صديقك الراحل ؟

فقالت : اذن ، فسأفعل شيئا ينسينى كل شيء عن نفسى •

وساد الصمت بينهما : وراح ماتيسيوس يعبث بالخرائط والبوصة

ثم تكلمت انيمارى وقالت : هل أستطيع ••••؟

فقال : نعم تستطيعين اذا شئت • أصغى الى • ستذهبين الى جبال (الفوج) Vosges وستحصلين على كذا وكذا •••

واجتمع الاثنان مرة أخرى ، وانكبا على الخرائط والمنشورات الرسمية التى يصدرها الجيش الفرنسى الى أن لاح نور الفجر وبدأت أعين الفتاة المرهقة أن تلمع مرة أخرى وتنافس الرجل فى بياناته المختصرة وتدلى باقتراحات ، وترفض هذا الاقتراح وتقبل ذاك • ثم وصل الاثنان الى اتفاق نهائى وتصافحا دليلا على تفاهمهما التام •

وفى اليوم التالى ، نزلت انيمارى فى أحد الفنادق .

وبعد أيام وصلت فتاة تبدو فى السادسة عشرة من عمرها ومعها حقائبها الى أحد البنسيونات فى بسمارك ستراس ـ شارلوتنبرج . وأسدت أنيمارى ضفيرتيها وراء ظهرها ، لحسن الحظ كانت الفتاة صغيرة ونحيلة .

ورافق ماتيسيوس الفتاة الى المحطة حتى ركبت القطار المتوجه الى كولمار . وراقب رحيل الفتاة شخص عجوز اقترب من ماتيسيوس بعد أن سافر القطار وقال له : أنت مجنون ، ان الفتاة مجرد طفلة . ولكن ماتيسيوس قال له : تمهل يا صاحب السعادة وسترى .

وفي أيام الخريف الجميلة وصلت انيمارى ليسر طالبة الاداب منجنيف الى قرية فوج الفرنسية . وكان جواز سفرها السويسرى يقول أنها فى السادسة عشرة من عمرها ، وفى البنسيون أصبحت محط انظار الضيوف والخدم على السواء . وكانت تذهب يوميا فى نزهة الى الجبال . وحينما ذهبت كانت تتعرف الى أصدقاء جدد .

وكان الفلاحون يساعدونها فيعملية التصوير ، وموظفو السكة الحديد يشكون اليها من كثرة ساعاتالعمل ، وكان الحراس يرشدونها الى الطريق الصحيح ويخبرونها بأن هذه الطرق والممرات سترمم عما قريب وعن الطريق الجديد التى ستنشأ هنا وهناك .

.فى مساء أحد الايام ، عادت الى البنسيون فوجدت الصخب يعم القرية . فقد وصلت الى القرية احدى فرق الجيش التى ستقوم بمناورات وكان عليها أن تعسكر هناك وكانت قد قرأت عن المناورات فى الصحف المحلية وقد ورد ذكرها فى صحف باريس والصحف الالمانية . وفى ذلك المساء جلست انيمارى الى جانب ضابط برتبة كابتن وقد احاط به عدد من صغار الضباط ونزلا البنسيون واقيمت حفلة رقص فى تلك الليلة وشرب الجميع كثيرا وفى الصباح توجهت الفرقة الى مكان المناورات .

وتبعتهم انيمارى ليسر ـ طالبة الاداب فى عربة يجرها حصان واحد وكان الكابتن قد دعاها الى ذلك .

ومن المناورات عرفت انيمارى قوة الفرق الفرنسية ، وادركت من النظرة الاولى أن أكثر من فيلق اشترك فى المناورات • وقبل مغادرتها برلين قرأت أنباء عن المناورات الكبرى للجيش الفرنسى وادركت الفارق الكبير بين التصريحات الرسمية وبين المناورات التى كانت تشاهدها الآن •

وقال أنيمارى : لم أشاهد مدفعا من قبل ، وفى ذلك المساء طافت مع الكابتن بمراكز المدفعية •

وكانت أنيمارى لا تكل ولا تتعب ، وتبعت القوات فى تنقلاتها • وعرفها الجنود وكانوا يبتهجون لرؤية فتاة جميلة فى ملابس ذات الوان زاهية ، وبدأ الكابتن يستعيد شبابه ويزهو فى السير ، لأن الفتاة كانت تلتقط له صورا عديدة فى مواضع مختلفة • ولم يلحظ الضابط أن الفتاة كانت تلتقط دائما مع الصورة منظر لبعض البطاريات أو نظام الخنادق ، وكيف كان يمكن أن يلحظ ذلك وعيناه لا تنظران الا الى الفتاة الجميلة ، وفى احدى الامسيات وفى جو شاعرى عرض الضابط على أنيمارى أن تتزوجه • واعترضت انيمارى على ذلك قائلة : ماذا تفعل زوجة بنفسها ؟ وما هى واجباتك ! وراح الكابتن يشرح لها الامر بالتفصيل الوافى فقد كان ضابطا ذا خبرة واسعة • وقد شق طريقه من جذرى حتى بلغ رتبة النقيب ولم يكن يعرف شيئا خارج مهنته : وقد اغتبط عندما حدثها عن هذه الامور • ولم يكن من السهل عليه أن يخبرها بالمخترعات الحديثة•

وقال لها أنهم يحضرون كل شيء فى هذه الايام ، وقد قسمت المواقع بصورة مختلفة الان ، كما أن منطقة اطلاق النار مختلفة وعلى المرء أن يجارى هذه الاشياء • وقد كنا نفعل كذا وكذا فى الماضى ، أما الآن •

ولما بدأت رياح الشرق تهب قررت انيمار أن تذهب لاستشارة أمها ، واستأجر الكابتن سيارة لها ، ورافقها ضابط وجاويش مع كتبها وآلة التصوير حتى أوصلاها الى الحدود • ولم تفتش الجمارك أمتعتها ، وأوضح الجاويش لسلطات الجمارك أنه لا يرغب أن يضايق أحد خطيبة رئيسه الكابتن • وكانت الصور على حالها لم تحمض ، وقالت الفتاة للجاويش أن الصور هامة وستبعث للكابتن بصورة •

ومن قبيل الاحتياط لكل الطوارىء ابتاعت أنيمارى تذكرة سفر الى جنيف ، ولكنها قبل أن تصل الى تلك المدينة انتقلت الى اكسبريس برلين ٠

وفي عربة النوم ظلت مستيقظة ، وعندما نامت كانت تبتسم ، وشعرت بأن وينانكى لو كان لاغتبط بما فعلته ٠

وفي اليوم التالى استقبلها ماتيسيوس فى مكتبه ٠ وقال لم تعد المدفعية الفرنسية تستخدم وهى مكشوفة وانما تغطى حتى فى المناورات فمن الذى خدعك بهذه الرسومات التى أحضرتها الى ، وتطلبين منى أن أصدق أن الفرنسيين سيحفرون خنادق فى المستقبل للقتال فى الاراضى السهلة المكشوفة ٠

« أعطنى سيجارة ، فقد اعتدت على التدخين ٠ لا تخف ، اننى أدخن عندما أكون وحيدة فان هذا لا يليق مع سنى الرسمى أتعتقد أنهم ضحكوا على ؟ ثم ما رأيك فى هذه الصور ؟

وصمت ماتيسيوس لحظة ، ثم راح يصفر : ان هذه مسألة حساسة سأكون صريحا معك ، هذا أعظم اكتشاف عرف منذ سنوات ٠ نحن الالمان لازلنا نرفض تغطية مدافعنا ، وهؤلاء الفرنسيون يحفرون الخنادق لمدافعهم ان هذالشىء هائل ٠

وبعد أربعة أيام اتصلت انيمارى بماتيسيوس وقالت له : لا يمكننى احتمال ذلك ، لا أستطيع أن أعيش بلا عمل ٠ أين سأذهب الآن ؟

فقال لها ماتيسيوس : حسنا ، الى بيفرلو Beverloo ٠

وبعد عملية (الفوج) التى نجحت فيها كانت تحصل انيمارى على راتب منظم من ماتيسيوس ٠ واعطيت رقما يعرفها به العملاء الآخرون ، وتستخدمه عند الطوارىء اذا اتصلت برئيسها ٠ وكان رقم واحد وأربعة « ج » و G-W .1-4 وبقيت انيمارى فى برلين طيلة شتاء ذلك العام ٠

وقامت أنيمارى مع ماتيسيوس بمراجعة المعلومات السرية الخاصة بأسلحة الدول الاجنبية ٠ وكانت جاسوسة ذات كفاءة ونشاط ٠

وتعرفت انيمارى على كبار العملاء السريين الذين قد تتعاون معهم يوما ما فى أماكن أقل أمانا من برلين • وفى ربيع سنة ١٩١٤ سافرت انيمارى الى بلجيكا • وكانت مهمتها أن تتفقد الريف حول بلدة سانت سنباستيان ـ وميدان المناورات الكبيرة فى بيفرلو القريبة من حدود هولندا • وبالاضافة الى هذا الحصول على احصائيات عن اسلحة الحصون البلجيكية الرئيسية • وعدد المدافع الموجودة فى قلاع لييج ؟ وعيار المدافع ؟ وتنظيم سير المياه في أنهار وقنوات بلجيكا ، والاراضى التى يمكن غمرها بالمياه فى حالة الحرب وحالة سكك الحديد ؟

وفى احدى حدائق الفندق الانجليزى الشتوية فى بروكسل دعا بعض الضباط البلجيكيين الى اقامة مأدبة عشاء للاحتفال باحدى المناسبات• وفى تلك الامسية دخلت انيمارى ليسر قاعة طعام الفندق • ولم يذكر اسمها عند مسجل الفندق • وقد اتخذت لنفسها اسما فرنسيا وحصلت على جواز سفر فرنسى على أساس انها من مواطنى باريس • وفى تلك الليلة مر ملازم بلجيكى شاب يدعى رينيه أوستن بقاعة الطعام ، وعندما مر بمنضدة انيمارى سقطت كأس الى الارض ، وصرخت الفتاة الشابة التى وقعت منها الكأس كانت هى الفتاة الجميلة التى شاهدت المناورات فى الفوج • وقد أحدثت الكأس جرحا فى يدها وسال دمها على غطاء المنضدة فتهاوت من الالم • وكان رينيه أوستن شابا مهذبا ، فأسرع الى جانب الفتاة ورافقها الى خارج الغرفة • واحضر لها رباطا وجلس الاثنان فى بهو الفندق •

وفال رينيه : ان الكوب المكسورة تجلب الحظ •

فابتسمت انيمارى وقالت : لنأمل ذلك •

وعلم الضابط أن محدثته فنانة وهى تعتزم البقاء فى العاصمة البلجيكية حتى قدوم الصيف تدرس خلالها وتنسخ الصور الموجودة فى المتاحف الكبرى • وتقابل الصديقان عدة مرات فى متحف فيرتز كما كانا يتقابلان أيضا فى غابة كامبر فازدادت أواصر الصداقة بينهما ، وقبل مضى وقت طويل كان رينيه أوستن يقضى جميع ساعات فراغه فى صحبة صديقته الطالبة التى تدرس الفن •

وعلم الضابط البلجيكي آن صديقته فرنسية متحمســة في وطنيتها وتكن حقدا شديدا للالمان • وكان أبوها ــ الذى توفى منذ وقت طويل ضابط فى الجيش الفرنسى وقد ورثت الابنة عن أبيها حبه للجندية •

وان جيش الشــعب الفرنسى شىء يفخر به المرء : ومــاذا عن الجيش البلجيكى ؟ لا يمكن مقارنته بالجيش الفرنسى !

فاحتج الضابط الشاب وقال : ولكن جيشنا لا بأس به ، وهناك أشياء حسنة وأخرى سيئة عندنا •

واختفت انيمارى اسبوعا من الزمن • واستبد القلق بالضابط الشاب ولكنها عادت فجأة • فقد تجولت فى الريف ترسم مناظر طبيعية وغيرها • وأظهرت للضابط بعض الرسومات اليدوية الجميلة ــ كتلال ذات أشجار وجسر على قناة وهكذا • وكانت هناك أشياء اخفتها الفتاة عنه • وقــد ارسلت الى عنوانها في برلين حقيبة مليئة بالرسومات الزيتية ــ منهــا حصان على كثيب ، طاحونة هوائيــة ومنظر غــابة وغــير ذلك • وازال ماتيسيوس القماش من على الصور فوجد تحتها رسومات هامة •

وفى ظهيرة يوم ما ، وقفت سيارة رشيقة ذات مقعدين من أحدث طراز أمام الفندق ، وقد ابتاعتها انيمارى • وكان أوستن سائقا ممتازا• وأرادت أنيمارى أن تشاهد الريف البلجيكى •

وطلب أوستن وقد غرق فى حب الفتاة الى أذنيه ، أجازة أسبوع ، وطاف بالسيارة مع الباريسية الشابة • وطاف الاثنان بمنطقة بيفرلو ، وقد أثار المكان اهتمام انيمارى بصفتها ابنــة ضــابط سابق فوجهت الى صديقها مئات الاسئلة • ثم زارا بعض الحصون والاستحكامات والتى لم يجد أوستن كضابط في الجيش البلجيكى ــ صعوبة فى زيارتها • وفى اليوم السادس اتجهت السيارة نحو الحدود الهولندية ولكنها توقفت فجأة فنزل أوستن يفحص السيارة والمحرك • ونزعت انيمارى ورقة من دفتر مذكراتها وقــالت : كم من البنزين استهلكنــا ، وما هى المســافة التى اجتزناها ؟ سأسجل ذلك •

وبعد أن قام أوستن باصلاحات بسيطة حاولت أنيمــارى أن تعيــد الورقة الى الكتاب ولكنها سقطت فحملها الريح بعيدا وجرى أوستن وراءها يريد التقاطها غير أن انيمارى صاحت : لا ، لاتهتم بها انها قطعة من الورق،

غير أن الشاب استمر فى الجرى وراء الورقة • وركضت أنيمارى خلفها أيضا لعلها تعثر عليها قبله • ودخلت الورقة فى أحد المجارى وقفز أوستن خلفها ، واختفى لحظة عن ناظرى الفتاة ، ومضى بعض الوقت قبل أن يعود أوستن • وقال : لقد ذهبت الورقة وسقطت فى احدى البرك المائية •

وانطلق الاثنان فى السيارة ، والقت الفتاة نظرة الى صاحبها فوجدته يعض شفتيه وقد شحب وجهه ولم ينبس ببنت شفه • واستردت الفتاة جأشها وجلست فى مقعدها كالقطة المتحفزة للقفز ، مستعدة لصراع موت أو حياة •

واضطر أوستن ان يخفف من سرعته فقد اقتربا من احدى القرى وعند ملتقى الطرق وعلى بعد مائة ياردة أمامها وقف أحد رجال الجندرمة •

راوقف أوستن السيارة فجأة فرأت الفتاة ملامح الغضب تعلو وجهه• وقفز الضابط من السيارة وجرى مسرعا نحو رجل البوليس •

وصاح أوستن هالو سيرجنت ، تعال بسرعة •

وفى تلك اللحظة ، قفزت الفتاة خلف عجلة القيادة وانطلقت بسرعة كبيرة فى الطرق ، ولم تكن الفتاة تجيد السواقة ، لذلك اجتازت القرية والمحرك يزأر • وفى جانب احدى الغابات توجهت السيارة الى جانب الطريق وهنا ضغطتالفتاة على فرامل الطوارىء ، ولكن السيارة اصطدمت باحدى الاشجار فقفزت الفتاة قبل أن تنقلب السيارة فى احدى الحفر وتشتعل فيها النيران •

وهربت انيمارى الى الغابة بسرعة • وسارت فى طريق ضيق قادها الى ضفة قناة ، وشاهدتهناك مركبا آليا يعبر الماء ببطء ، فخلعت ملابسها وجزمتها وربطتها وراء ظهرها وقفزت الى الماء • وبعد مسافة بسيطة أمسكت بحافة المركب من الناحية الاخرى وهى تحرص أن لا يراها منكان على ضفة القناة • وبعد لحظة وقفت قرب مقعد قائد المركب فوجدت نفسها فى مركب هولندى قديم وقد ذهل قائد المكب عندما شاهد شبح فتاة صغيرة جميلة حتى سقط منه غليونه • وبعد أن استردت انيمارى أنفاسها عالجت الموقف فقالت : هذه ثلاثة آلاف فرنك ، انها مبللة بالماء ولكنها صحيحة • انها لك اذا أوصلتنى الى الحدود الهولندية • ان الحرس يتعقبنى لانهم يظنون أنى أقوم بتهريب الماس • هاك ألف فرنك على الحساب •

وحضرت ميفرو زوجة صاحب السفينة ، بنـاء على دعوة زوجهـا ٠ واسرعت الزوجة بالعمل ٠ وفى الكابينة وراء الصناديق كان باب صغير من السهل أن يخطئه النظر ولا يبدو أنه مقطوع العلاقة بالتهريب اطلاقا ٠ ووراء الباب كانت خزانة فيها بعض الوسائد والبطاطين ٠ وأخذت الزوجة ملابس الفتاة المبللة وقدمت لها كوبا من الشاى الساخن ٠ واعترى انيمارى شيء من القلق ، ولكن المركب اجتازت الحدود بسلام ، ووقفت ميفرو بينما استلم زوجها الفى فرنك وقبلة حارة ٠

ولم يقف رينيه أوستن مكتوف اليدين ، فقد أعاقته عن العمل بعض الوقت هو ورجل البوليس السيارة المحترقة وقد ظنا أن الفتاة قد احترقت في داخلها ٠ وعندما تحققا فى النهاية أنها لم تحترق وانما هربت أخطرا سـلطات الامن التى راحت تبحث عنهـا مستخدمة الفرسـان والـكلاب البوليسية ، وفى هذه الاثناء هطلت الامطار فعجزت الكلاب عن شم أى رائحه ٠

وفى هذه الاثناء ، اخرج أوستن الورقة المفقودة والتى كانت معه وادعى كذبا أنها سقطت فى بركة ٠ وكانت الورقة مليئة بالحروف والاقام تشير إلى أسلحة قلعتين زارها الصديقان معا ٠ وقد دونت الفتاة عيارات ومدى المدافع كلها بدقة وعناية ٠

ومن هولندا استقلت انيمارى قاربا الى دوفر ٠ وكانت قد قابلت ماتيسيوس فى أمستردام فاعطته الوثائق فذهب بها الى برلين ٠ وبدلت الفتاة من مظهرها ٠ وغيرت تصفيفه شعرها ولبست نظارة طبية٠ وامضت بعض الوقت فى جزيرة وايت كانت خلالها تقوم برحلات فى القارب حول سواحل انجلترا ومعها أدوات الرسم ، فاذا لاحظ أحد حركاتها اتخذت لنفسها شكل فنانة متحمسة ٠ وفجأة ، انتابها شعور بالقلق ، مثلما حدث فى القرية الغريبة من شارل فيل قبيل وفاة ونيانكى ٠ وكما حدثت فى تلك المرة ، كانت نائمة فى فندق صغير ٠ واستيقظت فى منتصف الليل، وحزمت أمتعتها الضرورية فى حقيبة يد ثم زحفت بهدوء وبسكون حسبما يرشدها الشعور بالخطر الذى يلهمها ، ووصلت الى السلالم فسمعت بضعة رجال يتهامسون فى الطابق الاسفل ، وكانت على صواب ، لأن الاشخاص كانوا يتحدثون بشأنها ، وهم يرتابون فى أنها تتجسس على مراكز الدفاع الساحلية وانه سيلقى القبض عليها قريبا ٠

وفى اليوم التالى سافرت انيمارى ليسر من دوفر الى كاليه فىسفينة فرنسية • واستخدمت في رحلتها جواز سفر سويسرى فوصلت برلين دون أن يقع لها حادث وكانت الرحلة عن طريق باريس بينما كان يجرى البحث عنها فى جميع السفن الانجليزية اذ أرسلت أوصافها بالاسلكى •

وفى برلين أكد لها ماتيسيوس أن المخابرات البريطانية والبلجيكية تتعاونان معا وأنهما أدركتا أن الجاسوسة التى استخدمت رينيه أوستن والسيدة الفنانة التى نزلت جزيرة وايت هما شخص واحد • ونظرا لانها تلبس نظارة فقد أطلق عليها لقب « الدكتورة » •

وأخذ ماتيسيوس جوازات سفر انيمارى والقاها فى النار • وقال لها ماتيسيوس اعتقد أنه من الافضل أن تذهبى الىميران لقضاء فترة من الزمن تنشدين الراحة • اننى خائف ، ولكننى لن أضايقك بهذا الان •

وتوجهت انيمارى الى ميران حيثقضت وقتها فى زيارة الحدائق الغناء وكانت احداثالاسابيع الاخيرة هروبها على ظهر الباخرة الهولندية وسيرها الليلى الطويل الى دوفر قد اندثرت وانطوت كأنها وقعت فى الماضى البعيد• وقضت معظم وقتها برفقــة بائع مجوهرات ايطــالى ، وكانت المرة الاولى التى ترافق شخصا منذ سنوات دون أن تحصل منه على اسرار عسكرية •

وفى منتصف يوليو سنــة ١٩١٤ ، تلقت تعليمــات من ماتيسيوس بالسفر الى ايطاليا فورا • وصدر أمر الى عميل المانى • وهو ضابط سابق مركزه ميلان بأن يحصل على معلوماتعما اذا كانت هناك تحصينات حديثة أنشئت فى ايطاليا وخاصة على السواحل وان يعرف طبيعتها ومداها • وكان من المتوقع أن ينتهى الجاسوس من مهمته فى غضون أسبوع • وقد أبرق هذا الى برلين بالشيفرة يقول أنه يحتاج الى عدة أسابيع لانهاء عمله لانه لم يجد وسيلة للحصول على المعلومات الا بالسفر فى انحاء ايطاليــا• وبعد مضىأربع وعشرين ساعة على ارسال البرقية ، استقبل هذا الجاسوس انيمارى ليسر • وفى اليوم التالى افتتح مكتب اعلانات فى المدينة • وكان اتصال المكتب بجميع الصحف والصحفيــين وخاصــة الصحف المحليــة الصغيرة أمرا ليس غريبا • وقام أصحاب المكتب بفحص جميع الصحف لمعرفة ماذا كانت السلطات العسكرية قد أجرت مناقصات للقيام بحفريات فى مناطق ساحلية أو بمبانى شــديدة التحصين • وبمســاعدة خريطــة عسكرية تم تقدير طبيعة ومدى هذه التحصينات وفى غضــون ســتة أيام أمكن الحصول على المعلومات اللازمة •

٦

التجسس فى الحرب العالمية

أدى نشوب الحرب العالمية الى قلب جميع النظريات والتنبؤات والتقديرات فيما يتعلق بأثر هذا الحدث على شعوب الدول المشتركة فى الحرب وعلى حياتهم الاقتصادية بل وعملياتهم العسكرية • فقد انتشرت حالة الفوضى والغليان فى أوروبا بضربة واحدة ، وتبدلت معالم العالم • ولم يكن يتنبأ أحد بل ولم يستطع أن يتنبأ بالطبيعة العظيمة الهائلة للاحداث التي توالى وقوعها فى اضطراد سريع • فقد واجه الرجال فى كل بلد اوضاعا لم يكن لهم تجاهها فى بادىء الامر حول ولا قوة وكان تنظيم الحرب خلف الجبهات مسألة تمت خطوة فخطوة •

وكانت الخدمات السرية الدولية غير منظمة وأصبح من العسير الاتصال سرا بين دولة وأخرى • وبعد الحرب بأسابيع أدركت الدول المشتركة فى القتال ضرورة البدء من جديد وتنظيم مخابرات جديدة •

وكانت هذه الحاجة ماسة بالنسبة لفرنسا وانجلترا وبلجيكا • فقد كان التجسس لدى هذه البلدان قبل الحرب هجوميا أكثر منه دفاعيا ، فقد كرست هذه الدول جهود مخابراتها من أجل الحصول على تفاصيل عن دفاعات الحدود الالمانية وذلك لتحديد الطريق الذى ستسلكه قواتهم فى أرض المانيا • وعملت هذه الدول قبل كل شىء على الحصول على خطط التعبئة الالمانية لاكتشاف نقطة الضعف الاستراتيجى أو التكتيكى اذ أن معرفة ذلك يتيح لهم اعاقة التقدم الالمانى ، وبذلك تستطيع قواتهم أن تحرز نجاحا حاسما وتدخل أرض العدو بسرعة •

فد أدى نجاح الجيش الالمانى الكاسح فى الجبهة الغربية خلال الاسابيع الاولى من الحرب الى تبديل أتوماتيكى فى جميع خططهم • وقد نفذ الجزء الاكبر من أعمال المخابرات البريطانية والفرنسية عبثا مع أنه تم ببراعة لا بأس بها وبقدرة فائقة • فالمعلومات التى حصلوا عليها لم تكن لها قيمة على الاطلاق ، لان الفرنسيين كانوا يدافعون عن بلادهم دفاع المستميت

اليائس · وكان على الانجليز أن يهبوا لمساعدة فرنسا · وفى هذه الآونة لم يفكر أحد بشن هجوم على الدفاع الساحلى الالمانى · وكان الموقف العسكرى يتغير بين ساعة واخرى ، كما كانت ساحة الحرب تتبدل بسرعة· وبالاختصار فقد انقلبت جميع التقديرات رأسا على عقب ، ولم يكن هناك من مفر سوى البدء من جديد · واقتصر الحلفاء فى البداية على مكافحة جواسيس المخابرات الالمانية ·

وهذا أمر له أهميته لان الالمان كانوا يحاربون في فرنسا · وكان للالمان فى انتورب جاسوس بارع ماهر أشار فى تقارير أرسلها قبل الحرب الى التعاون بين السلطات العسكرية فى انجلترا وفرنسا وبلجيكا · وفى بداية الحرب قبض البلجيكيون على هذا الجاسوس وأعدموه · وكانت المخابرات البريطانيه هى التى كشفت لبلجيكا عن وجود هذا الرجل وانه كان جاسوسا ·

وبعد أن تدبر الحلفاء الامور ، وجهت بريطانيا ضربة عنيفة للمخابرات الالمانية فى بداية الحرب · ونحن نعلم اليوم أن السلطات البريطانية كانت تعرف ــ حتى قبل الحرب ــ كل ما يتعلق بالجواسيس الالمان فى أراضيها ، مع أننا لا نعلم من وشي بهؤلاء الناس · وقد ترك الجواسيس دون مضايقة الى أن اندلعت الحرب كي يعتقدوا أنهم فى أمان ، ولكنهم أودعوا السجون بعد ساعات من اندلاع نار الحرب · وتم اعتقال عشرين شخصا · وكانت هذه مسألة خطيرة بالنسبه للجاسوسية الالمانية لان الانباء التى ترد من بريطانيا على جانب كبير من الاهمية · وبعد مضى فترة وجيزة على اشتعال نار الحرب تم القاء القبض على جاسوس المانى خطير هو الضابط البحرى كارل هانز لودى · فقد اعدم فى برج لندن بعد أن حاز اعجاب واحترام جميع الذين اتصلوا به نظرا لشجاعته · وقد مات ميتة البطل فى سبيل بلاده ·

وكانت الجاسوسية فى روسيا قائمة على نظام واسع النطاق ليس له مثيل لذلك كانت هى الدول المحاربة التى تجنبت الفوضى السائدة · ففى المقام الاول ، غزت روسيا أرض المانيا ، وكما ثبت من قضية ريدل ، فان الجاسوسية الروسية فى النمسا كانت منظمة الى حد أنها استطاعت الحصول على معلومات ذات أهمية كبرى فى الحرب · واما فيما يتعلق بالاسرار الحربية الالمانية فلم يستطع الروس الحصول على شيء هام منها · وكان هذا الفشل النسبى يعود الى طبيعة تنظيم الجاسوسية الروسية فى المانيا ·

وبينما كانت السلطات الالمانية تدرس كيفية تنظيم أجهزة التجسس فى الدول المعادية ، بدأ التجسس المضاد فى أوساط الشعب الالمانى يأخذ أشكالا مخيفة • ويقول مدير المخابرات الالمانية الـكولونيل نيـكولاى فى كتاب له :

« لقد سمع أفراد الشعب هذه الاشياء من مصادر رسمية فى أول الامر ونتيجة ذلك انتشر الخوف من الجواسيس فى سائر انحاء البلاد الامر الذى أدى الى ظاهرة مضحكة وخطيرة فى أن واحد•فقد انتشرت الشائعات الضارة بسرعة عند ما كان التوتر والهياج يسودان أبناء الشعب •

وبالاخص الاشاعة القائلة بأن هناك عربات محملة بالذهب لاغراض مخابرات العدو كان لها نتائج خطيرة • فقد أوقفت جميع السـيارات ، وكانت النار تطلق على ركاب السيارة إذا حاولوا المضى فى طريقهم • وقتل عدد كثير من كبار الموظفين الرسميين بهذه الطريقة • وفى غضون أيام نشأ موقف عرض اتمام التعبئة للخطر •

وكما أن هناك وثيقة رسمية تعطى صورة غير مبالغ فيها للاوضاع التى كانت سائدة فى ألمانيا فى ذلك الوقت • والوثيقة عبارة عن أمر رسمى أصدره مدير بوليس ستوتجارب ــ بيتنجر الى الضابط والجنود الذين يعملون تحت امرته • ويقول الامر :

« الى بوليس ستوتجارت : لقد بدأ الفزع ينتشر بين صفوف السكان، وامتلأت الطرق بكثره بالعجائز من النسوة والرجال الذين يقومون بنشاط يدعو الى الاسف • فكل منهم يرى فى جاره جاسوسا فرنسيا أو روسيا ويعتقد أن من واجبه قتل هذا الجاسوس • وكذلك رجل البوليس الذى يسانده • وعلى الاقل جميع الناس حوله • وكان الجمهور يرى أن السحب هى طائرات والنجوم صواريخ ومصابيح الدراجات كقنابل ، ويعتقد أن اسلاك التليفون والبرق قطعت فى ستوتجارت ، وقيل أن الجسور نسفت والسلطات تفتك بالجواسيس وأن مصادر المياه قد سممت • ومن المستحيل التنبؤ بالحالة التى ستحدث اذا ساءت الاحوال وحتى تلك اللحظة لم يحدث ما يثير الشك ومع ذلك فيخيل للانسان أن فى مستشفى المجانين بينما كان المفروض أن يقوم كل شخص بواجبه لان الوقت خطير وعصيب•ولهذا يا رجال الشرطة كونوا كما كنتم لغاية الآن رجالا ــ لا نساء ــ ولا تسمحوا للخوف أن يسيطر عليكم •افتحوا عيونكم كما هو واجبكم •

مدير البوليس بيتنجر

وفى الثامن عشر من سبتمبر سنة ١٩١٤ نشرت احدى صحف فرانكفورت الموثوق بها الفقرة التالية :

لقد قبض على ٨٠ ضابط فرنسى بملابس ألمانية فى والنج يوم ٢ ، قبض على عدد من الجواسيس فى برلين ، واعتقلت جاسوستان روسيتان فى أغسطس سنة ١٩١٤ بعد أن اجتازتا حدود ألمانيا فى سيارة . وقد اعتقلتا فى انترون ليندن ، متنكرتان فى ملابس الراهبات •

وهذه الحالة السائدة نتيجة خطأ لنظام لا يطلع الشعب فى زمن السلم على حوادث التجسس مثلما حدث فى ألمانيا • ومن الواضح أن السلطات كانت تخشى أن تتأثر كرامة الجيش اذا اعتزمت بأن جواسيس أجانب حصلوا على معلومات ثمينة •

ولم يكن أبناء الشعب الالمانى يعرفون شيئا عن طبيعة التجسس ووسائله كان لهذا الجهل عواقب وخيمة • ولما انتشرت شائعات عن جواسيس يتنكرون فى ملابس الرهبان لم يكن الشعب على علم بطبيعة التجسس الحقيقية ، لذلك لم يستطيع أن يتعاون مع السلطات على وقف الجواسديس أو التحرى عنهم •

وفى هذه الآونة حققت مخابرات الدول المشتركة فى الحرب نجاحا كبيرا ، فقد تم اعادة تنظيم هذه الاجهزة السرية وتوسيع نطاقها • وزاد عملاء الدول المتجاورة وضوعف عدد عملائها مائة مرة فى أراضى البلدان المحايدة وتم توسيع المكاتب التى كانت قائمة • وكان طابع التجسس أثناء الحرب كالآتى : ارسال عدد كبير من العملاء بجوازات سفر تبين أنهم من رعايا دول محايدة الى أنحاء أوروبا • وكان المال يجذب هؤلاء الناس للعمل • وقد قام مكتب للتجسس فى هولندا كان يبيع المعلومات كما تبيع وكالات الانباء الاخبار • وكان هؤلاء لا يهتمون بمن يشترى الانباء ولكنهم يهتمون بمن يدفع سعرا أكبر • وقد بات التجسس فى الحرب العظمى نظرا لارسال عدد كبير من الجواسيس الى جميع الدول ــ مشكلة

حسابية يمكن حلها فى المكتب الرئيسى للمخابرات • وكل ما يمكن فعله هو تحديد المعلومات الموثوقة من غيرها ، وبطريقة حسابية وكان من الضرورى معرفة ما اذا كان من المناسب اتخاذ اجراءات مضادة لاجراءات العدو من الناحية الاستراتيجية أم الاكتفاء بالحصول على المعلومات • والمهم فى الموضوع هو التمييز بين المعلومات الصحيحة من الكاذبة والهامة من التافهة • ونتيجة لكثرة عدد العملاء أثناء الحرب والذين عرضوا خدماتهم لاسباب ما ، كان من المستحيل تكوين رأى فيما يتعلق بالاعتماد على الجواسيس الافراد • وقد أدركت الدول المتحاربة هذا الامر • وبالتالى ، فقد كان الى جانب هذا التجسس الجماعى تجسس فردى • وأعنى بهذا ارسال أشخاص يوثق بهم • وغالبا ما يكونون ضباطا • ويعطى لهؤلاء مطلق الحرية ويزودون بتعليمات عامة •

وغالبا ما يكون النجاح حليف هؤلاء الجواسيس • فليس لهم غاية مادية بل يعملون بوحى وطنى وطموح عسكرى • والى جانب هؤلاء ، فهنـاك مغامرون من جميع الجنسيات لعبوا دورا فى التجسس رفعهم الى فوق مرتبة العملاء العـاديين ، فهم جواسيس على جانب أكبر من الاهمية وعلى ذكاء خارق •

وأبرز مثل على هذا النوع من الجواسيس الراقصة ماتاهارى •

وفيما يتعلق بالتجسس الجماعى ـ أى الذى يقوم به عدد من العملاء ، فقد اضطرت مكاتب المخابرات أخير أن تطلب من عملائها تقديم دليل على صحة معلوماتهم •

وغالبا ما تجمع مكاتب المخابرات التابعة للدول المحاربة براهين عديدة على صحة المعلومات • ويمكن القول أن هذه الادلة كانت فى الغالب مزورة فقد حصل بعض العملاء على ما يبدو أنه أصول أوامر عسكرية هامة • بطريقة ما وقال العملاء أنهم حصلوا عليها بطريقة خيالية وقد قبلت هذه الوثائق على أنها أصلية ودفع ثمنها ، بينما تبين أن وثائق أخرى مزورة

وكل ما يهم المزور الحصول عليه هو المال فقط مقابل ما يقدمه من وثائق وقد سمع المؤلف قصة من رجل كان يرأس أحد مكاتب المخابرات فى دولة محايدة فى بداية الحرب ولكنها دخلت الحرب ضد المانيا فيما بعد •

فقد جرى نسف أحد مستودعات الذخيرة فى هذه البلد عقب دخوله الحرب بقليل • وقبل زوال النهار جاء ثمانية أشخاص الى رئيس المكتب الذى أبلغنى هذه القصة وطالب كل منهم بمكافأة كبيرة لانه قام بنسف هذا المخزن •

ولست بحاجة الى الخوض أكثر من ذلك فى الناحية الفنية للتجسس الجماعى • وأن مصير كبار الجواسيس العسكريين الذين يعملون بدافع حبهم للوطن ، ومصير كبار المغامرين هو الذى يستحق التدوين وأما مصير الاشخاص العاديين ذوى الاخلاق الضعيفة فلا يثير أى اهتمام •

٧

الجاسوسة الدكتورة فى الحرب

قررت انيمارى ليسر قضاء بضعة أيام فى كابرى ، ولكنها تلقت فى روما أول انذار بهبوب عاصفة : فان الحرب فى أوروبا أصبحت قاب قوسين أو أدنى · وأسرعت انيمارى من روما الى ميلان ، ومن هناك وبمساعدة العملاء الالمان حصلت على جواز سفر فرنسى باسم مستعار · ومن ثم انفجرت العاصفة وكان لابد من وقوع الحرب · وتوجهت انيمارى الى فينيسيا فى سيارة ، ثم توجهت الى باريس كممرضة فرنسية ·

وتوجهت فى باريس الى المستر بيسارد الجاسوس الدائم · وشاهدت شخصا شاحبا خائفا يرتجف وهو جالس على مقعده · وحملق بيسارد مصعوقا نحو هذه الدخيلة · فقالت له بهدوء :

لا تنظر الى هكذا · « واحد وأربعة (ج·و) » ·

وقفز بيسارد على قدميه وقد راح عنه شحوب لونه واصفرار وجهه · وقالت : السيدة الطبيبة ! لقد جازفت بالحضور الى باريس ·

وبسط بيسارد أوراقه بسرعة أمام انيمارى · وكان الجمهور خارج النوافذ يهتف بحماس بالغ وينشد النشيد الوطنى ــ وبينما كانت الاصوات تزأر الى برلين ــ الى برلين · ولم يكن بيسارد خاملا خلال هذه الايام المثيرة · وانما كان يزور محطات السكة الحديد دائما ويتصل بالجنود المتوجهين للحرب فحصل على معلومات عن تقدم الفرنسيين · وفى غضون ساعة أطلعت انيمارى على توضيحات بيسارد وما حصل عليه من معلومات، ونسخت جميع المعلومات على ورقة شفافة ثم اخفتها ·

وحصلت انيمارى بمساعدة بيسارد المزود دائما بكل المهمات اللازمة على جواز سفر جديد باسم ابنة ضابط بلجيكى ، وجهزت وثيقة تثبت أن عليها عند نشوب حرب أن تتصل بأحد مستشفيات الميدان البلجيكية بصفتها ممرضة بلجيكية •

وعندما أرادت السفر الى بلجيكا واجهتها صعوبات جمة ، ولكنها غامرت بكل شىء ، ودخلت عرين الاسد ـ الى ادارة مواصلات حامية باريس وهناك سلبت لب ضابط بجمالها الفاتن وابتسامتها الساحرة ، ونجحت فى الحصول على مقعد فى احدى العربات التى كانت معدة لنقل بعض الضباط من هيئة أركان الحرب الفرنسية وهم فى ملابس مدنية ـ من باريس الى بروكسل • ومرت السيارة بكومبين ، سانت كينتين ، موبيج وشارلروا ، واستطاعت الاعين المدربة للسيدة الدكتورة أن تكتشف النقاط الحساسة فى التقدم الفرنسى وأن تعرف نقاط الضعف فيها •

وعلمت الكثير من حديثها مع الضباط الفرنسيين منها حقيقة هامة ـ كان يشك فيها هيئة أركان الحرب الالمانية وهى أن الجيش البلجيكى سيحارب الى جانب الجيش الفرنسى فى حالة وقوع حرب •

وعندما بلغت السيارة بروكسل ، لم تستطع انيمارى أن تتخلص من الضباط الفرنسيين بسرعة وأصر الضباط على مرافقتها الى هيئة أركان الحرب البلجيكية حيث حضرت حديثا دار بين ضباط بلجيكيين واحد ضباط أركان الحرب الفرنسيين • وعلمت ـ بصفتها مواطنة بلجيكية متحمسة ـ أن رئيس أركان الحرب البلجيك الجنرال دى ريكل تنبأ بحدوث حرب هجومية على المانيا وعلمت أيضا أنه عند اطلاق الشرارة الاولى فى الحرب فستنزل ست فرق من المشاه الانجليز وثمان لواءات من الفرسان ـ أى حوالى مائة وستين ألف رجل ـ فى انتورب •

وأنصتت انيمارى الى هذا الحديث وقد انتابها مشاعر مختلفة • فقد أدركت أن هذه الانباء ذات أهمية كبرى بالنسبة للجيش الالمانى ، اذا وصلت الى برلين فى الوقت المناسب لتسليم هذه الانباء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، أدركت أن الاخطار تحيط بها من كشف القناع عن شخصيتها لو تفرس الجنرال ريكل فى أوراقها الشخصية • ولذلك قررت أن تهرب فى أقرب لحظة ممكنة ، وكان عليها أن تبتاع عدة أشياء ، ولكنها

لم تستطع أن تتغاضى عن موعد مع أحد الضباط الفرنسيين برتبة ميجر فى فندق بالاس . ذلك لان الضابط كان غارقا الى أذنيه فى حبها .

وعندما وقفت على الرصيف أمام مقر هيئة أركان الحرب قررت عدم الذهاب الى الموعد المضروب . وعندما جاء المساء تغلبت روح المغامرة فيها على رزانتها . وجازفت بحياتها من أجل الحصول على مزيد من المعلومات. وقبل أن تمضى عليها ساعة وهى رفقة الضابط أطلعت على تفاصيل خطة الزحف البلجيكية . وعلمت أن حاكم بلجيكا العسكرى قد تلقى أوامر بأن لا يعتبر تحركات القوات الفرنسية فى بلجيكا خرقا للحياد وسيزحف الجيش البلجيكى من منطقة هانوت ، سانت تروند ـ تيرلمون ، هام وميل . وأطلعت على جميع تفاصيل الزحف ، وعند منتصف الليل علمت أن قلعة لييج قد احتشدت بالقوات . وأطلعت أيضا على حالة العمل الفنية . وكانت الحصون حديثة ومجهزة بحيث تستطيع أن تصد الضربات المباشرة ، ولكن لم تجر أية تحسينات حديثة فى أراضى القلاع . ولم تكن هناك قلاع بارزة فى هذه الوديان .

وكانت ستحتل لييج فرقتان فورا بينما تقوم الفرقتان الثالثة والرابعة البلجيكيتان ستغطيان تقدم هذه القوات نحو لييج . وعندما أطلعت انيمارى على هذه الاشياء أدركت أنها لاتستطيع أن تضيع وقتا أطول فى صحبة هذا الفرنسى المعجب بها .

وشكت من وعكة الم بها كما أن ذكرى « أبيها » الضابط البلجيكى قد أثارت أشجانها . ونجحت فى الاستئذان من الضابط دون أن تثير اشتباه . واستطاعت بواسطة جواز سفرها وأوراقها المزيفة أن تحصل على مقعد فى اكسبريس لبيج وهو نفس القطار الذى حضر فيه الضباط البلجيكيون الى القلعة .

وكان ماتيسيوس فى برلين . ولم يغادر غرفته لبضعة أيام . فقد تراكمت على مكتبه برقيات من جميع أنحاء العالم . وكان فى غرفته جهازا تليفون لا يكفان عن الرنين لحظة واحدة . وكان ضباط المكتب فى حركة دائبة .

ووسط هذه الدوامة من العمل ، كان هناك فكر واحد يلح على ذهنه باستمرار هو أين انيمارى ليسر ؟ • وقد وصلته برقية شفرية من برلين تقول أنها دخلت فرنسا عن طريق فينيسيا • وقال فى نفس لعلها قتلت أو اعتقلت أم أنها فى الطريق الى برلين ومعها معلومات بالغة الاهمية • وانتظر عودتها ومعلوماتها بقلق بالغ بعد أن انقطعت الاتصالات مع باريس وبروكسل • وأصبح من المستحيل على عملائه ارسال البرقيات بسبب خطر نشوب الحرب بين لحظة وأخرى •

وفى أمسية الثالث من أغسطس ، أوقف حرس الحدود الالمان امرأة بين الحدود الالمانيه البلجيكية فى طريق فاسبرو ـ يوبين • وكانت ترتدى ملابس الفلاحين ولكن الجندى لاحظ أنها تلبس حذاء جيد الصنع • وقد طلبت هذه المرأة نقلها الى القائد • وكان ذلك فى منتصف الليل • وجرى ايقاظ قائد الفصيلة • وقرر أن المرأة هى شخص مشكوك فيه • وتم احضار احدى السيدات (قابلة) لتفتيش انيمارى رغم احتجاجاتها • ومطالبتها بمقابلة أحد ضباط هيئة أركان الحرب • وأسفر التفتيش عن العثور على عدة أوراق شفافة وجواز سفر بلجيكى • وصاحت المرأة : أيها الضابط العنيد ، انني جاسوسة ولكن ألمانية • اذا كنت لا تستطيع أخذى الى ضابط فى هيئة أركان الحرب ، أرسل برقية الى برلين الى هيئة أركان الحرب العامة وقل لهم أنك ألقيت القبض على « واحد أربعة ج•و » •

وظلت انيمارى فى حراسة (القابلة واثنين من الحراس) • وايقظ الضابط رئيسه الكابتن • وأرسلت برقية عاجلة الى برلين أو بعد ساعة انطلقت سيارة نحو القرية وفيها أحد ضباط هيئة أركان الحرب الذى صاح فى وجه ضابط الحدود • وعلى الفور أرسلت المعلومات تليفونيا الى ماتيسيوس فى برلين • وتمعن ماتسيوس فى المعلومات ونسقها ثم أرسلها على الفور الى القوات الالمانية على الجبهة فى صورة تعليمات وأوامر •

وبعد ظهر الرابع من أغسطس تلقى الجنرال فون اليمنج اذنا بالزحف على بلجيكا مع أمر بمحاولة الهجوم على ليبج لان معلومات الجواسيس تشير الى وجود فرصة مناسبة للنجاح •

وسقطت قلعة لبيج فى السادس من أغسطس •

وانتقل ماتيسيوس فى الاسابيع الاولى من الحرب الى عنوان جديد • فقد أصبح مكتبه فى بولوستراس لا يتسـع لعمله • وخصص له بيت كامل فى شارع كونيكراتزر ، وقبل مضى وقت طويل صار البيت كخلية النحل واحتشد الضباط فى البيت بكساويهم العسكرية أو ملابسهم المدنية• وكانت جميع خيوط المخابرات تتجمع معا فى هذا البيت ويلتقى هذا المركز جميع المعلومات وبعد أن يتم تنسيقها وتجميعها ترسل الى السـلطات العسكرية • وفى الدور الثالث من المبنى كان ماتيسيوس يعمل ليـلا ونهارا ، وكان لانيمارى ليسر مكتب فى نفس غرفته •

وكان نشاط هذه الهيئة ، وخاصة من فى الدور الثالث منها أشـبه بنشاط مكاتب تحرير احدى الصحف الكبرى مع وجود بعض الاختلافات • فلا تصل الى الهيئة أنباء عامة ، وانما يندفع الى المكان أشخاص جذبتهم رائحة المال والذين يعرضون أن يعملوا كجواسيس فى أرض العدو ووراء جبهات الجيوش المعادية • ويتقدم هؤلاء الاشخاص قبل كل شيء للسلطات العسكرية ، واذا اقتنع الضباط باهلية الشخص للخدمة يضرب له موعدا مع ماتيسيوس ، وعندما يقدم فعلا معلومات تتضح دقتها يرسل الى مكتب شارع كوليكراتزر • ولكن الجواسيس البارزين الذين يعول عليهم هم فقط الذين يشقون طريقهم الى الغرفة الموجودة فى الدور الثالث •

ولم يمضى وقت طويل حتى بدأ ماتيسيوس يشعر باثار كثرة العمل • فقد أصيب بالارهاق نتيجة العمل • ورقيت السيدة الدكتورة الى درجة أعلى • وأصبحت تحتل مكان ماتيسيوس فى مقابلة أولئك الذين يتقدمون للعمل كجواسيس ، وكانت لها طريقة مدهشة فى معاملة هؤلاء النـاس واسـتطاعت بسرعة أن تميز بين الصـالحين للجاسـوسية من غيرهم ، واستطاعت فى مناسـبتين أن تكتشف عن جاسـوس للاعـداء • وكان الجاسوس فى الحالتين ضابطا فرنسيا دخل ألمانيا عن طريق سويسرا ليعرض خدماته على مخابرات ألمانيا وبتلك الوسيلة يستطيع أن يقتفى أثار العملاء الالمان • وكانت لانيمارى موهبة فى تقدير المعلومات التى تصلها من النظرة الاولى ومعرفة قيمتها الايجابية أو السلبية •

وبقيت انيمارى فى برلين حتى بداية سنة ١٩١٦ عندما تقرر شـن هجوم ألمانى على فيردون ولكنها قامت خلال هذه الفترة برحلة قصيرة الى بريطانيا حيث اعتقل معظم الجواسيس الالمان عند نشوب الحرب •

وفى هذه الآونة قطعت جميع المواصلات مع فرنسا فجأة فى وقت كان عمل المخابرات فى فرنسا شديد الاهمية ·

وكانت معظم المعلومات التى تتعلق بفرنسا ترد من بيسارد ــ وهو مواطن فرنسى ، وكانت معلوماته دائما دقيقة وسريعة . وفى بعض الأحيان كان جواسيس ألمان يتصلون ببيسارد فى باريس لفترة قصيرة ثم يتوجهون الى بلد محايد · وأصبح لشركة بيسارد ــ مونبير ــ فرع فى سويسرا وكان مندوب الشركة هناك يزور باريس اسبوعيا لمشاورة بيسارد · وكان لبيسارد عدد من العملاء فى كثير من المدن الفرنسية يتولون بيع اطارات الشركة وغيرها ، وكان بيسارد يزورهم بين الحين والحين ·

وفى تلك الايام العصيبة وقبيل شن الهجوم على فيردون تعطل هذا المصدر من المعلومات فجأة وبكيفية لم تكن منتظرة · واختفى بيسارد وأغلق مكتبه ولم يعرف شيء عنه ·

وقررت انيمارى أن تتوجه فورا الى باريس لتعرف ماذا حدث · وكان الوقت ضيقا ، وأخذت الاحتياطات اللازمة · فسافرت من هولندا الى انجلترا · ومن هناك الى بوردو بحيث لا يشك فى غرضها أحد · ووجدت أن مكتب شركة مونبير مغلق · ولكن امرأة فى مثل ذكائها وشجاعها لا تدع للبأس سبيلا الى نفسها ولا يعوقها باب مغلق ، فاستطاعت أن تدخل المكتب وأن تعرف ما حدث للعميل ·

فقد طلب بيسارد لتادية الخدمة العسكرية · وفى اليوم الذى كان عليه أن يلتحق فيه بوحدته خانته أعصابه انتحر الرجل الذى كان يكافأ بسخاء كجاسوس للعدو فأطلق النار على رأسه ·

ولم تتردد انيمارى ولم تجزع مما حدث للجاسوس الالمانى فقررت أن تأخذ مكانه ·

وبحث عنها فى برلين شخص يدعى كونستانتين كودو بانيس وعرض عليها خدماته كجاسوس لالمانيا فى باريس · وكان هذا يونانيا ومندوب شركات تصدير فواكه البحر الابيض فى باريس · واتصلت انيمارى بهذا اليونانى فى منزله بباريس واستطاع كودويانيس ــ الذى كان ضابطا

فى الجيش اليونانى وسرح لبعض الاسباب ـ أن يشترى ادارة شركة مونيير من ورثة بيسارد فى مارسيليا • واستطاع أن يحقق ذلك بامان نظرا لعدم وجود من يشك فى الشركة أو فى صاحبها الراحل •

ومكثت انيمارى فترة فى فرنسا وقامت بشىء لم يطلع عليه كودويانيس • ففى أجازة يوم الاحد قابلت أحد صولات ادارة مكافحة التجسس فى هيئة أركان الحرب الفرنسية • وفى غضون يومين وقع هذا الضابط صريعا أمام مفاتن الجاسوسة الحسناء • وحصلت انيمارى منه على معلومات هامة • وتنفس ماتيسيوس فى برلين الصعداء مرة أخرى لان المعلومات بدأت تتوالى اليه من جديد ومن مصدر موثوق به وذات أهمية كبيرة • وكان تصور الصول أن انيمارى تتردد على المقاهى والكباريهات فى مونتمارتر ، واقتنع بأن نفوذه الطيب سيجعل الفتاة تسلك مسلكا شريفا • وفى أحد الايام طلب منها أن تتزوجه فقبلت انيمارى هذا العرض شريطة أن يوافق والداها على ذلك ـ وهما يعيشان فى احدى القرى على الحدود الاسبانية • فسافرت انيمارى الى هناك لمقابلتهم •

وفى الحقيقة أنه فى تلك الليلة بالذات اجتمعت انيمارى بضابط ألمانى أوفدته المخابرات الى باريس • ولم يكن هذا الضابط يعلم بوجود كودويانيس وكان هذا بدوره لا يعلم من الضابط شيئا ، وقد جاء الضابط الى باريس من أجل الحصول على أنباء هامة للقيادة الالمانية العليا •

وابتعدت انيمارى عن باريس مسافة كبيرة دون اثارة الشكوك والريب • وفى فونتين بلو قابلت أحد العملاء أوفده اليها ماتيسيوس وأعطته جميع المعلومات التى لديها وعادت الى باريس فوصلت اليها بعد الظهر •

وكانت الفتاة تقابل حبيبها الصول خارج مكتبه • وكانت تنتظره فى الشوارع الى أن يصل ، وكان يصل فى الموعد المحدد دائما • ولكنها فى تلك الليلة انتظرت فترة طويلة • وعندما ظهر فرح فرحا شديدا عندما علم بموافقة أبويها على زواجها منه • ولكنه كان عصبيا وثائرا •

فسألته عن السبب فى ذلك • فقال لقد أعلن اثنان من عملائنا أنهم لمحوا شخصا فى فرنسا يعتقد أنه من جواسيس الالمان الذين نبحث عنهم • والجاسوس المرأة ، واذا كانت موجودة حقا فى فرنسا فان الامر يكون جد خطير فانها شخصية جبارة •

فسألته : هي امرأة ! ما اسمها ؟

فقال : هذا مالا نعلمه .فقد حصلنا على صورة لها التقطت فى بروكسل منذ وقت طويل مضى ، والصورة مع بعض الضباط البلجيكيين . ونحن نعرف لقبها فقط ــ الدكتورة ــ وهذا يكفى عنها فلنتكلم عن أنفسنا !

وفى اليوم التالى ، صدرت المنشورات الرسمية وفيها معلومات تقول أن جاسوسه ألمانية موجودة فى فرنسا . وشكلها كذا وكذا . جائزة نصف مليون فرنك لمن يرشد عنها . وفى تلك الليلة طلبت انيمارى من كودويانيس أن يرسل خطيبته الحسناء الى بوردو . فقد جاء فى صحيفة عن المسارح اعلان يطلب راقصة من طرازها فى أحد ملاهى المدينة . وبذلك يصبح لهم عميل فى بوردو يستطيع أن يحصى عن السفن القادمة ، ويحصل على معلومات أخرى هامة . ورفض كودويانيس بشدة ولكن انيمارى صممت فاذعن اليونانى وأرسل خطيبته وفى تلك الليلة ، علمت هذه طبيعة نشاط محبوبها . وكان عليها أن تتوجه الى بوردو خلال أربعة أيام . وارتبطت بالعمل تلغرافيا لكسب الوقت ، ورضيت بالعمل لقاء أجر بسيط .

وفى مساء اليوم التالى اضطرت انيمارى أن تنتظر ردحا من الزمن قبل أن يظهر حبيبها . وبدا عليه الهياج والعصبية فى هذه المرة أيضا .
وقال : لقد حضر الينا شخص يريد مقابلتنا ، وهو يريد تسليم الدكتورة الجاسوسة لفرقة الاعدام . ولكنه طلب مبلغ مائة الف فرنك سلفا . وهو يونانى يدعى كودويانيس . ولقد رصدنا من يراقبه فى هذه اللحظة مع أنه لا شك فى ذلك ، وسيحضر الينا فى اليوم التالى . وسنعطيه مبلغ المائة الف فرنك ، ثم يسلم الينا الجاسوس مساء الغد . وهو يقول أنه شاهد الجاسوسة فى برلين قبل الحرب وقد تعرف عليها فى باريس حاليا .
فسألته انيمارى ليس : هل سيعود عليك اعتقالها بخير ؟ وهل ستنال رتبة أعلى .

وفى تلك الامسية ، ضربت انيمارى موعدا مع كودويانيس على أن يلتقيا فى مقهى . وعندما توجه اليونانى الى الموعد المضروب بوغت بسيارة تاكسى كانت فيها انيمارى ليسر وبسرعة سلمته مظروفا وقالت له أن جاسوسا ألمانيا سيقابله فى السابعة من صباح اليوم التالى فى خانة فى

ضواحي باريس وسيدفع له خمسين ألف فرنك مكافأة خاصة له • وبعد حديث قصير غادرت انيمارى التاكسي • ولاحظت انيمارى أن هناك من يتبعها وكانت تتوقع ذلك ، وبسهولة تخلصت من مطارديها •

وفي تلك الليلة تلقى مكتب مكافحة الجاسوسـية الفرنسي معلومات مثيرة • وكانت المعلومات في رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة وأرسلت بالبريد المستعجل وفيها ما يفيد بأن كونستانتين كودويانيس جاسوس ألماني • ومرسل المعلومات وطني فرنسي لم يذكر اسمه لئلا يسعى الالمان بالانتقام منه • ولكن اذا كانت السلطات لا تصدق ذلك ، فلترسل شخصا في صباح اليوم التالي الساعة السابعة الى حانة كذا فسيجدون كودومانيس ومعه رسالة موجهة الى جاسوس ألماني لديه موعد معه وتتضمن الرسالة معلومات عسكرية هامة • ولزيادة التأكد ، عليهم القاء القبض في تلك الليلة أيضا على خطيبته وأن يستجوبوها ـ وهي راقصة وعنوانها كذا • وهذه الراقصة تعلم أن خطيبها جاســوس ألماني • وهــو قد اعتزم على ارسال خطيبته الى بوردو حيث ستحصل على معلومات هناك •

وفي صباح اليوم التالي اعتقل كودويانيس في الحانة المذكورة في الرسالة ، وعثر معه على رسالة موجهة جاسوس ألماني • وعترفت خطيبته الراقصة بكل شيء • ورفض كودويانيس الاعتراف بنشاطه أو لحساب من يعمل • وبعد اعتقاله بأيام صدر عليه الحكم بالاعدام وعندما دقت طبول الاعدام ، اعترف اليوناني للضابط القائم على حراسته بما يلي :

« يجـدر بك أيهـا الكابتن أن تعلم ، أن امرأة هي التي دفعتني الى الاعدام » •

ثم لاذ بالصمت من جديد • ولما سمع أوامر الضابط وهي توجه الى فرقة الاعدام بالاستعداد تكلم من جديد •

وقال اليوناني : انها امرأة ساحرة نشيطة وذات فائقة • لقد كان لها تأثير قوى على الى درجة انى لم أكن أعارضها في شيء • لقد سيطرت على كل من اتصل بها حتى كبار الضباط • وأحبذ أيها الكابتن الا تجتمع بهذه المرأة •

وفي اللحظة التى أعدم فيها الجاسوس اليونانى ، وصلت انيمارى ليسر الى برلين •

وفى يونيو عام ١٩١٧ بدأت الدول المتحاربة تجند الرجال بالجملة من أجل المعركة الاخيرة التى يجب أن تأتى سواء عاجلا أو آجلا • هل تم تجنيد جميع الاشخاص الذين هم فى سن الخدمة الاجبارية ؟ وما هى الاسلحة التى وزعوا عليها ؟ وكيف سيدربون بصورة تكفى لارسالهم الى الميدان ؟ وكانت هذه أسئلة لا يستطيع ماتيسيوس وانيمارى ليبر الاجابة عليها فى تلك اللحظة ، مع أن السلطات العسكرية تلح باستمرار للحصول على معلومات • وكان لابد من الانتظار بضعة أسابيع للتأكد من استدعاء المجندين ومن ثم يستطيعون الحصول على معلومات من حاميات العدو •

وقبل ارسال تعليمات بهذا العدد الى الجاسوس الرئيس فى باريس بيوم واحد حدث شىء لم يكن فى الحسبان • فقد وصل مراسل من سويسرا يحمل أنباء مزعجة من باريس • وقد تبين له أن مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسى قد حصل منذ بضعة أسابيع على قائمة تتضمن أوصاف كبار العملاء الالمان الذين كانوا يعملون آنذاك فى المدن الفرنسية الكبرى • فقد اعتقل جاسوس استخدم منذ أيام بيسارد ولكنه اتهم بعدم الحرص • وقد اعتقل وكشف النقاب عنه على أنه جاسوس ألمانى • ولم تعده السلطات بحياته فحسب بل وبحريته ومبلغ كبير من المال اذا رشد عن زملائه • ولم يتردد فى انقاذ حياته على حساب زملائه •

وأعلن العميل الرئيس فى باريس وهو ضابط ألمانى تولى عمله من قبل انيمارى ليبر عندما كان كودويانيس على قيد الحياة ـ انه لا يعرف عدد الذين وشى بهم ذلك الجاسوس ، كما أنه لا يعلم مدى اطلاع ذلك الجاسوس على نشاط العملاء الالمان فى فرنسا واساليبهم فى العمل • وكان هناك شىء واحد مؤكد : فقد وشى الجاسوس بالعميل الرئيس نفسه وقال أن الرسالة التى يرسلها وذكر فيها هذه الانباء المخيفة قد تكون آخر ما يستطيع ارساله من فرنسا • ولكن بالرغم من كل شىء فسيظل منصبه ويعتبر نفسه ضابطا فى الجبهة •

وعندما حلت انيمارى ليبر رموز هذه الرسالة وضعتها فى صمت أمام ماتيسيوس • وقد تأثر الاثنان لهذه الانباء • وكان من الواضح أن الفرنسيين يعتزمون السماح للعملاء بمواصلة عملهم فترة من الزمن دون ازعاج على أن تراقبهم خلالها حتى تتمكن من اعتقالهم فى آن واحد ثم تدفع بهم الى جماعات الاعدام بالجملة •

ويستطيع الفرنسيين أن يفعلوا ذلك فى وقت ما عندما يهمهم أن يخفوا الاجراءات التى اتخذت وراء الجبهة والتى يسعى الالمان لمعرفتها ٠

واذا قدر النجاح لهذه الخطة فسينقطع مصدر المعلومات عن القيادة الالمانية فى اللحظة التى يربر فيها الفرنسيون توجيه ضربة حاسمة ٠ وعندما أدرك الزميلان هذا قالت انيمارى : سأذهب الى باريس ٠

وفى هذه المناسبة حاول ماتيسيوس على غير العادة أن يثنى انيمارى عن عزمها بالذهاب الى باريس لما فيها هذا من مخاطر ٠ وطلبت انيمارى ثلاثة أيام كى تستعد للسفر ،وخلال‌هذه الايام الثلاثة لم يرها ماتيسيوس٠ وعندما ظهرت ثار ماتيسيوس وقال : كيف دخلت الى هذه الغرفة ؟ ماذا تريدين من هنا ؟ من أنت ؟

ومضت لحظات قبل أن يتعرف ماتيسيوس على زميلته انيمارى ٠ وقد وقفت أمامه فتاة حمراء الشعر ، كريهة المنظر رثة الثياب ممزقة الحذاء والجوارب تبدو عليها سمات الغباء ٠

وبعد أيام وصلت هذه الفتاة الى باريس وتقدمت الى مكاتب الاستخدام طالبة العمل كخادمة ٠ وقالت أنها من نورماندى وكانت ترتدى ملابس سكان تلك المنطقة ٠ وقالت أنها عملت فى تولون ولكن أصحاب المنزل الانجليز تركوها فى باريس لانهم عادوا الى بلادهم ٠ وأظهرت شهاداتها التى تقول أنها فتاة شريفة ، نشيطة فى العمل ٠ وقد عرض عليها العمل من جميع مكاتب الاستخدام تقريبا دون أن تستقر على رأى وطافت فى شوارع باريس وراحت تحملق فى المبانى العامة والتماثيل التذكارية وهى تحمل امتعتها فى صندوق وتسأل بوابى العمارات عما اذا كان هناك من يريد خادمة ٠

وعندما كان البوابون يخبرونها بالايجاب كانت تقول أنها لم تقرر بعد أنها ستفكر فى الامر ٠ وفى احدى الامسيات تحدثت الى بواب عمارة فى شارع فرانسوا رقم ٣ ٠ وكان الدور الارضى خاليا ، وأما الدور الاول فكله مكاتب ، وكانت بقية المنزل عبارة عن فندق ٠

وفى تلك الآونة تلقى العملاء الالمان فى فرنسا تحذيرا بالهرب بأسرع ما يمكن الى دول محايدة • وهرب العميل الرئيسى ومساعدوه الثلاثة الى أسبانيا • وقبض على بعض الباقين وهم فى القطارات •

وعقب ذلك توجه عدد من الرجال ذوى الجنسيات المختلفة الذين لا يهابون الموت من برلين الى باريس بطرق عديدة كى يحلوا محل العملاء الهاربين والمعتقلين •

ولم يكن المنزل رقم ٣ شارع فرانسوا بيتا عاديا • فان المكاتب والشقق المفروشة حديثة العهد • وكان المنزل عبارة عن المكتب المدنى التابع لمكتب مكافحة التجسس المركزى فى فرنسا • وكان الضباط فى المكاتب يرتدون ملابس مدنية ، وكان العملاء الذين يصلون باريس ليلا أو نهارا من أنحاء القارة ينزلون فى الشقق المفروشة • وكانت الانوار مضاءة اثناء الليل والنهار ، وقاعات الفندق حافلة بالعملاء والعميلات والجميع فى حركة دائبة • ولم تكن انيمارى تجرؤ على دخول هذا المبنى لو كان هناك ما يدعوها الى الخوف من أن يكون خطيبها الاخير ـ الصول فى الفرع العسكرى لمكافحة الجاسوسية ـ لا زال فى منصبه ، لان الفرع العسكرى كان يتعاون بكيفية وثيقة مع المكتب القائم فى شارع فرانسوا • ولكنها علمت أنه عاد الى وحدته قبل عودتها الى باريس بوقت طويل •

وقد حول بواب العمارة انيمارى الى مديرة الفندق فى الطابق العلوى• واستطاعت الفتاة النورماندية أن تحصل على العمل بعد أن أوحى منظرها لمديرة الفندق بأنها شريفة وامينة وغبية الى حد لا يتصوره العقل فقبلت العمل بأجر تافه للغاية • وكانت شروط العمل البقاء فى الفندق والاقامة فى غرفة تشاركها فيها ثلاث فتيات • وكان عملها عبارة عن تنظيف السلالم وغسل الاطباق • وعملت انيمارى فى الفندق اسبوعين ، كانت خلالهما مثار النشاط فى النظافة • ولم يكن لها من عزاء وسلوى فى هذا العمل الشاق سوى تعاطى المورفين • وكان هذا وبالا عليها فى النهاية • فقد كانت بعد يومها الحافل بالتعب تعتصم فى مخدعها • وتحقن نفسها بالمورفين • واثناء عملها فى هذا المنزل بدأت تحتاج الى أكثر من حقنة يوميا •

وفى نهاية الاسبوعين ، بدأت تربط الخيوط معا • فعلمت أنه عندما يغادر الضباط المبنى فى الواحدة بعد منتصف الليل ، يبقى فى المكاتب

اثنان من ضباط الصف • وكان لابد من تنظيف المكاتب اثناء وجود هذين الشخصين • وكانت مهمة تنظيف المكاتب فى الصباح من عمل الفتيات الاربع بالتوالى • وظهر اثناء الحديث بين الفتيات أن انيمارى هى أفقر الجميع • وكان تنظيف المكاتب فى الليل عبئا على الفتيات لان عليهن الاستيقاظ في السابعة صباحا أو قبل ذلك ، ورضي الثلاث فتيات مقابل مبلغ بسيط أن تتولى انيمارى العمل الليلى بصورة دائمة • وقبل مضى وقت طويل تصادفت الفتاة النورماندية مع أحد ضابطى الصف • فكانت تجالسه أثناء الليل ، وكان هذا يحدثها عن مزرعته التى تقع فى منطقة احتلها الالمان وعن زوجته وأولاده الذين لا يسمع أخبارهم سوى نادرا •

وفى يوم الاحد من الاسبوع الرابع لوجود انيمارى فى الفندق ، تولى ضابط الصف المذكور الحراسة وحده • وكانت العادة أن يتولى أحد الصولات الحراسة فى أيام الآحاد •

وفى تلك الليلة حملق ضابط الصف بدهشة فى الفتاة النورماندية وتساءل عن سبب تجاهله لجمال الفتاة • فقد شاهد فى تلك الليلة أن الفتاة جميلة جدا اذ أنها تعمدت اثارته • وعلى الفور ، جاءت الفتاة من خلفه اثناء جلوسه الى المنضدة ووضعت يديها على عينيه على سبيل الدعابة وأمسك الجندى بيديها وهو يضحك ، وفجأة سقطت على عينيه قطعة قماش فغاب عن الوعى • وفى تلك الليلة غادرت المنزل فتاة ترتدى ملابس زرقاء اللون وقد بدا أنها أصغر وأجمل من الخادمة النورماندية •

وفى الصباح ، انهمكت أجهزة البرق فى العمل ، وأرسلت الرسائل من الفندق فى شارع فرانسوا الى جميع مراكز الحدود وحراس الحدود العسكريين تطلب منهم مراقبة القطارات • وظلت أجهزة البرق تعمل طول النهار لان شيئا مريعا قد حدث • فان أحد الصولات فى المكتب المدنى لادارة مكافحة الجاسوسية قد غاب عن وعيه بفعل مخدر ، وقد سرقت جميع الوثائق واللوائح المتعلقة بعملاء فرنسا ، ليس فى ألمانيا فقط بل وفى البلدان المحايدة ، والسارق هو امرأة كانت تعمل فى مبنى المكتب كخادمة •

وقد أرسلت البرقيات دون جدوى • وكانت نتيجتها فى الواقع التشديد فى استجواب جميع النساء اللواتى اجتزن الحدود والتدقيق فى تفتيش أمتعتهن • ولكن هذه الاجراءات لم تسفر عن شىء • ويحدثنا

تاريخ الجاسوسية أنه ذات مساء هربت امرأة من فرنسا الى سويسرا بعد أن عبرت الحدود من طريق سرى • وقد عثر على بعد خمسمائة ياردة من حدود سويسرا على ثلاثة قتلى من الحراس منهم اثنان من حراس الحدود والثالث جندى ، وقد استقرت فى صدر كل منهم رصاصة •

وأما فى ألمانيا فقد استعدت السلطات لتوجيه ضربة قوية ضد مخابرات العدو •

وعادت انيمارى ليسر الى عملها فى برلين • وقد تركت أحداث السنوات الاخيرة أثرها على الدكتورة الجاسوسة وسارت الفتاة فى حياتها على نهج غريب • فقد كانت تحبس نفسها اياما دون أن تقابل أى انسان حتى ماتيسيوس لم يستطع أن يخرجها من غرفتها فى الطابق الثالثشارع كونيجراتزر • وحتى أهم الأنباء لم تكن لتصل اليها فى غرفتها اذا كانت قد لزمت عزلتها فى ذلك اليوم •

ولكن عندما يحل الظلام ، وتضاء الانــوار فى الدور الثالث ، فان انيمارى تحتل مقعدها هناك بهدوء وصمت ، وتجلس الى مكتبها والشعاع ينبثق من عينيها فقد بدأ الكوكايين والمورفين مفعولهما وفى المساء يعمل عقل انيمارى بدقة بالغة وبسرعة وبتفكير عميق • ولم تكن تتنــاول الا القليل من الطعام فى تلك الايام • وقد لاحظ ماتيسنيوس بفزع الانهيار الذى بدأ يزحف على الفتاة الحسناء •

وبهذه الحالة ، كانت انيمارى تجتمع ليلا بالعملاء الذين قدموا الى برلين أبان النهار وتتلقى تقاريرهم وتقارنها وتلخصها وتقدر وتكرس نفسها لهذا العمل الجسيم دون كلل أو ملل •

وبدأت الدول تستعد لموقعة فاصلة فى الحرب • وقد اخترق هجوم الربيع سنة ١٩١٨ الجبهة الغربية • وماذا بعد ذلك ؟ ان هذا يتوقف على مدى مابقى من معنويات للجيش الفرنسى • ومن المهم معرفة المكان الذى ستوجه اليه فرنسا الضربة التى تلقتها ، وعدد القوى التى لا زالت لديها• وأين ستوجه هذه القوى هجومها المضاد ؟

وكانت معرفة هذه الاسرار فى غاية الصعوبة والخطورة • ففى المناطق المهددة التى اخترقت فيها القوات الالمانية صفوف العدو كانت تنسحب القوات الفرنسية بحيث لا يتبقى سوى المراكز الامامية للجيش للاتصال بها • ولكن مراكز العدو الامامية كانت قوية جدا • وأما عمليات القوات وراء الجبهة فكانت سرية • وكانت القيادة الالمانية تجهل نوايا العدو • وهذا الجهل أمر خطير جدا ، كما لو أن العدو سيوجه هجوما كبير على مكان معين ، لذلك لابد من اعداد قوات ضخمة لمواجهة هذا الهجوم ، وهذه الحركة قد يكون فيها خسارة للوقت •

ولم يكن جواسيس ألمانيا الجدد في فرنسا بغافلين هذا، ولكن المعلومات كانت ترد فقط من القطاعات الفردية ، وكان من المستحيل الحصول على صورة واضحة للموقف بصورة عامة •

واستعدت الدكتورة الجاسوسة فى تلك الفترة للقيام بأكبر وآخر مغامرة فتوجهت الى أسبانيا • ولا يعرف مدى صحة الشائعة التى راجت حول وصولها فى غواصة ولا يمكننا فى الوقت الحاضر تأكيد هذه الشائعة أو انكارها • أما كيف وصلت الى هناك فهذا سر غامض لانها لم تقدم عرضا لرحلتها •

وهناك شيء واحد نعرفه ، هو أنها ظهرت فى برشلونه فى ربيع سنة ١٩١٨ وكانت ترتدى ملابس امرأة من أمريكا الجنوبية على أساس أنها زوجة أحد المزارعين في احدى ولايات جنوب أمريكا الاسبانية • تقدمت فوضعت نفسها فى خدمة المسئولين الاسبانيين عن الصليب الاحمر ، وقد أحضرت معها مبالغ كبيرة من المال من أبناء وطنها لمواساة الجرحى •

وكان نشاطها واسع النطاق وفعالا• وقد اقنع حماسها بعض السيدات الاسبانيات للحصول على اذن يتيح لوفد اسبانى من الصليب الاحمر لزيارة مستشفيات الميدان للجيش الفرنسي • وكان الوفد لا يضم سوى سيدات • وبعد وقت طويل ومساعى دبلوماسية تلقت السيدات الاسبانيات الاذن المطلوب •

ولم يكن لدى السيدات السبع اللواتى رافقن انيمارى ليسر فى هذه الرحلة أدنى شك فى حقيقة النوايا العظيمة الممتازة لهذه الفتاة الامريكية الاسبانية •

وجرى تنظيم قافلة الرحلة ، وأعدت كل مستلزمات الرحلة ووضعت في صندوقين ثم جيء بسيارتي ركاب وانطلق الوفد في رحلته .

وكانت طريق الوفد على طول الجبهة الغربية لزيارة المستشفيات ، ومضى وفد المحسنات الاسبانيات في طريقه ، وكان الضباط الفرنسيون من قبيل التكريم يرافقون الوفد في زياراته وتنقلاته وكانوا لا يبتعدون الا الافا قليلة من الياردات خلف المستشفيات الرئيسية في تنقلاتهم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق للغرب في الجبهة . وفي احدى الليالي في منتصف أغسطس ، مر الوفد في طريق عودته بمستشفى ميدان صغير على المارن .

وتقل لهذا المستشفى خلال النهار عدد كبير من الجرحى من الضباط والرجال بعد أن راحوا ضحية هجوم مفاجيء من جانب الالمان . وكان المرء لا يجد موضع قدم في المنتشفى . وعندما سألت السيدات الاسبانيات رئيس المستشفى عما يستطعن القيام به نحو الجرحى أخبرهن بمديد المساعدة . فباشرت السيدات عملهن دون ما تأخير وقد رحبت هيئة المستشفى بهذه المساعدة المفاجئة .

وخصصت انيماري ليسر لمساعدة رئيس الممرضات ، فطلب منها أن تتأكد من وضع الجرحى الجدد في الاسرة في خيمة كبيرة حيث كان هناك أكثر من مائة سرير لاستقبال الجرحى .

وأحضر عمال المستشفى ضابطين الى انيماري ليسر لوضعهما في الخيمة . وكان أحدهما كابتن فرنسي من هيئة أركان الحرب ـ أصيب بشظية شرابنل في كتفه عندما كان يسير خلف الجبهة في سيارة . والثاني ضابط بلجيكي من ضباط الاستطلاع التحق بالاى مشاه فرنسي كضابط اتصال وقد أصيب برصاصة بندقية في ساقه . وأدخل الضابطان الى الخيمة . واهتمت رئيسة الممرضات بالضابط الفرنسي بينما ساعدت انيماري الضابط البلجيكي ووضعه في السرير ، وكان هذا الضابط برغم

اصابته فى كامل وعيه ، فطلب منها لفافة تبغ من صندوقه • وعندما كانت انيمارى نحيته فوقه لتشعل له اللفافة فز لونه وحملق فى وجه الممرضة وصاح :

أيها الرفاق ، أسرعوا ، هذه المرأة جاسوسة ألمانية •

فرد عليه الضابط الفرنسى : أين هى الجاسوسة ؟

فاشار البلجيكى انيمارى ليسر •

فقالت الفتاة : انك تهذى ، اننى عضوه فى الصليب الاحمر ، وقد حضرت من أمريكا الجنوبية • وكانت تتحدث بلهجة صريحة واضحة وهى تبتسم وقالت : انك تتخيل أشــباحا أمامك ' يا عزيزى • ولكن الخوف سرى في عروقها• وعرفت أن هذا الضابط هو رينيه أوستن الذى رافقته فى بروكسل والذى كشف عن شخصيتها ولكنها هربت منه فى مركب هولندى •

غير أن الضابط البلجيكى لم ينخدع بذلك • فنهض من سريره وصاح بحيث سمعه كل من فى الخيمة وقال :

اننى أعرفها ، انها جاسوسة ألمانية ، وهى الدكتورة •

وعندما سمع الضابط الفرنسي بهذا اللقب صاح هاتفا : اذا كنت على يقين مما تقول فقد فزنا بغنيمة كبيرة ، وأشار الى اثنين من الجراحين دخلوا الخيمة ليعرفوا سبب الضوضاء ، وقال لهم : اقبضوا على هذه المرأة انها جاسوسة •

وحاول رينيه أوســتن أن يبين لهم كيف اكتشــف شــخصية هذه الجاسوسة فى الماضى عندما اتجهت الاحداث اتجاها مفاجئا •

فقد تحركت انيمارى ليسر بسرعة واختطفت مسدس الضابط الفرنسى وقفزت نحو باب الخيمة ففتحته ثم هرعت الى السيارات • وجرى الممرضون خلفها وهم يقولون : اقبضوا على الجاسوسة • وكان هناك جنديان فى المكان فصوبا بنادقهما ، ولكن الهاربة التى نزعت رواء المستشفى الابيض

مالت على الارض فطاش الرصاص ، وأظهرت الفتاة قوة خارقة فقفزت فوق سياج المستشفى ، وسقطت ، وتعثرت غير أنها ركضت نحو غابة صغيرة ، وكان أصوات الطلقات تتعالى خلفها ولم يصبها شيء بل اعطتها قوة فوق قوتها •

وسمعت أصوات مطارديها ، فاندفعت الى داخل الغابة ومسدس الضابط بيدها •

وكانت تجرى لانقاذ حياتها • ووصلت الى نهاية الغابة ، وقبل أن يرخي الليل سدوله اجتازت احدى الطرق وغيرت طريق سيرها ، وجرت نحو أصوات طلقات نيران المدافع التى تقطعها من وقت لآخر احدى طلقات مدافع الماكينة •

ثم اخترقت أحد السهول ووصلت الى غابة أخرى ، وكان أمامها بعض التلال فشرعت تتسلقها بسرعة البرق •

ولما أصبحت انيمارى على بعد مائتى ياردة سمعت خلفها أصوات مطارديها فالتفتت فرأت جنديين يجريان خلفها وبنادقهما فى أيديهما ، فاختفت وراء احدى الاشجار، ولما اجتاز الجنديان أرضا جرداء أطلقت عليهما الرصاص فاردتهما قتيلين •

وعلى الفور ، بدأ شخص يتسلق التل ، وكان هذا يلبس ملابس جندى فرنسي ويتشح برداء أحد الضباط وقد تمزقت الرتبة من على كتفه كما لو كان في خط النار • واستمر هذا المتسلق فى صعوده ثم توقف وتطلع خلفه فرأى عددا من الجنود يبحثون فى الغابة ومعهم كلاب اقتفاء الاثر •

وهكذا توارت الدكتورة في طيات الظلام • وكانت تتلمس طريقها على أصوات الطلقات التى أخذت تقترب شيئا فشيئا • وتجنبت الفتاة مراكز المدفعية وخنادق احدى السرايا التى كانت تغطى تراجع بعض الوحدات •

وشقت الجاسوسة طريقها عبر المراكز الامامية للقوات الفرنسية • وكان أحد الضباط الالمان من المدفعية يتفقد مركز المشاه الامامية عند الفجر ومعه جاويش وجندى ، فسمع فجأة خطوات خلفه • فشهر مسدسه واحتمى خلف أحد المنعطفات فى الغابة وفجأة ظهر أمامه ضابط فرنسى يجتاز المكان • فصاح الضابط الالمانى : قف ، ارفع يديك •

وتوقف الضابط فجأة ورفع يديه فوق رأسه ٠

وأنصت الضابط الالمانى برهة ، ولكن الغابة كانت فى سكون تام ٠ فتقدم نحو الضابط الفرنسى وقال : أسير ٠

ورفعت الاسيرة القبعة عن رأسها ، وقالت بصوت نسائى : شكرا لله ، بلغة ألمانية فصيحة خذنى الىأقرب هيئة أركان حرب ولم ينبس الضابط الالمانى ببنت شفه واعتراه الذهول ٠

فصاحت المرأة : اسرع ٠ اننى جاسوسة ألمانية أرتدى ملابس عسكرية ولدى معلومات هامة جدا ٠

وكان الضابط شابا ذكيا ، فأسرع الى قيادة الكتيبة ثم الى قيادة اللواء ، فحضرت على الفور سيارة الى مقر قيادة الجبهة وامام أحد ضباط هيئة أركان حرب الجبهة سقطت امرأة ترتدى بزة فرنسية بلا حراك ٠

وبعد ساعتين وصل أحد ضباط هيئة أركان الحرب العامة فوقفت معه الدكتورة أمام منضدة انتشرت فوقها الخرائط ٠ وقد أعطتها ممرضة رداء وقام طبيب بالاستماع الى اعترافها ٠ وبعد حقنها بالمورفين استعادت حيويتها ونشاطها بسرعة ٠ ولما أطلع ضابطا أركان الحرب على معلومات الجاسوسة صعقا وسرى الرعب فى أوصالهما ٠ فقد علما أن قوات جديدة مزودة بأفضل الاسلحة والمعدات بدأت تتحرك فى الجبهة الغربية ، وان القوات الامريكية باعداد كبيرة وفى روح معنوية عالية بدأت تصل الى الجبهة الفرنسية ٠ وراحت الدكتورة تمر بيدها على الخرائط وتخط بقلمها المعلومات التى حصلت عليها أبان رحلتها من الجنوب الى الشمال وراء الخطوط الفرنسية ٠ وعندما انتهت من سرد المعلومات ظهر على الخرائط صورة لتحركات القوات الفرنسية خلف الجبهة ، وأصبح من الواضح من أين ينوى العدو القيام بهجومه المضاد النهائى ٠

وشحب وجها الضابطين عندما أدركا قوة العدو الهائلة ٠ وكان ضابط هيئة أركان الحرب العامة يعرف الجاسوسة الجالسة أمامه ، ويعرف أن كل كلمة ذكرتها صحيحة حتى فى تفاصيلها الجزئية ، وان الدكتورة هى أمهر الجواسيس الالمان الذين يقول عليهم ٠

وانتقلت انيماری الى القيادة العليا فی طائرة • وهناك وضعت تفاصيل معلوماتها وقدمتها الى كبار قادة الجيش فی الجبهة الغربية • وعندما عادت الدكتورة الى غرفتها فی شارع كونيتلراتزر ، لم يستطع ماتيسيوس أن يخفی سروره وابتهاجه • وجلس الاثنان فی الليل يتحادثان وكشفت له انيماری عن رحلتها ونتائجها وما حصلت عليه من معلومات فاصفر لون ماتيسيوس الذی قضى نصف عمره فی وضع النتائج من تقارير الجواسيس وأدرك ماتيسيوس بثاقب نظره ما سيحدث على الجبهة الغربية عما قريب •

وعندما أعلنت الهدنة ، ذاع النبأ فی أنحاء المانيا ، قام ماتيسيوس وشريكته باحراق أوراقهما والخرائط وثائقهما ، ولم يتركا شيئا له قيمة فی المنزل ـ شارع كونيكراتزر ، اذ أن المانيا خسرت الحرب •

وفی بداية الامر لزمت الدكتورة الجاسوسة غرفتها • وفی أحد الايام أخطرها ماتيسيوس الذی كان الكسل والهدوء بالنسبة اليه سما طبيعيا ـ بأنه سيسافر الى بودابست حيث كان هناك قيادة لعملاء رانجل ردحا من الزمن ، وحيث يجتمع المغامرون السياسيون من جميـــع الدول • ومن أفنی حياته معه • وتوسل ماتيسيوس الى انيماری ليسر كی ترافقه الى بودابست تلقی عرضا بالعمل فی منصب يتيح له مواصلة العمل الذی هناك ولكنها رفضت • وجلست بضع لحظات تحملق فی لهيب النـــار المضطرمة • وفی تلك اللحظة ، وللمرة الاولى بعد سنين طويلة ، بدأت تسأل عما حل بأبيها • فعلمت أنه مات ، وان ميراث العائلة ذهب ادراج الرياح •

وفی يوم من الايام ، دخل ضابط سابق كان له منصب رفيع فی قيادة الجيش الالمـانی المنزل الذی أصبح الآن مهجورا فی شارع كونجراتزر • وقال لها أنه هو الذی قدم كارل فون وينانكی الى ماتيسيوس منذ سنوات وأنه يشعر الآن بأن من واجبه الأولى أن يفعل ما يستطيع لاجلها •

وانتقلت انيماری الى بيت صغير تحيط به حديقة جميلة فی ضاحية زيلندورف • وبذل الاطباء ما بوسعهم لانقاذ هذه المرأة التی كان يبـدو أنها وحيـدة لا اصـدقاء لها ولا أقرباء • وبـدأ لهم فی أول الامر أنهم

يستطيعون مساعدتهـا ، ولكن ثبت أن الاوان قد فات • فقـد تحطمت أعصابها بفعل المورفين والكوكايين والارهاق العقلي • وذات يوم سافرت مع ممرضات أجانب الى سويسرا • وهناك في مستشفى للامراض العقلية تعيش انيماري ليسر اليوم • وقد ظللت السحب عقلها واندثرت قدرتها على التفكير • وفي ساعات الليل عندما تصفر الرياح الجبلية حول بيتها تنتابها نوبات صراخ عالية • وكانت تذكر أسماء أشخاص عديدين أثناء صراخها في الليل • وكان يبدو من ذلك أنها تريد انقاذ شـخص يدعى كودوبانيس من الاعدام بايدى الفرنسيين أو أنها تقـاتل الجنود الذين يطاردونها في الغابة ، وأحيانا تلجأ الى البكاء ثم تقف أمام قبر يحمل اسم كارل فون ويناتكي •

وأصبحت جدران مستشفى الامراض العقلية قبرا حيالها ، قبرا لا عظم جاسوسة ألمانية خدمت بلادها في الحرب العظمى •

٨

جاسوس عظيم

كان للجاسوس البريطاني الكسندر زيك شأن فى تاريخ الحرب الاوروبية لم يكن لاحد مثله • فقد كان لنشاط هذا الشاب آثار على مصير شعوب أوروبا تجعلنا لا نبالغ اذا قلنا أنه كان السبب فى انتصار الحلفاء في الحرب • ففى بداية هذا الامر قامت المخابرات الانجليزية بثورة هامة لم يسجل التاريخ مثلها •

ففى أواخر فبراير سنة ١٩١٧ ، أعلنت وكالة رويتر للانباء أنه حتى قبل دخول أمريكا الحرب فقد عرفت الولايات المتحدة والحلفاء معها نص الرسالة التى بعث بها وزير الدولة الالمانى زيمرمان الى الوزير الالمانى المفوض فى المكسيك فون ايخارد • ونشرت رويتر نص الرسالة كما يلى × :

برلين ١٩ يناير ١٩١٧ •

سنبدأ فى أول فبراير بحرب غواصات شاملة • ويهمنا أن تظل أمريكا على الحياد • واذا فشلت جهودنا فى هذه الناحية فاننا نقترح عقد تحالف مع المكسيك على الاساس التالى : نقوم نحارب معا ونعقد الصلح معا• ونضمن التأييد المالى العام • ويكون من المقرر تستعيد المكسيك اقليمى نيومكسيكو واريزونا• وأما تفاصيل الاتفاق فمتروك لك • وتترك لك أن تجس نبض سرا كارانزا وبمجرد التأكد من أن الحرب ستنشب مع أمريكا بأن يقوم من جانبه بالاتصال باليابان ودعوتها للتعاون وأن يعرض فى الوقت نفسه التفاوض بين المانيا واليابان • وجهوا اهتمام كارانزا الى أن شن حرب الغواصات يجعل من الممكن ارغام انجلترا على الاستسلام وعقد صلح خلال بضعة أشهر •

زيمرمان

× راجع « الفرقة رقم ٤٠ » اصدار الهيئة •

واثار نشر هذه الرسالة موجة من الاستياء فى أنحاء العالم • وسرى الاعتقاد أن ألمانيا كانت مخططة بتدبيرها مؤامرة عسكرية ضد دولة لا زالت على الحياد وأنها حاولت اقناع اليابان بالدخول فى حرب ضـد أمريكا • وبدأت الصحف الامريكية التى كانت تميل الى الاشتـراك فى الحرب ـ تشير الى الخطر اليابانى • وقيل أن قادة الجيش الامريكى كانوا على بينة أنه اذا قامت اليابان بهجوم على الولايات المتحدة فسيتم الهجوم عن طريق المكسيك على وادى المسيسيبى لشطر البلاد الى شطرين واهم نتيجة لذلك هى بالطبع أن حكومة الولايات المتحدة بعد أن علمت بمـا جاء فى هذه الرسالة من بادىء الأمر فى يناير سنة ١٩١٧ أخذت توجه كل نشاطها لادخال أمريكا فى الحرب •

وكان هذا الموقف صعبا بالنسبة للحكومة الفيدرالية ، اذا أنه نظرا لان نص الرسالة موجود لدى فرنسا وبريطانيا وأنهما قد تنشرانه فى أى وقت ، لذلك كان من السهل على هاتين الحكومتين أن تضغطا على الحكومة الاتحادية عن طريق الرأى العام الامريكى • وكانت الصحف الامريكية شديدة الحساسية فى الشئون التى تتعلق بحدود المكسيك ، فاذا أثير موضوع الخطر اليابانى بالاضافة الى تحول المشكلة المكسيكية فان الحكومة الامريكية ان لم تتخذ أى اجراء ستجد نفسها فى موقف حرج للغاية •

وأدرك الرأى العام بعد أن نشرت رويتر الرسالة أن رسالة زيمرمان قد وقعت فى أيدى العدو • وأحدث النبأ أثرا سيئا فى ألمانيـا • وأدلى زيمرمان بعد ذلك ببيان أمام البرلمان الالمانى ، قال فيه أنه من المســتحيل معرفة كيفية حصول الامريكيين على نص الرسالة التى كتبت بشفرة سرية للغاية ودرس البرلمان جميع احتمالات القضية • ولم يوضح وزير الدولة كيف قدمت الرسالة الموجهة للوزير الالمانى فى المكسيك • والرأى السائد أنها أرســلت بالبريد • وكتب جورج ببرنهارد مقالـة رئيســـية فى فوزيزخ زيتونج قال فيها :

« لقد أعربت الصحف عن رأيها بصراحة فى أن الرسالة سرقت من رسول ساعى المفوضية الالمانية فى الطريق الى المكسيك • ويمكن استبعاد هذا الاحتمال من الموضوع • ولا يمكننا أن نتصور ارسال مثل هذه الرسالة مكتوبة مع رسول مهما كانت درجة الثقة به •

ولم يعرف جورج بونهارد كيف جرى تبرير افتراضـه • فلم تكن تعليمات وزير الدولة فى الرسالة وانى أرسلت بطريقة مختلفة •

وفى بداية الغزو الالمانى لبلجيكا ، اتخذ أحد ضباط قيادة بروكسل مقر قيادته فى أحد المنازل الارستقراطية القديمة • وكان المنزل ملكا لاحد رجال الصناعة النمسويين المدعو الهيرزيك كان يعيش هناك مع زوجته الانجليزية وابنه الكسندر • ولم يمضى على الضابط ساعات فى المنزل حتى قدم الكسندر زيك نفسه له بالعبارة الآتية : وقال للضابط أن له خبرة فى اللاسلكى ، وأنه صمم جهاز استقبال وأن المنزل مزود بسلك هوائى • وطلب من الضابط أن يرسل اشارة الى قيادة بروكسل كيلا تشك فى أنه تجسس باللاسلكى •

وهدأ الضابط من روع الفتى وتفقد جهاز اللاسلكى ثم أبلغ أحـد ضباط سلاح الاشارة بما رآه وبما أخبره الكسندر •

وحضر ضابط سلاح الاشارة الى المنزل ومكث فيه بضع ساعات وقال أن الكسندر نجح فى انشـاء أجهزة اسـتقبال غير معروفة لدى الجيش الالمانى • فقد صمم جهازا يعتبر جديدا فى تلك الايام ، وكان باستطاعة الجهاز أن يستقبل أى موجة مهما كانت طولها •

ونقل الضابط ما رآه الى رؤسائه ، وتساءل ، عما اذا كان هذا الشاب ذى المعرفة الواسعة فى فنون الاسـتقبال اللاسـلكى يمكن أن تعطى له الفرصة للاستفادة بعلمه بكيفية عملية •

وبدأت السلطات العسكرية فى بروكسل تتحرى سرا عن الكسندر زيك ، فعلمت أن أباه ـ أحد رجال العمل النمسويين الاثرياء له مكانة فى مجتمع فيينا ومعروف فى البلاط النمسوى • وهو مشهور بمشـاعره الوطنية ويعتبر شخصا يعول عليه من الناحية السـياسية • وأما الام الانجليزية الاصل ، فقد أخذت العادات النمسوية ، وهى فوق مستوى الشبهات من الناحية السياسية •

وكانت نتيجة هذه التحريات أن استفسرت كبار الشخصيات النمسوية التى أثارت التحقيقات انتباهها ـ عن سبب اهتمام السلطات العسكرية

فى بروكسل بعائلة زيك • وسالت السلطات الالمانية بدورها عما اذا كانت تستطيع استخدام الشاب فى منصب يخول له الاطلاع على أسرار عسكرية هامة • وكان الجواب ايجابيا •

وهكذا ، طلب من السكندر زيك أن يضع نفسه تحت تصرف السلطات الالمانية • وقبل الشاب هذا لان ميوله السياسية انذاك كانت كميول أبيه • وعين الشاب فى منصب غير ذى شأن فى محطة استقبال لاسلكية ألمانية فى بلجيكا • وكانت مهمته تتلخص فى اقامة أجهزة الاستقبال ، ولما اتضحت قدرته الفنية الفائقة منذ البداية ، أصبح يشرف على استقبال الرسائل المستمر من محطات مختلفة الامواج •

وسرعان ما نال زيك ثقة رؤسائه ، وأصبح من المحتم ترقيته الى أحد المناصب الرفيعة فى المصلحة • وكانت المحطة التى يعمل فيها تستقبل رسائل لاسلكية هامة منها الرسائل الرسمية التابعة للحكومة الالمانية وبرقيات هيئة أركان حرب الجيش • وقد اتخذت جميع الاحتياطات لمنع حصول العدو على هذه الرسائل •

وكان ارسال الرسائل يتم بشفرة سرية للغاية • ومفتاح الشفرة لدى كبار المسئولين فى الحكومة الالمانية والهيئات التابعة لهم • ومنعا لسوء استخدام مفتاح الشفرة فلم يكن ترسل بها الا البرقيات الرسمية الهامة • وكانت هذه البرقيات ترسل الى هيئات قليلة منها : قيادة الجيش، الحكام العامين وسفارات ومفوضيات ألمانيا فى الخارج ــ لذلك فان مفتاح الشفرة كان لدى بعض المسئولين الذين يحافظون عليه بسرية تامة •

وجرى وضع وتعديل هذه الشفرة فى زمن السلم ، وقد استغرق ذلك جهودا جبارا • ومفتاح الشفرة يقع فى مجلدين أحدهما كبير والآخر صغير • ويتضمن المجلد الكبير الحروف الفردية الابجدية معبرا عنها بالارقام ، وكذلك كلمات كاملة معبرا عنها بالارقام أيضا • ولكن هذا المجلد لا فائدة له دون الكتاب الآخر الذى يبين أن الارقام الاساسية تتبدل تبعا لايام السنة • ولكن بكيفية أنه حتى لو عرفت الارقام الاساسية لمختلف أيام السنة ، فيجب أن تكيف طبقا لحسابات معينة وتتعلق بالارقام الواردة فى الكتاب الاصغر ولذلك كانت هذه الشفرة من أنواع الشفرات السرية التى يتعذر حلها اطلاقا •

ولم يمضى وقت طويل حتى أصبح الكسندر زيك أحد القلائل الذين يجلسون ليل نهار فى غرفة خاصة فى محطة الاستقبال حيث يتلقون البرقيات السرية الرسمية الموجهة الى حاكم عام بروكسل • وكان من عملهم أيضا حل شفرة هذه البرقيات بالرجوع الى مفتاح الشفرة •

ولما بدأت الحرب ، أخذ الكابتن ترينتش من البحرية الملكية البريطانية يهتم بمحطة اللاسلكى وازداد اهتمامه عندما اكتشفت المخابرات البريطانية أن هذه المحطة تتلقى البرقيات الحكومية المكتوبة بشفرة سرية للغاية خاصة بالحكومة الالمانية • وعرف الكابتن ترينتش بواسطة عملائه فى بروكسل شخصيات الذين يقومون بحل هذه الشفرة • وكان اسم الشاب النمسوي أن زيك أحد هؤلاء الاشخاص •

وقامت المخابرات البريطانية بتحريات واسعة عن هذا الشاب • فعلمت أنه ينحدر من أم انجليزية لذلك تشاورت السلطات العسكرية عما يمكن فعله • ويبدو أنهم استطاعوا بوسيلة ما استخدام هذا الشاب • واستطاعت المخابرات أن تنجح فى اقناع أصدقاء عائلة زيك فى بروكسل بالاتصال بالكسندر زيك وقد نجحت المفاوضات • وعندما سمع الشاب بالعرض البريطانى اقترح أن يسرق مفتاح الشفرة فى احدى الامسيات وأن يهرب به عبر حدود هولندا بعد أن قام باستعدادات دقيقة •

وعلم أن المخابرات البريطانية عارضت هذه الخطة بطريقة شديدة ، لانه اذا اكتشف الالمان سرقة مفتاح الشفرة فسيعمدون الى تغيير الشفرة من يوم لآخر وتصبح عملية السرقة عقيمة • ورأت المخابرات عدم سرقة كتاب الشفرة ، وانما يقوم زيك عندما يكون وحيدا فى غرفة الإستقبال بنسخ كتاب الشفرة كله •

وعندما انتهى زيك من هذه العملية أخبر رؤسائه بأنه متعب • وشهد أحد الاطباء أن أعصابه قد انهارت ، وكان هذا الرأى صائبا • فقد أحضر زيك كتاب الشفرة الى هولندا • وكانت تحيط بالحدود أسلاك كهربائية شديدة القوة • وأعد زيك لوحا خشبيا وغطاه باطارات دراجة دفع به الاسلاك فى منطقة خالية من الحراسة واجتاز الحدود •

ومنذ تلك اللحظة اختفى اسم الكسندر زيك ولم يسمع أحد به ولكن المخابرات البريطانية وضعت يدها كتاب الشفرة ٠ منذ ذلك اليوم – أى قبل دخول الولايات المتحدة الحرب – استطاع الحلفاء أن يستقبلوا ويحلوا شفرة جميع رسائل الامبراطورية الالمانية ٠

ولم يرسل وزير الدولة زيمرمان تعليماته الى الوزير الالمانى فى المكسيك عن طريق البريد وانما أرسلها فى برقية لاسلكية الى محطة الاستقبال اللاسلكى المكسيكية فى شابولتيبك وقامت المحطة بتسليمها الى الوزير الالمانى الذى قام بحل شفرتها ٠

ولم تعرف السلطات الالمانية بهذا الامر الى أن أفشت صحافة العدو الحقائق بعد الحرب ٠

ومصير الخائن الكسندر زيك مجهول حتى الآن ٠ فهو قد اختفى ٠ وقد أنفق أبوه أموالا طائلة واستخدام عددا من المخبرين للعثور على ابنه ٠ واكتشفوا أثرا من اثار تحركاته وهو أنه انتقل من بلجيكا الى انجلترا ٠

وقد يساعدنا المنطق على ادراك سبب اختفاء الكسندر زيك ٠ فلو ظل على قيد الحياة فقد يعمد فى لحظة ضعف ابان الحرب الى اعلان الحقيقة بأنه سرق كتاب الشفرة لاجل حكومة بريطانيا ٠ ولو عرفت السلطات الالمانية ذلك لاصبح الكود عديم القيمة لانه سيتغير على الفور ٠ وبذلك يكون الحلفاء قد فقدوا سلاحا لابد منه لكسب الحرب ٠ اما اذا مات الكسندر زيك قبل أن يعلن عن معرفته لما كان هناك تعرض لمثل هذه الخسارة ٠

وقالت صحيفة السكوتسمان البريطانية فى عددها الصادر يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٥ أن اللورد بلفور أشار الى سرقة مفتاح الشفرة الالمانية فى خطاب القاه فى جامعة أدنبره ٠ وقال لورد بلفور أنها لحقيقة مذهلة أن أحدا لم يحصل اطلاقا على مكافأة عن (هذه الخدمة العظيمة) التى قدمها للحلفاء ٠

٩

ماتاهاري ـ الراقصة اللعوب والجاسوسة

جلس الكابتن ماكليود ـ من الجيش الهولندى فى ردهة فندق الانديز فى لاهاى وراح يحملق عبر النافذة فى الميدان الواسع الذى يقع أمام الفندق وكان هذا فى شتاء عام ١٨٩٤ ٠ وقد بدأ الثلج يتساقط عند الظهيرة ، وشعر الكابتن بالتعب من مراقبة تساقط الثلج ٠ وكان ماكليود قد نشر اعلان زواج فقد كان يبحث عن زوجة كى تستقر حياته بفضل مهرها ٠ وتلقى الكابتن رسالة من شخص يقترح عليه أن يزوجه بابنته اذ أن لها بائنة كبيرة ، وهى صغيرة السن جميلة وحسنة المظهر ٠ وجلس ماكليود فى الفندق كى يقابل هذه الفتاة واعترته رجفه عندما مرت بخاطره فكرة تقول له أن الفتاة جميلة وانه مع ذلك قد يتزوجها ٠

وفجأة هب الكابتن واقفا ، وقد أعترته الدهشة بحيث قلب فنجان الشاى الذى أمامه فسقط على الارض وتناثرت شظاياه ، وأمام هذا الجندى المرتبك وقفت فتاة جميلة الى حد جعل ماكليود ذى الخبرة الواسعة يعلن أنه لم يشاهد مثلها أبدا ٠ فقد كانت الفتاة معتدلة الطول مليحة الشكل والقوام ، واسعة العينين برونزية اللون ٠ واسم الفتاة مارجريت زيلى ٠ وقد وقفت أمام الضابط وقد علت شفتيها ابتسامة بسبب ما حدث ٠ ومضت دقائق قبل أن يستعيد ماكليود صوابه ويدرك أن المخلوقة الساحرة هى بالفعل أمامه ، واسترعت الفتاة أنظار من فى الفندق فراحوا يتأملونها باعجاب ٠

وبعد مضى ساعة استأذنت الفتاة من الضابط الذى بدت له الساعة وكأنها دقيقة ، وبعد أن ابتعدت الفتاة نهض ماكليود وانطلق الى الشوارع حتى وصل الى منزل صغير هو مكتب الاعلانات ٠ ودفع بعض النقود ، وعلم ردا على أسئلته أن مارجريت زيلى ولدت فى ليوواردن ـ المدينة الرئيسية فى فريزلاند ـ وهى ابنة شخص من جاوه تزوج هولندية وهو صاحب أحد المحلات الشهيرة للقبعات ، وكانت عائلة مرجريت ميسورة

الحال فالام تنتمى لاحدى الاسر الهولندية النبيلة • وقد ولدت الابنة سنة ١٨٨٠ لذلك كانت فى ذلك الحين في الرابعة عشرة من عمرها • وسبب كبر حجمها انذاك يعود الى أن أبيها ليس من أصل أوروبى بحت •

وفى الثلاثين من مارس سنة ١٨٩٥ أقيم حفل زواج فى امستردام ، وأصبحت مرجريت زيلى زوجة الكابتن ماكليود • وقد أثار هـذا الحفل اهتمام المجتمع الهولندى الراقي بفضل حضور عـدد من أقرباء الكابتن ماكليود وكثير منهم من النبلاء وكذلك أقرباء والدة العروس • وقال الجميع أن العروس هي أجمل فتيات المجتمع الهولندى بما فى ذلك البلاط • وبدأ العروسان حياتهما الجديدة فى بورنيو ومنها الى سومطرة وانتقلا الى جاوة لان الكابتن انتقل بعد زواجه الى الحاميات الاستوائية • وعاشـت زوجة الكابتن التى كانت محاطة بعدد كبير من الخدم حياة خاصة بهـا فكانت تشغل نفسها بقراءة الادب المحلى ، وتلقت مبادىء الديانة البوذية • وانجبت طفلها الأول الذى مات فجأة بعو مولده فانتاب الام الصغيرة حزن ويأس • وأما المولود الثاني فقد عاش وكانت طفلة سميت جاك لويس • وعاشت مرجريت فى عالم خيالى ، وكانت تقضى معظم أوقاتها فى المعابد • الكائنة فى الاحياء الوطنية حيث كانت تقضى فيها الساعات × •

ولم يكن الزواج موفقا سعيدا • فقد وقع الكابتن فريسة حمى منتشرة هناك • وكانت تقع حوادث عنيفة ، وفى أحد الايام وقعت فضيحة ساخرة ولم يجد الاوروبيون المجاورون بدا من التدخل ، واضطر رؤساء الكابتن الى اتخاذ اجراء • ففى ذات أمسية جلس الكابتن ماكليود يشرب فى شرفة منزله ، وأرسل يستدعى عددا من النساء المواطنات من ذوات السـمعة السيئة ، ثم دخل غرفة زوجته وبيده سوط وأخرجها من الغرفة وأرغمها على مشاهدة عملية غير ممكنة الحدوث فى تلك الجزر الاستوائية •

وبعد أيام رحل الكابتن وزوجتـه وابنتهما الى أوروبا • فقـد نقل الكابتن الى امستردام •وكان مرتبه لا يكفيه للحياة فى العاصمة الهولندية• وقد تأثر مركز عائلة ماكليود نتيجـة تلك الفعلة القـذرة التى انتشرت رائحتها وبدأ الكابتن حياة انحلال بشع • وفى احدى الليالى ، طرد زوجته الى الشارع وطلب منها أن تحصل على مال بأى وسيلة ••

× راجع « ابنة ماتا هارى » فى كتاب (نساء فى ميدان الجاسوسية) اصدار الهيئة •

وحصلت زوجتــه على المال تلك الليلة • وفى الايام التاليــة ، غادر ماكليود المنزل ومعه ابنته بعد أن وقف أحد رجال البوليس يحرس المنزل طبقا للقانون الهولندى الى أن يرفع الحجز عن الاثاث •

وذهبت ميفرو ماكليود الى أبيها ، واثناء وقوفها وراء المنضــدة تبيع القبعات اتخذت قرارا يمكن أن يعزى الى أصلها الاجنبى أو لتعطشها الى حياة المتعة التى حرمت منها • وأخذت مرجريت المال الذى عثرت عليه فى صندوق أبيها واستقلت القطار الى باريس وكانت بداية الرحلة التى لا يعوذ منها أحد اطلاقا •

وذات مساء ، وقفت مرجريت حائرة جائعة فى ركن شــارع مظلم • فأسدتها احدى نســاء الشــوارع نصيحة : يا عزيزتى ، لا زلت صغيرة وجميلة ، انك تستطيعين أن تعيشين حياة أفضل • واننى أعرف بيتــا سيسرهم قبولك فيه • فهل تعطينى ثلاثة فرنكات اذا أخذتك اليه ؟

وذهبت السيدة التى كانت تدعى ميفرو ماكليود الى « بيت عام » فى الحى اللاشينى • وعندما قرعت الجرس ظهرت أمامها امرأة عجوز أخذتها الى حجرة نوم حسنة الاثاث وفى منتصف الغرفة مرآة كبيرة ومقعد طويل• وأمضت مرجريت صيف تلك السنة فى هذه الغرفة • وكان المنزل راقيا بحيث لم يكن يطلب من نزلائه الســيدات أن يزوروا مركز البوليس أسبوعيا ولكن الدكتور بيزار ــ جراح سجن النساء سانت لازير ــ كان يحضر الى هذا المنزل فى فترات محددة لزيارة نزلائه •

وامتهنت مرجريت الدعارة ورحلت عن ذلك البيت الى منزل فى نويلى، وقد هيأ لها أحد رجال الصناعة منزلا جسنا وزودها بعربة ومجموعة من الملابس وعاش معها بعد أن ترك زوجته وأولاده• ورافقت مرجريت عشيقها الى كوت دازو حيث علمت أن زوجها السابق الكابتن ماكليود مات • ولم يترك شيئا سوى بعض الديون وابنته • وبعد فترة من الوقت ، أفاقت مرجريت من نومها وقرأت فى الصحف أن عشيقها قد قبض عليه • فقد زور عددا من الشيكات وبدد أملاكه وحطم نفسه من أجل معشــوقته • ومضت أشــهر لم يســمع شىء عن مرجريت • وذات يوم دهش زبائن مرجريت عندما وصلتهم دعوات لحضور حفل فى أكتوبر ســنة ١٩٠٥ • واستقبلت مرجريت أصدقاءها فى موسيه جومى ــ مكان اجتماع الشرقيين فى باريس • ولم تدع مرجريت زبائنها فقط بل معظم الشرقيين ورجال

الادب والفن والصحفيين • وجاء في الدعوات أن راقصة هندية ستعرض رقصات المعبد واسم الراقصة ماتاهاري • وكان هذا الاسم يعنى ماتا ـ العين وهارى : اليوم بلغة الملايو ، وهذا اشارة الى الشمس • وتحت هذا الاسم ظهرت مرجريت زيلي زوجـة الكابتن ماكليود سـابقا • وظهرت اسطورة الراقصة الهندية ، وامتلات القاعة بالمدعوين •

ونجحت الراقصة بسرعة وبصورة لم يلقها أحد من قبل الا فى باريس ما قبل سنوات الحرب • وكان رقص ماتا هارى ظاهرة جديدة هناك •

ورقصت ماتا هارى رقصا تعبيريا يروى حكايات بمصاحبة موسيقى شرقية أثارت جمهور الحاضرين عدة مرات •

وذاع صيت ماتا هاى فى أنحاء أوروبا • ولم يبحث أحد عن ماضيها ، فالجميع مقتنع بأنها راقصة موهوبة ظهرت لاول مرة • وتوالت انتصارات ماتا هارى • وبدأت مسـارح باريس الكبرى تتنـافس فيما بينها على استخدام الراقصة الجديدة ، ودفعت مبالغ طائلة فى هذا السبيل • وبين عشية وليلة غدت ماتا هارى أشهر راقصة فى تلك الايام ، وحافظت على تفوقها عدة أشهر بالرغم من ظهور عدد من الراقصات الشهيرات فى باريس مثل أونيرو ، ايدا روبنشتاين ، ريجنيا بادت وايزادورا دنكان • وأعقب نجاحها المذهل فى باريس نجاح مماثل فى عواصم أوروبا الاخرى •

وذات مساء عند عودتها الى باريس اثر مغادرتها المسرح فولى بيرجير بعد نجاح منقطع النظير وجدت شـابا طويل القامة يقف أمام باب غرفة ملابسها • وحمل الشاب باقة من الزهور الجميلة النادرة • وابتسم هـذا الشخص لها وتكلم بضع كلمات وقد بدت عليه علائم الثبات والعزم بحيث لم تستطع الراقصة أن تقاومه • وفى صبيحة اليوم التالى استيقظت من النوم لتجده الى جانبها فى السرير • وكان هذا الرجل هو كيز بيير دى مونيساك من النجوم الساطعة فى حياة الليل الباريسية وأحد أصدقاء كبار الضباط الارستقراطيين فى الحرس الجمهورى • وبعـد فترة طويلة عثر البوليس لدى ماتا هارى على رسائل باسم المركيز بيير • وابان محاكمتها بذلت جهود عديدة لمعرفة هذه الشخصية ، وماذا فعل ومن أين هو • وفى عصر انتصارات ماتا هارى لم يكن أحد يهتم بهذه التفاهات • وقد كان الرجل موجودا هناك ، وكان غنيا أنيقا ارستقراطيا ، وكان يفى ديونه فى الموعد المحدد ، وكان شخصا يفى بولاءه • وقـد مضت فترة طويلة قبل

اكتشاف حقيقة شخصية هذا الرجل • ولم تعرف شخصيته حتى سنة ١٩٢٧ عندما قرر شخص يدعى نيتلي لوكاس أن يسلك جادة الصواب ويصبح شريفا • وكان لوكاس أحد زعماء عالم الاجرام في باريس مدة طويلة من الزمن ، وهو شخص عمله التزوير الضخم ، خبير في اغتصاب الخزائن أحد لصوص الفنادق الغامضين • وأفسح لوكاس المجال أمام حياة شريفة بأن وضع كتاب سجل فيه أعماله الخاطئة • وفي ذلك الكتاب الذى أكد البوليس ما جاء فيه تحدث الكاتب عن شخص يدعى كونت بيير معروف باسم مركيز دى مونتيساك • ويقول لوكاس أن أحدا لا يعرف من أين جاء المرنين ولكنه يجيد الفرنسية والروسية والالمانية والانجليزية كأنه أحد أبنائها ، ولذلك صعب تحديد لغته الاصلية •

وتلقى المركيز دراسته في بون ، ولما كان لا يزال طالبا توفى أبوه في الريفييرا الفرنسية تاركا لابنه ثروة كبيرة خسر بقاياها في مونت كارلو • ولكنه لم يستطع التخلى عن حياة الترف التى عاشها فواصل حياته كالسابق وعاش في ترف وبذخ ، وكان لا يترك الفنادق العديدة التى نزل فيها دون أن يأخذ منها بعض التذكارات • فبعد رحيله ، يكتشف النزلاء ضياع مجوهراتهم أو محافظهم المليئة • وبالرغم من عدم اكتشاف أمره الا أنه ضاق ذرعا بتلك الحياة ، ويعتقد أنه ذات يوم عندما كان في لوزان اتصل به أحد رجال المخابرات الالمانية وعرض عليه اقتراحا ما فقبله • ومرة أخرى تدفق المال على المركيز دى مونيساك فعاد الى باريس • وقبل انقضاء وقت طويل أصبح المركيز صديقا لجميع ضباط الحرس ، وبات المركيز رجلا يحييه الجميع بحماس أثناء سيره في شوارع باريس • وكنت تراه في المناسبات الكبيرة • ثم تدرب على الطيران ، وكان أصدقاءه يعتقدون أنه لم يفعل ذلك الا لمجرد التسلية • وكان المركيز يغيب عن باريس دائما، وطاف بمعظم عواصم أوروبا ليس باسم المركيز دائما وانما باسم الكابتن الروسى مازو مارزو •

وحينما عاد المركيز من احدى رحلاته في يوليو سنة ١٩١٤ ، سارعت ماتا هارى ببيع فيلتها في نويلى بكل ملحقاتها الفاخرة وقصرها الذى كان ملكا لآل بومبادور في الماضى ، ثم اختفت فجأة من باريس •

وفي أوائل أغسطس سنة ١٩١٤ ، ظهرت ماتا هارى في برلين — في المسرح الرئيسى الكبير •

ثم رحلت فجأة بعد أيام . ورافقها خادم حمل حقيبتها . وكان الخادم بخاطبها كصديق لها عندما ينفردان معا ، وافترق الاثنان فى امستردام .

وعاد المركيز الى باريس بعد أيام فاستقبله أصدقاءه بحرارة ، فزار الجميع وبدأ نشاطه فحصل على هدفه بسرعة ، ولما كان ذا خبرة فى الطيران فقد التحق بسلاح الطيران الفرنسى . وبعد فترة تدريب حصل على مهمة . ولم يكن طيارا وانما مراقب ، ثم تولى منصبا اداريا ، وقد كرس نفسه للحصول على معلومات تخدم المانيا .

ومكثت ماتا هارى فى امستردام فترة من الزمن ، وعاشت فى معزل عن الناس لم يكن أحد يزورها ، وزارت لندن مرة أو مرتين وعادت الى امستردام ثم انتقلت الى باريس فجأة . ولكن المخابرات البريطانية بدأت ترتاب فيها . فراقبتها أثناء وجودها فى لندن ، ولكن لم تكتشف شيئا يوحى بأنها جاسوسة ، ولكن السلطات أخطرت المخابرات الفرنسية بأنها تراقب ماتا هارى .

. وحينما عادت الى باريس استأنفت حياتها السابقة . وأصبحت معشوقة رجل ذى مركز كبير فى وزارة الخارجية الفرنسية ، وفجأة قامت بزيارة الى المركيز دى مونيساك الذى كان فى أحد معسكرات الطيران . ثم ظهرت فى باريس أمام الجمهور بعد أن احتجبت بضع سنوات ، ورحب الناس بعودتها بكثير من الحماس . ثم قررت أن تكرس حياتها لمعالجة الجرحى ، وكان هذا سنة ١٩١٦ . فطلبت السفر الى فيتل لتعمل فى أحد مستشفياتها . وفى فيتل كان قد أنشىء حديثا أحد المطارات العسكرية الفرنسية وقامت ماتا هارى بتمريض الجرحى فى المستشفى ، وفى المساء كان ضباط سلاح الجو يحتفلون بها ويتبادلون معها الشراب كانت محبوبة ومرغوبا فيها . وفى هذه الآونة نضب ما لديها من مال فعادت الى باريس . ولدى وصولها دخل المخبرون الفندق الذى نزلت فيه وطلبوا منها أن ترافقهم الى مكتب مكافحة الجاسوسية الفرنسى . وهناك ، قابلت ماتا هارى الكابتن لى دو رئيس الفرع الداخلى للمكتب .

ولم يقف الكابتن عندما دخلت الراقصة الى المكتب . وقال لها : ستغادرين فرنسا على الفور ، ان الحلفاء يرتابون فيك . وهم يخشون أن تكونى جاسوسة ، وأحب أن تعودى الى وطنك الى هولندا وعدم دخول فرنسا مرة أخرى فى الوقت الحاضر .

فقالت له : ولكن يا الهي ! كيف أمكن لمثل هذه الفكرة أن تجول بخاطرك ؟ فقال : ان هذه الفكرة قد يكون منشأها الاتصالات العديدة التى تقومين فيها فى باريس · وخاصة مع عدد من الاصدقاء بين ضباط السلاح الجوى ·

ولا يعرف أحد بقية الحديث الذى دار بين الكابتن وماتا هارى ، كما لم يشهد المقابلة أحد ، وهناك شىء واحد أكيد وهو أنه عندما غادرت ماتا هارى مكتب مكافحة التجسس سمح لها بالبقاء فى فرنسا على شروط أن تعمل جاسوسة للسلطات الفرنسية · ولم تكن السلطات الفرنسية على علم بالتجسس الذى تقوم به ماتا هارى لصالح المانيا ، وأن المركيز دى مونتيساك جاسوس ألمانى منذ وقت طويل · وقد علموا ذلك من مذكرات الشخص الذى أراد أن يسلك سبيل الحياة الشريفة كمواطن صالح ، والذى أفشى ببعض المسائل الى البوليس لتسهل عليه الصورة الى الحياة المستقيمة ·

وغادرت ماتا هارى باريس الى جهة مجهولة · وقابلت مونتيساك فى مكان ما ، ثم توجهت الى امستردام واختفت تماما لتعود الى باريس · وفى صباح يوم ما قابلت الكابتن لى دو · وفى نفس الصباح ، قامت مدمرتان فرنسيتان بتغيير طريقهما فجأة فى البحر المتوسط ، وانضمت اليهما بضعة غواصات كبيرة وفاجأ هذا الاسطول غواصتين المانيتين كانتا راسيتين على ساحل مراكش فضربتا بالطربيد واغرقتا ·

فما هى علاقة ماتا هارى بهذه المسألة ؟ لقد أفشت ماتا هارى الجاسوسة الالمانية سر وجود الغواصات الالمانية · وقد إتضح أثناء محاكمتها أنها تلقت مبلغا كبيرا من المال مقابل ذلك · فهل كان المال فقط هو الذى أغراها على هذه الخيانة ؟ كلا ، فقد كن سبب ذلك رغبتها فى البقاء فى فرنسا بأى ثمن · وكان لديها سبب خاص يدعوها الى البقاء · فقد تعرفت ماتا هارى فى المستشفى فى فيتل على ضابط روسى فقد بصره نتيجة طلقة نارية ، وقد أحبت ماتا هارى هذا الضابط وكانت هذه أول مرة شعرت فيها ماتا هارى بحب حقيقى لذلك أحبت الضابط الاعمى لشخصه فقط · والتفسير الوحيد لسلوكها هو أنها كانت مستعدة للاقدام على كل شىء من شأنه الا يبعدها عمن تحب ، وكان الضابط الاعمى قد نقل الى باريس · وجدير بنا أن نتذكر بأن الانطلاق هو أساس شخصيتها · فاذا استطاعت أن تكسب مالا نتيجة بقائها فى باريس فهذا أفضل ، وماذا

يهمها بعد ذلك أين تقع الاحداث المخيفة فى أوروبا ؟ صحيح أنها ساهمت فى وقوع تلك الاحداث المخيفة ، وقد تم هـذا للحصـول على المال الذى تتطلبه حياتها الجديدة ، واذا استطاعت أن تحصل على المال من الطرفين فهذا شيء ممتع جدا • فلا فرنسـا ولا ألمانيـا وطنها الاصلى • ولم تكن ماتا هارى تعتقد أن اللعب على الحبلين سيكلفها حياتها • وما كانت المرأة التى رأت الوزارة والنواب وكبار الضباط يرتمون تحت قدميها تعتقد أن هناك أشـخاصا فى فرنسـا سيطالبون بحياتهـا • ولم يعرف المركيز دى مونتيساك شيئا عن خيانتها الا أثناء محاكمتها • وفى تلك الاثنـاء استأنفت عملها لصالح ألمانيا بالتعاون مع المركيز الذى لم يكن يرتاب فيها• واستطاعت ماتا هارى أن تمده بمعلومات هامة جدا تتعلق بخطط سلاح الطيران الفرنسى • وقد راقبت ماتا هارى الموقف السياسى فى فرنسا عن كثب وخاصة فيما يتعلق بالميل نحو السلام أو الحرب ومدى تطور هذا الميل أو ذاك •

وفى نهاية سنة ١٩١٦ ، علمت المخابرات الفرنسية بوجود امرأة فى باريس كانت تعمل كجاسوسة فى ألمانيا وانها كانت ناجحة فى مهمتها • واعتقدت المخابرات الفرنسية على الفور أن تلك المرأة هى المعروفة لدى المخابرات العالمية باسم « الدكتورة الجاسوسة » والتى تحدثنا عنها فى الفصل السابق • وبذل رجال المخابرات الفرنسية جهودا جبارة ليتأكدوا من هذا الامر ، ثم أيقنوا أن افتراضهم كان خاطئا • لانهم استطاعوا لفترة من الزمن أن يحددوا تحركات الدكتورة الجاسوسة • فقد كانت الدكتورة فى برلين ، ومع ذلك •

كانت المعلومات تصل الى برلين من باريس ، وكان العملاء الفرنسيون فى برلين يصرون على أن تلك المعلومات ترد من جاسوسة • وللمرة الثانية بدأت الشكوك تحوم حول ماتا هارى ، وقررت هيئة أركان الحرب الفرنسية أن تتأكد من هذا الامر •

واستدعى الكابتن لى دو الراقصة ماتا هارى • وأعطاها خمس رسائل بأسماء خمسة أشخاص يقيمون بطريقة سرية بين سكان المنطقة المحتلة من بلجيكا وهم فى الواقع من جواسيس فرنسا • وكانت الرسائل مختومة• وذكر الكابتن الراقصة بأن السماح لها بالبقاء فى فرنسا كان على أساس أن تعمل لصالح فرنسا وطلب منهـا أن تستخدم اتصالاتهـا فى هولندا

للحصول على تسهيلات لدخول المنطقة المحتلة لتسليم الرسائل • ووعد الضابط ماتا هارى بمبلغ من المال وأعطاها جزءا منه مقدما •

ولم تكد ماتا هارى تبرح غرفة الكابتن حتى دخلها ضابط فرنسى هو الكونت دى شيلى الذى أسره الالمان عندما جرح سنة ١٩١٥ • وقد أعيد ونقل الى سويسرا حيث قضى وقتا طويلا فى أحد المستشفيات •

وقال شيلى أن ممرضة ألمانية تدعى هانا وييتج ابنة أحد الجراحين أشرفت على علاجه وقد أحب الاثنان بعضهما ، وعندما خرج شيلى من المستشفى واستقر فى لوزان فترة من الزمن ريثما يتم شفاؤه رافقته هانا • وكانت لوزان فى ذلك الحين مركز الجاسوسية الفرنسية والالمانية ، ففيها توجد مكاتب لمخابرات البلدين • وكانت لوزان نقطة يمر بها الجواسيس أثناء عودتهم من مغامراتهم أو فى طريقهم الى مطارات جديدة • وقد منع الكونت دى شيلى من العمل فى الجبهة بسبب جراحه ، ولكنه كان وطنيا متحمسا ، ورأى أنه يستطيع أن يخدم بلاده كجاسوس • وقد شجعته هانا ويثيج فى هذه العملية ، بل وعملت ما بوسعها لتسهيل الامر له • فقد خلعت رداء التمريض ولبست كفتاة جميلة وراحت ترتاد الحانات والمطاعم فى لوزان •

وذات يوم سمعت رجلين يتجاذبان أطراف الحديث فى احدى فنادق لوزان ، كانا يتحادثان بالالمانية• وفجأة سمعت هانا ويثيج حرفا ورقماهما هـ ٢١ ثم سمعت معلومات ذات أهمية بالغة بالنسبة لالمانيا •

وغادرت الجاسوسة الهاوية الفندق على الفور وذهبت الى الكونت الذى ذهل لما أخبرته به • وكانت تلك المعلومات هامة بالنسبة للكونت لانها تتعلق بتحركات فى النية أجراؤها لقوات عسكرية وكانت هذه التحركات لا تزال سرية للغاية وقد نقلت تلك المعلومات الى ألمانيا • وقد ذكر هذا الامر جواسيس فرنسا فى شارلفيل مركز قيادة الالمان • وأيقن الكونت أن الجاسوس هـ ٢١ قد حصل على تلك المعلومات من فرنسا ونقلها الى ألمانيا ، لذلك فمن المهم معرفة صحة ذلك • فتوجه الكونت الى باريس فورا ترافقه صاحبته وذهبا الى الكابتن لى دو حيث دخلا عليه بعد أن غادرته ماتا هارى • واغتبط الكابتن لهذه المعلومات فقد عرف الرقم الرسمى للجاسوس الذى نقل المعلومات الى ألمانيا ، وتبين له أنه يسير فى الطريق الصائب •

ويجدر بنا هنا أن نشير الى هذه الارقام السرية • فمن المعروف أن هذه الارقام توضع فى البرقيات التى ترسل من جميع أنحاء العالم الى مكتب المخابرات المركزى للدول المشتركة فى الحرب • ومن الممكن ذكر هذه الارقام بسهولة وبطريقة لا تثير الشك ، على اعتبار أنها رمز لنوع معين من البضاعة ، ولكن ضابط المخابرات الذى يتلقى الرسالة يعرف على الفور اسم مرسل البرقية ولو كان التوقيع لشخص ما لا يشك فيه أحد أو باسم احدى الشركات المحترمة • ولذلك كان من الضرورى نظرا لكثرة عدد العملاء وضع قائمة بأسماء وأرقام العملاء الذين تستخدمهم المخابرات . غير أن تسجيل الاسماء والارقام فى قائمة أمر خطير خاصة اذا كشف النقاب عنها أو سرقت •

وأصدر الكابتن لى دو تعليماته على الفور وأرسلها الى عملائه فى برلين كى يكتشفوا الجاسوس هـ ٢١ مهما كلفهم ذلك •

وبعد أن انتهى الكابتن من ذلك ، التفت الى زائره الذى عرض عليه أن يعمل كجاسوس • وذكر له أن معه صاحبة هى هانا ويثيج حصلت على المعلومات المذكورة ، فطلب منه لى دو أن يعود فى اليوم التالى ومعه صاحبته الالمانية • واستطاعت هانا ويثيج أن تترك انطباعا حسنا على الكابتن ، فقد ظهرت على أنها ذكية ولائقة وذات كفاءة وليس لديها الصفات التى تعتبر خطرا على الجواسيس ، وجلس الثلاثة يتشاورون حتى منتصف الليل •

وقد بحث الثلاثة أشياء كثيرة ، ثم اتفقوا على خطة العمل • وفى تلك الليلة ، توجه رسول الى ماتا هارى ومعه تعليمات كتابية لها تدعوها الى عدم القيام برحلتها الا بعد ستة أسابيع • وفى هذه الفترة تكون هانا ويثيج قد قامت بالمهمة المذكورة •

وكانت ماتا هارى انذاك فى باريس • ودهشت لتأجيل الرحلة • وفى ذات يوم جلست ماتا هارى فى غرفتها فى أحد الفنادق وكان المطر يهكل بغزارة • وفى تلك الآونة أبلغت أن زائرة تريد مقابلتها فوافقت ماتا هارى على استقبال الزائرة هانا من سويسرا •

وكانت هانا جميلة وبدا أنها لم تتخرج من المدرسة سوى حديثا • وكانت تلوح عليها سيماء البراءة السذاجة ، وهى على وشك الزواج

من نبيل فرنسى هو هو الكونت دى شيلى • وتطلعت ماذا تريد تلك الفتاة الجميلة وراحت هانا تحدثها عن نفسها ، ثم لما أرادت أن تخبرها بسبب زيارتها اعتراها الارتباك والخجل ولم تعرف كيف تبدأ كلامها • ولكن الراقصة هدأت من روعها وجلست الى جانب فقالت الفتاة انها تلتمس من الراقصة النصح والارشاد ، وبطريقة مؤثرة قامت الفتاة :

مدام ان زوجى المقبل نبيل فرنسى له خبرة في الحياة وقد عرف نساء كثيرات • وأما أنا ففتاة مسكينة ، وقد سمعت الكونت يتحدث عنك دائما، فايقنت أنه يعرفك ، وكان دائما يطرى جمالك ، وسحرك • وقد سمعت عنك الكثير ، ولم أعرف أحدا فى المجتمع الا وامتدح جمالك وفنك • لذلك جئت اليك طالبة المساعدة منك • فماذا يمكننى أن أفعل وما على أن أفعل لاتأكد من الكونت دى شيلى سيحبنى دائما ويرانى جميلة دائما ؟

وتطلعت الراقصة الى الفتاة بدهشة واستغراب وأدركت هانا ويثيج أنها لم تخطىء التقدير • فقد استطاعت الفتاة أن تؤثر على ماتا هارى التى لم تكن فخورة بشى أكثر من نجاحها فى ميدان الحب وغزو قلوب الرجال • فأمسكت الراقصة الفتاة بين ذراعيها وتحدثتا طويلا •

ومن تلك الليلة أصبحت المرأتان صديقتين• وانتقلت هانا الى الفندق• وذات يوم توجه الكونت وهو فى كامل لباسه الى الراقصة وشكرها على ما أبدته من ملاطفة لخطيبته •

وفى تلك الليلة قال الكونت لهانا : لا أعتقد أن هذه المرأة جاسوسة • انها جميلة وساحرة ولطيفة ولكنها ليست جاسوسة • وأكثر شيلى من التردد على الراقصة ، حتى أصبح صديقا لها دون أن يدرى أنه بذلك زاد من تصميم صاحبته على اكتشاف الجاسوسة •

وأصبحت ماتا هارى وهانا ويثيج لا تفترقان • وتلقت الفتاة السويسرية دروسا قيمة فى فنون الحب • وكانت هانا فتاة ذكية ، فكانت تدير أطراف الحديث وقد اعتراها الحياء والخجل • وأوصلت الفتاة الى موضوع حساس فسألت عما اذا كانت قبلت مالا مقابل حبها ! وقالت لها لا تغضبى منى لهذا السؤال • وأنا لا أعتقد ذلك بطبيعة الحال ولكن بعض الناس يقولون ذلك •

وأجابت الراقصة بلا تردد أو امعان . وقالت لنفسها أن صديقتها تعتبرها الهة الحب . وهي لا تريد أن تفقد مكانتها في نظرها ، وكانت تحبذ بالاحرى أن تطلعها على سرها الدفين ، فهمست قائله لصديقتها أن ما يقوله عنها الناس غير صحيح ، وأنها تحصل على المال عن طريق أخرى، فهي جاسوسة للبلد التي ولدت فيها هانا ــ أي أنها تعمل لصالح ألمانيا .

فسألتها الفتاة : وهل تستطيعين ذلك دون أن تتعرضي للخطر ؟ وماذا تطلقين على نفسك من أسماء ؟ وهل ما تقولينه هو الصدق ؟

وراحت ماتا هاري تحدث صديقتها عن بعض ما قامت به كجاسوسة . وقالت أن قليلا من الناس يعرفون أنني التي حصلت على المعلومات ، وأنا استخدم اسمي بل رقم هـ ٢١ .

وفي الوقت الذي توجهت فيه هانا الى مكتب الكابتن لى دو لتخبره بما علمت ، كانت ماتا هاري في طريقها الى مدريد . وعندما اتصل المسئولون من مكتب مكافحة الجاسوسية بالفندق ليسألوا عن ماتا هاري علموا أنها غادرت باريس الى جهة غير معلومة . وعند الظهر ، تلقى الكابتن دو مذكرة قصيرة من ماتا هاري تخبره أنه نظرا لان الاسابيع الستة قد انتهت لذلك منذ سافرت الى بلجيكا حسب التعليمات لتسليم الرسائل الخمس التي أعطيت لها .

وفي اليوم التالي ، تلقى الكابتن لى دو رسالة من الجاسوس الفرنسي في باريس يخبره أن الراقصة وصلت الى مدريد .

ولم تمكث الراقصة طويلا في مدريد . فقد اجتمعت بعدد من العملاء الالمان ولم تكن تعلم أن العملاء الفرنسيين يراقبونها . وفي النهاية توجهت الى الساحل وركبت سفينة الى روتردام على ظهر السفينة الهولندية هولنديا .

وذات مساء عاصف ، وبينما كانت الراقصة مستغرقة في النوم ، اعترض طريق السفينة زورق طوربيد انجليزي ثم صعد ضابط بريطاني الى ظهر السفينة الهولندية وقال للقبطان : أن معك مسافرة راقصة تدعى ماتا هاري . والمطلوب أن تواصل الراقصة رحلتها على سفينة حربية .

وعلى التو ، قام الجنود الانجليز بنقل أمتعة الراقصة ، ثم نقلوا ماتا هارى الى زورق الطوربيد • واغتبط الضباط الانجليز ، وسار الزورق حتى وصل الى ميناء انجليزى • وبعد ساعات كانت ماتا هارى تقف أمام مدير بوليس سكوتلنديارد السير بازل توميسون الذى أبلغ الراقصة فورا بأن هناك شكوك قوية بأنها جاسوسة • ولكن دون أن يدخل فى تفاصيل تبرر هذه الشكوك • وأثناء التحقيق دافعت ماتا هارى عن حياتها فلم تعترف وتجنبت جميع الفخاخ التى نصبت لها • وعند انتهاء التحقيق ، وعندما أكد السير تومبسون أنه على يقين بان ماتا هارى جاسوسة ، وقفت الراقصة وقالت :

نعم ، أنا جاسوسة ، ولكننى لا أعمل لحساب المانيا بل لحساب فرنسا البلد التى أحبها والتى أصبحت وطنى الثانى •

وبعد انتهاء هذه المرحلة نقلت ماتا هارى بحرا الى أسبانيا فى حراسة عسكرية ، ولم تدرك أن جاسوسا فرنسيا كان يراقبها ويتعقب أثرها كما لم تعرف أن أمتعتها تعرضت لتفتيش دقيق • وأنها اذ كانت تتناول عشاءها على ظهر الباخرة كان العميل الفرنسى يفتش ملابسها بل كل أرجاء غرفتها فى الباخرة وذلك بعد أن غابت ماتا هارى عن وعيها فى غرفة التدخين دون أن تدرى كيف حدث ذلك فحملت الى كابينتها حيث تولت العناية بها ممرضة بريطانية فقامت هذه بتجريد الراقصة من ثيابها وأعطتها الى الجاسوس الذى فتشها بدقة دون أن يعثر على شىء ، وأعلنت الممرضة أن الراقصة لا تخفى شيئا فى جسدها •

وفى تلك الليلة ، وعندما عادت الراقصة الى وعيها وجلست على ظهر الباخرة أرسلت من الباخرة لاسلكية الى الكابتن لى دو تقول أن الرسائل الخمس ليست فى حوزة ماتا هارى •

ولم تكن ماتا هارى على علم بكل هذه الاحداث التى قررت مصيرها النهائى ، ولذلك توجهت الى مدريد على الفور • ونزلت فى الفندق الكبير حيث أخذت غرفتين ممتازتين كانت تجاوران جناح الملحق البحرى الالمانى فون كرون • ومكثت الراقصة بضعة أسابيع فى مدريد ، كانت تقضى أوقاتها فى صحبة ضباط فرنسيين من البحرية ، وتعرفت الراقصة بالملحق العسكرى الفرنسى ، ولكن لسبب لا تعرفه لم يثق فيها أحد • ورأت الراقصة أنها لا تستطيع أن تحصل على شىء فى أسبانيا • وفجأة ، نفذ

ما لديها من مال · وكانت ترافق الملحق العسكرى الالمانى دائما · ولكننا لا نعرف شيئا عن الاحداث التى وضعت حدا لحياتها لان الذين كانوا يعرفون الحقائق لزموا الصمت لاسباب ما · وهناك شىء واحد مؤكد هو أن الملحق البحرى الالمانى وعدها بمبلغ كبير من المالى يدفع لها فى باريس بواسطه سفارة محايدة · وبعث الملحق البحرى الالمانى برقيـة الى مـدير مكتب المخابرات الالمانية فى امستردام يطلب منه أن يتأكد من دفع مبلغ ١٥ ألف بيزتا للعميل هـ ٢١ ، على أن يتسلم العميل هذا المبلغ فى باريس من أحد البنوك ·

وقد التقط برج ايفل هذه البرقية اللاسلكية وسلمها الى الكابتن لى دو على أنها رسالة تثير الشكوك · وكان الفرنسيون على علم بمفتاح الشفرة التى استخدمها الملحق الالمانى لذلكسرعان ماعرف الكابتنمضمون الرسالة·

وقال الكابتن لى دو نفسه أنه اذا كانت المعلومات التى أخبرته بها هانا صحيحة ، فان ماتا هارى ستحضر الى باريس · وتلقى فى تلك الليلة رسالة تؤكد هذا الافتراض ، وجاء فى الرسالة أن العميل السرى الذى تعقب ماتا هارى من لندن قد أبرق يقول من حدود أسبانيا أنه قادم الى باريس « مع قافلة » ·

وفى صبيحـة الرابع عشر من فبراير سـنة ١٩١٧ ، حاصر بوليس باريس فندق بالاس الذى نزلت فيه ماتا هارى بعد قدومها من مدريد · وكان المأمور بريوليه هو المكلف بالعمليات · وبعد أن دقت الساعة معلنة السابعة دخل بريوليه الفندق مع ثلاثة مخبرين وقدم نفسه لمدير الفندق وسأل عن غرفة الراقصة · فاخبره المدير بما أراد ، وقبل أن يصل المأمور الى منتصف الطريق اندفع الى الفندق شخص ترك سيارة السباق أمام الفندق ، وكان يرتدى قبعة جلدية وبدون ياقة وكان شعره منكوشـا ، وسأل هذا الشخص بواب الفندق على غرفة مـدام ماتا هارى لانه يريد محادثتها فى الحال ، فلم يقل البواب شيئا الا أن المدير قال له أن السيدة لا تستطيع أن تقابل أحدا لان بعض السادة هنا جاءوا لتوهم عنها ــ وأشار الى رجال البوليس ·

فنظر هذا الشخص الى رجال البوليس ثم انطلق خارج الفندق وقفز الى سيارة السباق يائسا ، فقد كان هذا هو المركيز دى مونتيساك وقد جاء لانقاذ صديقته ولكن بعد فوات الاوان ·

وفي تلك اللحظة قرع المأمور بريوليه باب الراقصة ثلاث مرات دون مجيب ثم قال : نحن من رجال البوليس ، افتحى والا حطمت البـاب • فأجابه صوت قائلا : ادخل ، اذا لم يكن لديك مانع من دخول حجرة النوم سيدة •

ودفع المأمور الباب فانفتح فدخل ومعه المخبرين الثلاثة • وكانت الراقصة نائمة عارية فى فراشها الا من رداء شفاف فقال لها : أنا مأمور البوليس بريوليه ولدى تعليمات بأخذك فورا الى مركز البوليس •

ونهضت الراقصة وابتسمت لمفتش البوليس وقالت : هل تريد أن تأخذنى الى مركز البوليس عارية ؟

ثم ضحكت ولكن المفتش لما يشاركها فى ذلك • فقد كانت التعليمات التى لدى الضابط بالا يدع هذه المرأة تغيب عن بصره لحظة واحدة اذا قبض عليها • فجلس على كرسى فى الغرفة بينما راحت ماتا هارى ترتدى ثيابها وتغنى • وكانت على علم بما ينتظرها •

وفى مكتب مكافحة التجسس الفرنسى لم يسألها المفتش عن شىء سوى أن قال لها أنهم يشكون فى أنها جاسوسة لالمانيا ، لذلك وجه اليها المفتش سؤالا واحد وقال : مدام : أين الرسائل الخمس التى طلب منك ارسالها الى بلجيكا •

ولم تفقد ماتا هارى هدوءها وانما أعلنت سخطها بسبب القبض عليها وأعلنت أن اتهامها بالتجسس فكرة شنيعة وتجنبت السؤال قائلة : لابد أنك تعلم أن الانجليز فتشوا أمتعتى • اتصل بلندن ، فقد تجد الرسائل هناك •

ولم يرد المفتش على أسئلة الراقصة المنفعلة التى تريد أن تعرف أسس الريبة الموجودة لدى السلطات • ولم يخبرها بأن السلطات لديها هذا الدليل الحاسم فالرسائل الخمس التى كان مفروضا أن تأخذها ماتا هارى الى بلجيكا لم تكن سوى تجربة من تدبير الكابتن لى دو • والرسائل باسم خمسة جواسيس ، ولكن كانت المخابرات الفرنسية على علم بأن أربعة منهم قد اكتشف أمرهم بواسطة الالمان وأنهم تحولوا لخدمة المانيا لانقاذ حياتهم • وأما الجاسوس الخامس فكان حديث العهد فى خدمة المخابرات

الفرنسية ولذلك لم يقم بعمل كبير ولا يعرف الالمان شيئا عنه • وبعد أسبوع من استلام ماتا هارى للرسائل الموجهة اليه اعتقل الرجل وأعدم بعد محاكمة •

ونقلت ماتا هارى الى مستشفى النساء فى سانت لازار • وطلبت أن ترى أحد المحامين ، وبعد أربع وعشرين ساعة علمت الراقصة أنها ستحاكم أمام محكمة عسكرية بتهمة التجسس لحساب ألمانيا • وتولى الدفاع عنها الدكتور كلونيه أحد كبار محامى باريس • وابان حبس ماتا هارى فى المستشفى كانت هادئة ومنطوية • وبسرعة اعتادت على جو المكان وكانت مقتنعة بأن شيئا خطيرا لن يصيبها ، لانها لا تعلم الدليل الذى حصلت عليها السلطات ضدها • وأخطرت المخابرات النائب العام بعدم افشاء أية أسرار قد يستفيد منها العدو •

وواجهت ماتا هارى متهميها بهدوء وثقة • وفى الرابع والخامس والعشرين من يوليو سنة ١٩١٧ مثلت ماتا هارى أمام المحكمة العسكرية الثالثة فى باريس • وكانت المحكمة مؤلفة من ١٢ ضابطا • وسارت المحاكمة بطريقة أعلن فيها المدعى العام أن النقاط الرئيسية فى لائحة الاتهام قد أكدتها تقارير العملاء ومذكرات سرية لجاسوس فرنسى • وكان من المستحيل جعل المحاكمة علنية •

وشعرت ماتا هارى منذ بداية المحاكمة أنه بالرغم من خطورة مركزها فان هناك بعض الامل • ولكنها بدأت تدرك حرج موقفها • فقد ظهر أن المحكمة على معرفة بالاموال التى استلمتها ماتا هارى من المخابرات الالمانية• وقال دفاع ماتا هارى أنها تلقت فعلا أموالا من رؤساء المخابرات الالمانية ولكن ليس من أجل التجسس • وقالت الراقصة أن عشاقى دفعوا لى المال من أجل حبى !

وفى النهاية وقفت ماتا هارى وقالت : أيها السادة ، اننى لم أقم بشىء يتعلق بالتجسس الا فى مناسبة واحدة ، ويجدر بكم أن تعرفوا ذلك ، فقد أدليت لكم بمعلومات عن غواصتين ألمانيتين •

واستخدم رئيس المحكمة هذا السلاح ضدها وقال : لقد حدث هذا فعلا ، ولكنه دليل ضدك • لقد ذكرت لنا منذ برهة أنك لم تبحثى أمورا ذات طابع عسكرى مع ضباط أو جواسيس ألمان • فكيف علمت بوجود هذه الغواصات ؟

ولم تجب الراقصة على هذا السؤال •

وفي نهاية الجلسة ، ألقى محامى الدفاع دفاعه الممتاز وقال فيه أن جميع الادلة الموجهة ضد المتهمة على صورة بيانات لجواسيس لم يحضروا فى المحكمة . وفى بعض الحالات تلا ممثل الاتهام هذه البيانات أمام المحكمة ، ولكن لم تعط تسهيلات أثناء المحاكمة لمعرفة صحة هذه البيانات • وطالب ببراءة المتهمه • وكان رد الاتهام قصيرا فقد طلب اعدام الجاسوسة • ورفعت الجلسة للمداولة فى مساء اليوم الثاني من المحاكمة • ثم عادت هيئة المحكمة الى القاعة وأعلنت أن المتهمة مذنبة ولذلك حكم عليها بالاعدام• وساد الصمت رهيب على أثر النطق بالحكم مزقه صياح الراقصة هذا مستحيل ، مستحيل •

ولكنها استجمعت أطراف شجاعتها وشمخت بأنفها وسارت بين الحراس الى زنزانتها •

وقدم محامى الدفاع استئنافا ،ولكن الاستئناف كان محظورا بالنسبة للمحاكم العسكرية • ثم قدم طلب بالعفو فرفض • وفى الآونة تدخلت شخصيات بارزة من الفرنسيين والمحايدين من أجل العفو عن الراقصة ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل وقدم المحامى التماسا شخصيا الى الرئيس بوانكاريه ولكن عبثا •

وأبدت ماتا هارى فى السجن شجاعة وعزة انتزعت بهما احترام جميع من عرفها • وفى الخامس عشر من أكتوبر سيقت الراقصة الى ساحة الاعدام حيث قفزت من السيارة بهدوء ورباطة جاش الى الموقع الذى أعد لها لتنفيذ حكم الاعدام • أطلقت عليها رصاصة واحدة فقط ولكنها اخترقت قلبها •

وماتت هانا أيضا • وقد أصبحت بعد الحرب ممثلة سينمائية كزوجة للكونت دى شيلى • وعرفت باسم كلود فرانس • وكانت وهى فى أوج شهرتها تعذبها فكرة اعدام ماتا هارى • ثم انتحرت فى منزلها بعد عامين بأن أطلقت الرصاص على رأسها فى شقتها الفاخرة فى شارع فيزتدرى •

١٠

جواسيس فى الدير

كان اندرياس بيكا ضابطا فى الجيش الروسى برتبة كابتن وهو من مواليد لتوانيا وكان فى اثناء الحرب رئيسا لمكتب المخابرات الروسى فى الجبهة الشرقية وتمتد النقطة الواقعة تحت مسئوليته من مينسك الى ريجا ٠ وكان مقر قيادته يبعد قليلا عن خط القتال فى رشيزا ٠ وعلى الجانب الآخر من الجبهة يقع مكتب المخابرات الالمانى فى شولين ٠

وفى هذه المنطقة من الجبهة الروسية يكثر نشاط الجواسيس ٠ فان خط القتال فى عدة نقاط من الجبهة يصل الى ضفاف الدانوب وتوجد بين مواقع الجيشين المتحاربين بحيرات ومستنقعات وغابات يمكن التسلل بواسطتها من جبهة الى أخرى ٠ وفى بعض مناطق القطاع كانت توجد النقط الامامية منفصلة عن بعضها بمسافات طويلة ٠ ولذلك كان نشاط كل من الروس والالمان شديدا فى هذه المنطقة بصفة خاصة ٠ فان الجاسوس هنا كان فى استطاعته أن عاجلا أم آجلا من الدخول الى منطقة العدو والشروع فى تنفيذ مهمته خلف الجبهة ٠

وكان الكابتن اندرياس بيكا أعزب وقد ولد فى ضواحى ميتو من أبوين محترمين من الطبقة المتوسطة وعندما انتهى من دراسته الثانوية أصبح ضابطا فى الجيش الروسى ٠ وكان أحد رجال البوليس يقيم قريبا من بيكا وكانت له ابنة جميلة جدا ٠ وفى أحد الايام عندما كان بيكا يقضى أجازته وكان اذ ذاك برتبة ملازم أحب هذه الفتاة وتزوجها فى الحال ٠ وكان هذا الزواج غير المتوافق حتى طبقا للتقاليد الروسية يعتبر مخالفا للقانون بالنسبة للضباط فاستقال بيكا من رتبته ودرس الطب ٠ ولكن عندما نشبت الحرب عاد الى الجيش ورقى بسرعة الى رتبة كابتن وأصبح ضابطا مرموقا لانه كان ماهرا فى استجواب الاسرى ، ولكن لم تكن هذه هى الميزة الوحيدة التى لفتت اليه أنظار رؤسائه ٠ فان بيكا كما قلنا من أصل لتوانى وكان من المهم جدا ارضاء اللتوانيين والتأكيد من أنهم لا يعرفون

الدعاية الالمانية التى وعدتهم بانشاء دولة مستقلة لهم • ولذلك كان بيكا مفيدا من هذه الناحيه ليصبح داعية لمصلحة روسيا فى مقاطعة لتوانيا • وفى أثناء قيامه بأعمال الدعاية كان يتصل بالجواسيس الالمان الذين كانت المانيا ترسلهم عبر الحدود ومعهم مواد للدعاية والذين كان الروس يأسرونهم • ولم تمضى مدة طويلة حتى اكتشف بيكا الناحية التى يستطيع منها أن يكون أكثر نفعا فاصبح رئيسا لخدمة الجاسوسية الروسية فى منطقة واسعة من الجبهة • وأقام فى رشيزا مع خادمه وفى مقر قديم يقع ظاهر المدينة • وكان الشىء الوحيد الصالح للاستعمال باستمرار فى هذا المنزل هو أجهزة التليفونات التى ركبت فى غرفة المكتب الواسعة • ويبدو أن هذا القصر كان مدرسة فقد كانت الغرفة واسعة ولكن معظمها الات خالية والرياح تصفر من النوافذ المحطمة • وقد أعدت أكبر غرفة فى القصر ليقيم فيها الكابتن بيكا ووضع فيها سرير عسكرى • ومغسلة وضعت فى وسط الغرفة عدة مناضد متراصة وغطيت بالخرائط والاوراق ووضعت عليها أجهزة التليفون • والى هذه المناضد كان يجلس بيكا يتكلم بالتليفون ويصغى الى المكالمات ويسجل على الخرائط المعلومات التى تصل اليه عن مراكز العدو وقواته •

ولم يحاول بيكا أن ينظم شبكة جاسوسية منفصلة لان التقاليد الروسية لا تسمح بذلك بل وضع نفسه فى خدمة جميع نواحى الجاسوسية وكانت طبيعة أعماله وأساليبه خيالية تتفق مع مزاجه ولكنها والحق يقال كانت جيدة وبرهنت على عظيم فائدتها • فان بيكا قد تعلم من التجارب كيف يمكن ادارة الاعمال الجاسوسية • وكانت هذه التجارب مقتبسة عن خدمة المخابرات الالمانية فى شولين • فان ضباط المخابرات فى شولين قد ارتكبوا فى احدى المرات غلطة جسيمة • اذ كانوا دون استعداد كافى يختارون اللتوانيين من بين الاسرى ويستجوبونهم بقصد العثور من بينهم على أشخاص غير مخلصين لروسيا • وكان هذا النوع من الاسرى يعاد فرزه المرة بعد الاخرى حتى تبقى حوالى ثمانين أسيرا قالوا أنهم لا يعتبرون روسيا صديقا بل عدوا • وقد نقل هؤلاء الثمانون الى معسكر خاص حيث عوملوا معاملة حسنة وتلقوا تدريبا شديدا وسئل كل واحد منهم على انفراد عما اذا كان مستعدا للعمل من أجل المانيا وبذلك يساعدون فى سبيل استقلال بلادهم • وقد أعربوا جميعا عن استعدادهم وعند ذلك أعطيت لهم مسدسات وقنابل وقاطعات الاسلاك وخناجر وجرى تدريبهم على قذف القنابل ووضع الألغام ، وكانت تسمع طول النهار أصوات تفجير

القنابل والالغام فى المنطقة المجاورة لمكتب المخابرات • وفي احدى الليالى بعد اتمام الاستعدادات أرسل هؤلاء الاسرى الى المنطقة أفراد ليختلطوا بالروس • وكان من المفروض أن يتسللوا وراء الخطوط الروسية وينسفوا السكك الحديدية والمواصلات والجسور ويقوموا بأعمال الدعاية بين السكان المدنيين •

الا أن ما حدث فى الواقع كان يختلف تماما • فقد تقدم هؤلاء الاشخاص حسب الخطة ولكن عندما جاء الصباح تقدموا من أقرب مخفر روسى وسلموا أنفسهم وهم يطيرون فرحا لاول ضابط روسى وجدوه فى طريقهم وسلموه القنابل والمسدسات والخناجر ومواد الدعاية وشرحوا كل ما جرى معهم • فاعطيت لهم جميعا أجازة طويلة ومكافأة تشجيعية بحيث يستطيع كل واحد منهم أن يزور أهله ثم يعود للالتحاق بوحدته • وبعد شهور معدودة علم الالمان من بعض الهاربين بنتيجة خطتهم •

ووضع الكابتن بيكا هذا المثل نصب عينيه فكان يختار جواسيسه بحذر أكثر من الالمان ويعتمد على أفكار جديدة ، فكان يقوم بالتحريات بين السكان المدنيين بحثا عن الرجال الذين تلقوا شيئا من الثقافة والذين ينتمون الى الطبقة الوسطى ولهم نفوذ لسبب ما على جيرانهم • كما طلب أن يرسلوا له من مكتب المخابرات العام رجالا تطوعوا للعمل فى التجسس • وكان يفحصهم بدقة وعناية قبل أن يبدأ استخدامهم • فاذا وجد أن أحدهم يصلح للعمل ويستطيع أن يقوم بالخدمة فانه كان ينقله الى ذلك المنزل القديم المتهدم الواقع خارج المدينة •

وحتى فى هذه المرحلة كان يستخدم أساليب الحرص الدقيقة • ورأى أنه من الامور الهامة جدا أن يقنع المرشح للعمل بأن التجسس لو سار بصورة مناسبة ليس مسالة يومية بأى حال من الاحوال وانما هو شيء غامض خفى يرفع من مكانة الشخص الذى يمارسه ويكرس نفسه له • وكان هدفه أن يبين للجاسوس من بادىء الامر الافكار الخفية التى تنتظره، واذا لم يبد الذعر على ملامح هذا المرشح أو لم تظهر عليه العصبية ففى هذه الحالة فقط يستخدمه بيكا •

ومثالا على ذلك ، فان الكابتن بيكا قد يختار شخصا عاش على بعد ثلاثين ميلا من مقر قيادته • وفى المساء ، عندما يرخى الليل سدوله ، تقف أمام منزل الرجل سيارة مغلقة ، ويطلب اليه دخول السيارة التى

تندفع عندئذ فى جوف الليل • وسيحاول الرجل أن ينظر من النافــذة ولكنه لا يستطيع لان النوافذ مغلقة وزجاجها معتم • وقد يحــاول هــذا الشخص تقدير الاتجاه الذى تسير فيه السيارة الا أن لا يستطيع ذلك لان السيارة تسير فى دائرة ، وقد يشعل الرجل لفــافة تبغ ويحــاول القاء الكبريت من الباب ولكن عبثا لان الباب لا يفتح من الداخل • وكل ما يعرفه الرجل أن السيارة تجتاز الشوارع بسرعة كبيرة •

وكانت هذه بداية توجيه الكابتن بيكا ، وميزتهــا هى أنه اذا ألقى القبض بعد ذلك على الجاسوس الذى دربه بيكا فانه لن يستطيع الادلاء بأية معلومات عن رئيسه ولن يستطيع حتى تحديد الاماكن التى زارها ابان فترة تدريبه لاغراض مختلفة •

وتخترق السيارة التى سافر بها هذا الجاسوس الجديد الى مقر عمله الجديد شوارع ومناطق ثم تقف فجأة ويفتح الباب وتمتد يد لتقود هــذا الشخص خارج السيارة حيث يحيط به ظلام دامس • ويشعر هذا الشخص بأن السيارة دخلت احدى الغرف • ويسير هذا الشخص فى الظلام نحو سلم ما حسب تعليمات تصدر اليه وفجأة يجد نفسه فى غرفة أمام الكابتن بيكا •

ويشعر هذا الشخص بارتباك عندما يقف أمام الكابتن بيكا ، ويزداد ارتباكه عندما يحدثه الكابتن لحظة من الزمن ، ويوضح له ما هو مطلوب منه • ويتحدث بيكا بوضوح وهدوء مســميا الاشياء باســمها الصحيح ولا يتردد فى كل مناسبة عن لفت انتباه العميل الى أنه سيدخل فى عمل خطير • واذا أظهر العميل الجديد بادرة استياء أو شك أو ظهر الخوف على محياه ، فان بيكا يضغط على أحد الازرار فيــدخل شخص يعصب عينى العميل الجديد الذى لا يصلح للعمل ويعيده الى السيارة الموجودة فى الخارج الخفى ، وتعود الســـيارة من نفس الطريق الــدائرى حتى توصلــه الى منزله •

وبهذه الطريقة يجمع الكابتن بيكا الاعوان والعملاء ، وقد أمكن أتباع هذه الوسيلة لوجود عدد كبير من الاشــخاص تحت تصرف المخــابرات الروسية •

واذا أراد العميل الجديد أن يعمل مع بيكا ، فان الكابتن يعمد الى شرح الجانب المالى من العمل • ويتلقى العميل مبلغا ضخما من المال سلفا ولكن بطريق غير مباشر أى أنه يودع فى مكان يعينه هذا الشخص ومهمة العميل قضاء فترة فى أرض العدو ثم يعود الى روسيا حيث يتسلم مبلغا من المال• وعادة ما يكون المبلغ كبيرا وقد يزداد فى حالات خاصة بالنسبة لنتائج عمل الجاسوس •

ولم يكن يسمح للعميل بالسفر الى أرض العدو قبل مضى وقت طويل حتى ولو اتفق الطرفان • فالعميل الجديد عليه أولا أن يدخل مدرسة للتجسس • وفكرة تنظيم هذه المدارس هى من بنات أفكار بيكا • فقد أنشئت المدرسة فى أحد الاديرة القديمة التى تقع فى مكان منعزل مجاور ليس من السهل الوصول اليه ولا يوجد أحد يقيم بجواره لمسافة أميال • أما المدنيون القلائل الذين كانوا يعيشون قبلا فى بيوت صغيرة حول الدير فقد نقلوا فورا الى أماكن أخرى •

وتعصب أعين العميل الجديد مرة أخرى ، ويركب السيارة من جديد فتأخذه فى الليل ثم تنزله فى فناء أحد المنازل القديمة حيث السكون يخيم على المكان فيبعث الرهبة فى النفس • وعندما يفتح باب السيارة ويدخل الجاسوس الى فناء المنزل يجد نفسه أمام ضابط روسى كبير يحنيه باقتضاب ويقوده الى احدى غرف الدير التى تحولت الى غرف نوم لطلبة التجسس •

ويوجد فى هذه المدرسة خمسون أو ستون طالبا تحت التمرين ، وجميع الغرف مشغولة • وعندما يتم تدريب العميل ويرسل الى الجبهة ، يأتى رجل آخر من رجال بيكا بدله •

ويسمح للطالب بالتجول مرة فى اليوم خارج الدير • ويتلقى تعليمات دقيقة عما يجب أن يفعله وكيف يتصرف فى ظل الظروف المختلفة • وتبدأ الدراسة بعرض شامل لخطوط العدو ، ومركز الوحدات والبطاريات وطبيعة الدفاع • ثم يعرف مكان الهيئات العديدة ، ومراكز الذخيرة ، وبالاختصار، فانه يحصل على كل ما يجدر معرفته عن العدو • وفى صبيحة اليوم التالى عليه أن يقدم الى مدرسه تمرينا مكتوبا بالتفصيل ، يذكر فيه من ذاكرته ما تلقاه من أشياء فى الدراسة كما يطلب منه اعداد رسومات بيانية وخرائط يبين فيها مراكز القوات الالمانية • واذا ألم العميل بالموقف العسكرى تماما فان التعليم يستمر • ويدرس الطالب تفاصيل الاشياء

التى تمكنه من معرفة أى تغيرات تطرأ على الموقف العسكرى • ويتعلم الطالب مميزات الكساوى الالمانية العسكرية المختلفة ، والنماذج لمدفعية الميدان ويتعلم كيف يعرف عيار المدفع ، أى أنه يتعلم خلال أسابيع من التدريب كل ما يجب أن يعرفه • وطوال فترة التدريب يقيم الطالب فى غرفتـه باستثناء ساعة أو ساعتين من التمرين الانفرادى يقوم به فى حديقة الدير • ولا يسمح له بمعرفة أحد من الطلبة الآخرين أو مشاهدتهم •

وعندما ينتهى هذا الجزء من التدريب ، يتعلم كيفية السلوك فى بلد العدو • وتقدم اليه جملة ملابس أعدت خصيصا له • وأن مظهره وطريقة كلامه ودرجة ثقافته تحدد صيغة جواز السفر المزور الذى يعطى له •

وهذه الوثائق قد تظهره كأنه أحد أهالى البلد التى يحتلها الالمان ، أو أنه ألمانى وقد تقول أنه مواطن من دولة محايدة اذا كانت مهمته تدعوه الى الذهاب داخل ألمانيا • ويجرى اعداد هذه الوثائق بعناية فائقة • ويذكر فى الوثائق أن للعميل عائلة ، لذا عليه أن يعرف أسماء أفرادها وتفاصيل أى مرض تصاب به العائلة • واذا حدث وقابل الجاسوس فئة من الجنود يقودها ضابط ــ لانه سيعمل وراء الجبهة كمدنى ــ فيجب عليه أن يتصرف بطريقة معينة • ويتعلم الجاسوس ــ وهذه مناورة من وحى بيكا ــ أنه فى مثل هذه المآزق فان عليه أن ينزل فى حفرة ويخلع سرواله كما لو كان يريد قضاء حاجة • وكما قال الكابتن بيكا فانه من العسير فحص شخص فى هذا الوضع •

وبعد أن يتلقى الجاسوس تدريبا من هـذا النوع يسـتغرق بضعة أسابيع ينقل ليلا فى سيارة الكابتن بيكا المصفحة • والرحلة فى هذه المرة طويلة ، لان الجاسوس ينقل الى منطقة قرب الجبهة حيث ينتظره الكابتن فى منزل ريفى •

ويتولى الكابتن نقل الجاسوس الى أحد المراكز الامامية الروسية وهو معصوب العينين ، ثم يزيل العصابة ويتركه وحيدا بحيث اذا قبض عليه فلا يستطيع نقل معلومات ذات قيمة للعدو •

ويقوم بيكا بارشاد الجاسوس الى مركزه على الخريطة • ويسـتطيع الجاسوس عندئذ أن يدرك الموقف المحلى لان معرفة التفاصيل الجغرافية للجبهتين تشكل جزءا من تدريبه العملى • ويرشد الجاسوس الى المنطقة

التى يستطيع منها أن يجتاز الحدود ويحصل على مسدس يتخلص منه اذا عبر الحدود بسلام ، ثم يتقدم الى أرض العدو • وينتظر بيكا قرب الحدود الى أن يتلاشى وقع أقدام العدو • واذا انتاب الجاســوس الخوف فجـأة فلا فائدة من محاولته العودة ، لان النقط الامامية لديها تعليمات باطلاق النار عليه فورا واسكاته الى الابد لانه شخص لا يعول عليه •

وعبور الدونا هو احدى وسائل اختراق الجبهة الالمانية ـ كما كانت هناك جلود تنفخ بالهواء ، وزوارق صغيرة خاصة وبالاختصار وســائل عديدة لاختراق هذه الجبهة الضيقة •

وقد وقع فى أيدى الالمان نصف الجواسيس الذين وضعوا على مراكز العدو لاجتياز الحدود ، وفى هذه الحال ، لا يستطيعون أن يخبروا العدو بشىء كثير • ومعظم الجواسيس يخبرون العدو فى هذه الحال بأن شخصـا غامضا استخدمهم لهذا العمل ، ووصف بعضهم مدرسة الجواسيس ، ولكن معظمهم يلتزم الصمت وغالبا ما يعدمون ولكن قلة منهم ينقذون أنفسهم بأن يتقدموا للعمل كجواسيس لصالح المانيا •

واذا كان الجاسوس سعيد الحظ فانه يمضى بضعة أسابيع يتجول حول أماكن نزول القوات الالمانية • واذا كان الجاســوس ذكيا فانه يلم بكل ما يستطيع من سير العمل حول هذه الاماكن ومنهــا تكوين القوات على الجبهة وهذا ولا شك شىء حسن • ولدى الجاســوس تعليمات خاصة عن كيفية تقديم معلوماته • ففى سنة ١٩١٥ طلب من جواسيس بيكا ارسال تقاريرهم بواسطة البريد • فكانوا يكتبون رسائل عادية ويوقعونها على أساس المرسل جندى روسى اعتقله الالمان • ويدرج المرسل فى نص الرسالة بعض الأقلام ، فقد يكتب على سبيل المثــال أعطانى ايفــان أمس ثلاث سيجارات و ١٤ لفافة تبغ • وهو لا يستطيع التدخين حاليا • ولقد سررت لحصولى عليها • وأقوم بزيارة جارى بين الحين والحين وأشاهد كيف حال الفراخ لديه • واننى أعلم أنه كان لديه قبل الحرب اثنين من ذكور الاوز وأربع عشرة وزة ، وقد فرح لحصوله على ثمان وثلاثين بيضة ، وبعد تسعة وأربعين يوما أصبح لديه ثمان وعشرين فرخة فى الحديقة • ولسنا بحاجة الى القول بأن هذه الرسالة تتضمن كلمات بالشفرة ، فان لكل اسم وعدد معنى خاص •

وترسل هذه الرسالة بالطريقة العادية • وقد كان هناك عـدد من أسرى الحرب الذين كانوا مطلقى السراح ويستطيعون ارسال الرسائل • وتتعرض الرسائل لفحص دقيق من الرقابة فاذا لم تثر الشكوك راحت فى سبيلها العادى • وكان الجواسيس يوجهون الرسائل الى شخص معين عنوانه ص•ب ٣٨٠ ريجا • وقد أرسلت الرسـائل بعد ذلك باسـم السيدة زينا فى دوربات ـ وزينا هى زوجة الكابتن بيكا •

وهذه العناوين كانت تتغير باستمرار لتجنب اثارة شكوك العدو • وعندما تمضى بضعة أسابيع على الجواسيس وهم فى أرض العدو ينجزون خلالها مهمتهم فانهم يعودون الى الوطن • ويعود هؤلاء الى الوطن اما بنفس الطريقة التى دخلوا بواسطتها أرض العدو أو يحاولون الهرب عن طريق البحر • ويوجد فى هذه الناحية عدة امكانيات مفتوحة أمامهم •

ويجرى اخطار هؤلاء لدى عودتهم بأن يحضروا معهم صورة عن جميع المعلومات التى حصلوا عليها وأرسلوها الى العناوين المعينة ، وهذا لانه من الممكن أن تكون رسائلهم قد أثارت الشك وصار ضبطها •

ونظرا لان الذاكرة القوية لا تستطيع استعادة تفاصيل ما حصل عليه الجاسوس ابان هذه الاسابيع ، فقد ابتدع بيكا طريقة فـذة • فقبل أن يرحل الجاسوس من أرض العدو عليه أن يستخدم كلبا أو يشترى واحدا اذا لزم الامر • وهذا الكلب يرافق الجاسـوس عنـد عودته • ويزود الجاسوس بورقة رقيقة جدا وأنبوب صغير من الالمنيوم • ويكتب الجاسوس على الورقة المعلومات والرسومات التى يريدها ثم يضعها فى الانبوب ويدخل الانبوب فى بطن الكلب ، وليس ثمة هناك من يفكر فى البحث عنهـا • وقد اكتشفت هذه الحيلة فى حادث مضحك •

فقد شاهد أحد الحراس فى احدى الطرق بائعا متجولا يسير مع كلبه • وجرى الكلب الى حافة حفرة وهو يعوى يريد قضاء حاجة ولكن الراهب لم يدعه يفعل وانما سـحبه • وغضـب الحارس الذى كان من هواة تربية الحيوانات ، وأمر البائع المتجول بأن يترك الكلب يفعل ما يريد ، وتخلص الكلب المسكين من أنبوب فضى كان فى جوفه • ونظرا لان الحارس لم يسمع قط بأن الكلاب معتادة على ابتلاع مثل هذه الاشياء فقد اعترته الدهشة ولما كان على جانب من الذكاء فانه أخذ البائع والكلب والانبوب الى مركز الحراسة وروى ما حدث • ومنذ ذلك الحين أخذ رجال البوليس الحربى فى

المنطقة يفحصون الكلاب الذين يقودهم أشخاص مدنيون • وقد اكتشفت عدة أنابيب فى عدد كبير من الكلاب ، وبذلك عرف الالمان مدى ما للعدو من جواسيس وراء الجبهة •

واستعد الالمان لتوجيه ضربة مضادة ، لانه كان من الواضح أن مثل هذا الامر لا يمكن السماح باستمراره • وكان لابد من توجيه هذه الضربة الى رئيس المنظمه الكابتن بيكا • وفى بداية الامر احتارت السلطات فى أمرها وفى كيفية العمل • ولكن بعد ذلك تقدم جاسوس ألمانى الى مكتب المخابرات واقترح دخول عرين الاسد وكشف النقاب عن الكابتن بيكا بأى ثمن • ونوقشت جميع الخطط التى قد تمكن الجاسوس ــ الذى لم يعلن عن اسمه أو أصله ــ من القيام بهذه المهمة • وقد واتته الفرصة • فقد أعلن عملاء ألمانيا فى انجلترا أن جاسوسا روسيا كان يناقش بعض الامور مع السلطات البحرية البريطانية يعتزم دخول ألمانيا عن طريق هولندا للاتصال بعملاء روسيا فى بعض المدن الالمانية • ولما كانت هذه المعلومات تتضمن تفصيلات دقيقة عن شخصية الجاسوس فقد عرفه موظفو الحدود على الفور الا أنهم سمحوا له بدخول ألمانيا حسب التعليمات التى تلقاها • وقد اعتقل هذا الشخص فقط عندما اجتاز الحدود ، وجرد من أوراقه وجواز سفره وأعطيت هذه الاشياء للجاسوس الالمانى الذى تولى مهمة الوصول الى الكابتن بيكا •

وفى احدى الامسيات عبر الجاسوس الالمانى آخر المراكز الالمانية ووصل الى ضفة نهر دونا ثم ركب زورقا واتجه الى الحدود الروسية • وأطلق الجنود الالمان الذين كانوا فى المنطقة بنادقهم على المياه ، وسمعت المراكز الروسية الموجودة على الضفة الاخرى اطلاق النار على الشاطىء البعيد فتطلعت الى النهر فشاهدت شخصا يقترب منهم فى قارب وهو يلوح بمنديل أبيض ويبدو أنه أحد الهاربين • وعندما وصل الى الحدود الروسية أغمى عليه هربه عبر الخطوط الالمانية وطلب أخــذه الى أقرب ضابط • وبدا الرجل كما لو كان مرهقا من الاعياء وقد روى هذا الجاسوس رواية خيالية عن للضابط أنها غامضة ، ولكن هذا الشخص ذكر اسمه للضابط ــ أى اسم الجاسوس الروسى الذى دخل ألمانيا عن طريق هولندا • وتوسل الجاسوس الى الضابط أن يتصل بقيادة الجيش أو قيادة الســـلاح يخطرها بأنه جاسوس روسى حضر من انجلترا عن طريق هولندا وألمانيا • واتصـــل الضابط بالقيادة فأخطرته أن كل شىء على ما يرام وأن الشخص المذكور جاسوس روسى قام بعمل عظيم ويجب أن يعامل بكل احترام •

وطلب الجاسوس نقله للاتصال بالكابتن بيكا لان لديه مسائل هامة يريد أن يناقشها معه • واتصل الضابط بالقيادة فاخطرته بتحركات الكابتن ومكانه ، فحضرت سيارة واستقبل الكابتن بيكا هذا الزائر ، وفتح له الباب بنفسه وقاد زائره الى الداخل • وذكر الجاسوس اسمه فعرفه بيكا الذى لم يكن يعرف الشخص حامل هذا الاسم — وهذا من حسن حظ الجاسوس الالمانى • وكان حديثهما قصيرا ، فأخبره الالمانى أنه حضر لتوه من شرق بروسيا وأنه حصل على معلومات هامة فيما يتعلق بتحركات القوات وهو يريد ابلاغها للكابتن بيكا نظرا لان هناك هجوما شاملا على المنطقة التى يعمل فيها الكابتن • ولكنه طلب أولا مكانا يقضى فيه الليل لما يحسه من ارهاق بعد المتاعب التى تكبدها •

وأخذ الكابتن ضيفه الى احدى الغرف الخالية حيث كانت تحتوى على سرير وبعض المفروشات ، ثم ذهب بيكا الى فراشه • وافاق بعد ساعة لشعوره بالقلق والتعب وذهب بيكا بوحي داخلي عبر ممر البيت دون أن يلبس فى قدميه شيئا • وكان الهدوء والسكون يخيمـان على المنزل • وسار الكابتن فى الدهليز الى أن وصل مكتبه وأصاغ السمع ، ثم عاد الى غرفة نومه والى بجاسوسه وعاد الى غرفة المكتب وفتح الباب فجأة •

وكان ضيفه راكعا فى منتصف الغرفة وهو يحمل مجموعة من الاوراق وقد ربطها بعناية على ضوء مصباح جيب وجهه نحو الباب عندما انفتح ، وشاهد الكابتن على ضوء المصباح أن أسلاك تليفونه مقطوعة ومدلاة من فوق المائدة •

ولم يتردد الكابتن لحظة واحدة فقد أطلق النار على الجاسوس عندما كان هذا يحاول النهوض على قدميه •

وعندما استولى البلاشفة على زمام الحكم اكتسحت الامبراطورية الروسية بأسرها دوامة • ولم يعرف بعد ما اذا كانت هذه الدوامة قد أصابت الكابتن بيكا أم أخطأته •

١١

مصرع أديت كافل

كان مصير اديت كافل هو مصير سيدة نبيلة القلب لقيت حتفها فى سبيل وطنها . وليس ثمة أدنى شك فى أن نشاطها ابان الحرب قد أصاب الجيش الالمانى بأضرار بالغة . وعندما اميط اللثام عن نشاطها ضد الجيش الالمانى قدمت للمحكمة العسكرية ثم أعدمت رميا بالرصاص . وكانت الكلمات الاخيرة التى نطقت بها بين يدى القسيس هذا ما سأقوله وانا بين يدى الله . لقد أدركت أن الوطنية لا تكفى . يجب الا يكون فى قلبى حقد أو غل نحو أحد من الناس .

ولقد هز مصير هذه المرأة التى أعدمت رميا بالرصاص ـ العالم بأسره . ونروى قصتها بدون تحيز ولا تعصب .

لقيت أديت كافل حتفها وهى فى الخمسين من عمرها . وقد كانت ممرضة انجليزية الاصل . وعندما اندلعت نيران الحرب ، كانت أديت تعمل مديرة لاحدى مدارس تدريب الممرضات فى بروكسل .

وعقب المعارك الاولى الكبرى فى الحرب، عندما أخذت تكتظ مستشفيات بروكسل وما جاورها بالجرحى البلجيكيين ، أنشأت أديت مستشفى كبيرا خاصا للجنود البلجيكيين .

وفي غضون أيام قلائل ، ومتلأت بروكسل من قوات الحلفاء . وقد احتلت قوات الجيش الالمانى العاصمة البلجيكية فى ذلك الوقت الذى بقى فيه الجنود البلجيكيون يحالجون فى المستشفيات والمنازل فى بلجيكا بعد انسحاب وحداتهم . ولما استرد هؤلاء الجنود قواهم وشفيت جراحهم تشكل منهم جيش صغير فى مؤخرة قوات العدو . وكانت الاجراءات التى اتخذتها القيادة الالمانية العليا فى هذه الحال بسيطة ولكنها عملية فى نفس الوقت. فقد طلب من سكان المنطقة المحتلة ابلاغ السلطات عما اذا كان يأوى أحد جرحى الاعداء كما وجه طلب مماثل الى مديرى المستشفيات العامة والخاصة

على السواء • وفى الايام الاولى من الاحتلال الالماني، قامت سلطات الاحتلال العسكرية بجمع هؤلاء الجرحى وأرسلتهم تبعا لحالاتهم الى مستشفيات أو معسكرات الاعتقال فى المانيا •

ورأت الجيوش الفرنسية والبلجيكية أن سببين هامين رئيسيين يدعوانها لاحباط هذه الخطوات بقدر الامكان •

كانت حدود هولندا قريبة ، وقد هرب الى هولندا كثير من البلجيكيين والفرنسيين الذين ظلوا فى مؤخرة القوات الالمانيــة لسبب أو لآخر فى أوائل مراحل الحرب • وتلقت مخابرات العدو معلومات عن الاجراءات التى اتخذتها السلطات الالمانية فوضعت اجراءات مضادة لها • وقد اتخذت هذه الاجراءات المضادة لسببين •

أولهما : أنه من المستحسن أن يعود الجنود الجرحى من الفرنســيين والبلجيكيين الى وحداتهم حالما يستطيعون استئنــاف نشــاطهم نظرا لأن معظم الجرحى من الصباط وأفراد الجيوش النظامية بمعنى أنهم من المدربين والخبيرين فى الحرب • كما أن معظم الذين أصيبوا فى المراحـــل الاولى للحرب كانوا بالطبع من خيرة جنود العدو • والاعتبار الثانى أهم من الاول• فان الجندى الذى يعود الى وحدته من مؤخرة جيش العدو هو مصدر هام للمعلومات • والجندى المدرب يستطيع أن يقدم معلومات عن الموقف العسكرى عن العدو ، ويستطيع اذا أمكنه ذلك • ان يستجوب عددا كبيرا من الناس الذين هربوا من مناطق مختلفة وان يقارن البيانات التى حصل عليهــا ويتحقق من صحتها ويمكن بذلك الحصول على معلومات عظيمة الاهمية

ولذلك عمدت المخابرات الفرنسية الى انشاء منظمة هدفها أن تساعد مثل هؤلاء الجنود الفرنسيين والبلجيكيين على الهرب • واستطاع عمــلاء المخابرات الذين تســللوا عبر الحدود الهولنــدية أن يتفــاهموا مع أفراد الشعب البلجيكى • واستطاع هؤلاء أن يجدوا أذنا صاغية بين نبلاء بلجيكا وكان الامير دى كروى والاميرة دى كروى من بين البلجيكيين الذين سعوا لانقاذ بلادهم بهذه الوسيلة وغيرها من الوسائل • وانشئت منظمة بقيادة بعض الرجال والسيدات ــ لم يعلن عن أسماء بعضهم ــ وكانت المنظمــة قوية وفعالة فى اساليبها واعمالها حتى أنها سرعان ما امتدت وعمت أنحاء بلجيكا • وقد اتسع نطاق تهريب الاشخاص عبر الحدود الهولنــدية فى أوائل الغزو الالمانى • وكانت هناك طرق مائية وبرية يعرفها هؤلاء الناس

الذين كانت لديهم أساليبهم الخاصة فى تجنب حرس الحدود ، وأمكن استغلال تلك الطرق . ولم يجر تهريب بضائع أو سلع وانما يقوم المرشدون الوطنيون بتهريب جماعات من الجنود الفرنسيين والبلجيكيين الى هولندا ومنها الى جيوش العدو .

وكان اجتياز الحدود فى الحقبة الاولى من الحرب أسهل فى هذه الحركة لأنه لم يكن يتعدى تجنب الحراس فى الظلام أو فى الضباب . وعند الضرورة كان الهاربون يشهرون أسلحتهم اذا كان عددهم كبيرا بدرجة كافية وصادفهم حراس نقاط التفتيش ويشقون لانفسهم طريقا بالقوة . غير أن عملية تنظيم هذه القوافل السرية كانت أكثر صعوبة . وأول مثل على ذلك أن الجندى الجريح كان يقتضى أخذه من أيدى السلطات العسكرية الالمانية .

وكان هذا هو المجال الذى استطاعت فيه أديت كافل أن تمد يد المعونة فقد آوت فى المستشفى التى كانت تديره أكبر كثيرا من المرضى ومن بينهم عدد من الجنود الذين ينزلون فى منازل خاصة . وكان من المحتمل فى ظل هذه الظروف أن تتصل المخابرات البلجيكية بأديت كافل . وطلب اليها أن تساعد جميع الجنود الجرحى الموجودين فى مستشفاها أو الذين ترعاهم خارج المستشفى على اجتياز الحدود الهولندية . وفى هذه الآونة دخلت بريطانيا الحرب . ولما كانت أديث كافل انجليزية الاصل وظلت كذلك طوال المحاكمة كلها فانها لم تتوان عن المساعدة ، وقد قالت أثناء محاكمتها أن الدافع الرئيسى فى تقديمها المساعدة للجرحى هو أن أصدقاءها البلجيكيين أكدوا لها بأن جميع الجنود الموجودين فى بلجيكا والذين لم تعرف السلطات الالمانية مكانهم سيعدمون رميا بالرصاص بعد تاريخ محدد على أساس الشك فى ولائهم واخلاصهم . ومن تلقاء نفسها ، أقدمت أديث على الخطوة الاولى فى هذا الطريق الخطير . ولكى تنقذ الجنود الذين تحت رعايتها من أن يصبحوا أسرى حرب قدمت لهم ملابس مدنية وأحرقت ملابسهم العسكرية . وبعد أن فعلت ذلك ، كان لابد لها من تدبير جوازات سفر مدنية مزورة لهم ، واستطاعت أن تدعى بأنهم مواطنون بلجيكيون يمكن اعتبارهم مدنيين لا ضرر منهم . وقامت أديث بتوزيع الجرحى على بيوت معارفها العديدين وكتبت ــ على سبيل الاحتياط ــ شهادات طبية مزورة وحولت الجنود الجرحى الى مدنيين مرضى .

وكانت هذه هي الخطوة الاولى • وكان على أديث بعد ذلك أن تعمل مع المنظمة المذكورة من أجل الحصول على جوازات سفر مدنية وتدبير عملية اجتياز هؤلاء الجنود الحدود •

وقد حصلنا بعد أن وضعت الحرب أوزارها على وصف مفصل لهذه المنظمة من أحد الذين شهدوا نشاطها • وقام المحامي سادى كيرش من بروكسل - وهو الذى دافع عن أديث أمام المحكمة العسكرية بوصف المنظمة فى صحيفة ايكو دى بارى يوم ١٤ فبراير سنة ١٩١٩ بالعبارات التالية :

« لقد تشكلت منظمة • اتصل الجنود الذين هم من شمال فرنسا بالامير ريجنالد دى كروى بقصره فى بيلينى فكان يعطيهم المال• وجوازات السفر المزيفة • وقد ساعدته شقيقته الاميرة مارى اليزابيث دى كروى ثم ساعدتهما الآنسة توليز - فرنسية من ليل كانت تعرف باسم مدموازيل مارتن » •

ويستمر الكاتب فى ذكر اسماء المدن التى ينتشر فيها ممثلو هذه المنظمة وكذلك اسماء الزعماء المحليين •

وكانت هذه المنظمة هى التى قامت بمساعدة أديث كافل فى عملها ، فزودتها بجوازات سفر الامير دى كروى المزورة ، وقامت كافل بتوزيع الجوازات على المرضى • وكانت هذه المنظمة ذات النشاط الذى لا يكل تقدم الشهادات الطبية المزورة : لم تكن السلطات الالمانية تستطيع أن تفحص جميع المرضى فى المنطقة البلجيكية المحتلة كى تحدد طبيعة مرضه ، لذلك كانت الشهادة الطبية تقبل كاجراء وقائى •

وكانت اديث كافل بمثابة الام بالنسبة للمرضى المتنكرين عندما كانت تخدمهم باخلاص ونشاط الى حين حضور مندوب المنظمة ليتولى نقل الجنود الذين يكون قد تم شفاؤهم عبر الحدود •

واما عملية اجتياز الحدود فكانت كما يلى : تشكل أولا مجموعات من خمسة أو ستة أشخاص يقودها دليل على معرفة تامة بجميع المنطقة على كل من جانبى الحدود • ويعطى لكل شخص جواز سفر مزور باسم احدى الهيئات البلجيكية المحلية يقول أنه من مواطن فى احدى القرى على الحدود

الهولندية • وتعطى لكل شخص وثيقة بتوقيع أحد ضباط البلـدية تقول أنه أحد العمال أو أصحاب الحرف عائد الى مسقط رأسه اما لأن عمله قد انتهى أو لأن الحرب حالت دون استمراره فى عمله •

ولأتمام هذه الوثائق يعطى الهارب أمر مزور بطريقة بارعة ويحمل توقيع السلطات العسكرية الالمانية ينص على عودة حامله الى وطنه فورا • وكانت أساليب تزوير هذه الوثائق الاخيرة في تحسن مستمر • ومنعـا لاثارة الشك والريبة فى صحة هذه الوثائق ، كان يطلب الى حامليها العودة الى أوطانهم فى حدود وقت معين • وقد يطلب احيانا من حامل الوثيقـة أن يتوجه وهو فى طريق عودته الى الوطن الى أحـد المراكز العسـكرية لتقديم نفسه ليبين لها أن اليوم والساعة الخاصة بتقديم نفسه مذكورة فى الوثيقة •

وبفضل هذه الوسيلة استطاع عدد كبير من الضباط والجنود الجرحى الذين كانوا تحت رعاية اديث كافل ان يجتازوا الحدود الهولندية وينضموا من جديد الى القوات المحاربة • وقد انتهى عمل مس كارفل فى هذا المجال بسرعة ، ولكنها خدمت المنظمة بطرق أخرى •

فقد بقى كثير من جنود الاعداء خلف الجبهة الالمانية عقب اندلاع نار الحرب • ونظم هؤلاء الجنود أنفسهم على شكل سرايا ، وكانت أسلحتهم لا تزال معهم ، ولم يكن لديهم نية الاستسلام للالمان • وكانت هذه السرايا تختفى فى الغابات والمناطق الجبلية ، وكانوا يعيشون على ما يحضره لهم الاهالى من طعام • أثناء الليل • وكان عدد هؤلاء الجنود الهاربين فى مؤخرة الجيش كبير نسبيا وفى بعض الاماكن اسـتطاع قادة هـذه السرايا أن يظلوا فى أماكنهم حتى يونيو سنة ١٩١٥ ، وكانوا يوقعون بالعدو أضرارا بقدر استطاعتهم • ولا زال المؤلف يذكر حادث اشترك فيه بنفسه • ففى سنة ١٩١٥ ، كان المؤلف مع أفراد سريته يستريحون فى منطقة تقع بين آرجون وبلدة دون الفرنسيه • وسار المؤلف مع رفيق له فى السلاح ليلا فى ضوء القمر بعيدين عن العمران وعن القوات الالمانيـة ، وعلى مسـافة طويلة خلف الجبهة فى منطقة مجاورة لقرية (مونتينى) وتباحث الرفاق فى أمر قتل ثور فى الغابة • وكان الممر ضيقا جدا ومنحدرا واوصلنـا الممر الى مرج منخفض ونحن نبحث عن الثور البرى • وفجأة اعترانا الذعر وجمدنا فى أماكننا • فقد وجدنا أنفسنا فى أحد جوانب الغابة وعلى بعد مائة ياردة رأينا بعض الجنود الفرنسـيين يقتربون نحونا بخفـة ، وكان عددهم حوالى المائة يتقدمهم بعض الضبـاط • وعنـدما شـاهدنا بعضنا

البعض وقفنا لحظة بلا حراك • واعتقد الفرنسيون اننا سرية ولا زالت بقيتنا بين الاشجار • وعدنا بسرعة الى الغابة وانذرنا الباقين • وبعد مضى شهر ، حوصرت كتيبة واسرت اذ كانت لا تزال تقاوم فى هذه المنطقة الجبلية وربما كان الجنود الذين بدأت المنظمة بارسالهم الى أديث كافل من هذه التشكيلات • فقد كانت مهمتها ايواء هؤلاء الاشخاص فى بروكسل الى أن يتم ارسالهم عبر الحدود •

وعندما كانت هذه المنظمة فى بداية تهريب الجنود الجرحى من بلجيكا على نطاق واسع ، علمت السلطات الالمانية بوجودها نتيجة حوادث عديدة وأول هذه الاحداث رؤية أشخاص غرباء فى منزل مس كافل الامر الذى أثار الشكوك • وبدأ البوليس وعملاء مكافحة الجاسوسية يراقبون المنزل وأيدت المراقبة شكوكهم • ولم تعمل السلطات بسرعة ، وانما استمرت فى المراقبة للمنزل على أمل اعتقال المشتركين متلبسين فى هذه العملية • ولم يكن هذا بالامر العسير ، فقد بدأت أعمال المنظمة تزداد ظهورا دون حيطة ولا حذر ، ولم يكن الامر يحتاج الى مهارة فى اكتشاف الشبكة ومعرفة أساليبها •

وفى ربيع سنة ١٩١٥ ، أى بعد مضى تسعة أشهر على ميلاد المنظمة تدخلت هيئة مكافحة الجاسوسية ، فاعتقلت أديث كافل مع عدد كبير من أعضاء المنظمة • واعترف جميع المتهمين بما فيهم أديث ــ بنشاطهم وبذلك رفع الأمر الى المحاكمة العسكرية • وقامت المحكمة بادانة المتهمين مقدرة أن فيليب بوك ــ وهو بلجيكى ــ كان يعتبر المجرم الاول •

وعندما بدأت المحاكمة ، جلست أديث بين المتهمين بالاشتراك فى مؤامرة عسكرية • ومثل الاتهام كريجسجر يختسرات شتوبر وكانت هيئة المحكمة من الضباط الالمان أو من الدفاع فكان المحامين من بروكسل سادى كرشين وتوماس برون ــ من بروكسل • وبعد تلاوة نص الاتهام ، استدعيت أديث كافل وبدأ استجوابها • وقد نشر هذا التحقيق الذى سجله محامى أديث فى ايكودى باريس وهو كما يلى :

قالت أديث كافل أنها فى التاسعة والاربعين من العمر وانها من رعايا بريطانيا ••

القاضى : لقد آويت بين نوفمبر سنة ١٩١٤ ويوليو سنة ١٩١٥ جنودا فرنسيين وانجليز ومن بينهم ضباط برتبة كولونيل وجميعهم بالملابس المدنية • كما أنك ساعدت البلجيكيين والفرنسيين والانجليز على العودة الى الخدمة العسكرية فى الجبهة • لقد ساعدت هؤلاء الاشخاص وزودتهم بالمال •

أديت : نعم ، لقد فعلت •

القاضى : مع من اشتركت فى هذه الاعمال ؟

أديث : مع المسيو كابيان والمودموازيل مارتن والسادة ديرفو وليبيز•

القاضى : ما اسم رئيس ومؤسس المنظمة ؟

أديث : لم يكن هناك رئيس لها •

القاضى : الم يكن الامير دى كروى رئيسا لها ؟

أديث : كلا ، لقد اقتصر الامير على أن يرسل الينا الاشخاص الذين ساعدهم بالمال •

القاضى : لماذا أقدمت على هذه الاعمال التى أنت متهمة بها ؟

وأجابت أديث على هذا السؤال بشىء من التفصيل وقالت انها اعتقدت بأن الذين ساعدتهم كانوا فى خطر • » وهذا هو دفاعها ومبررها فى هذه العملية •

وحكم على أديث كافل كاغلبية المتهمين بالاعدام • ونظرا لأنه كان من الواضح أنها لم يسبق أن عملت اطلاقا لدوافع مادية أو تدعو الى اللوم ، فان اشخاصا عديدين فى ألمانيا ـ من بينهم بعض كبار الضباط ـ أعربوا عن رأيهم بوجود تخفيف حكم الاعدام بالسجن• ويقضى القانون العسكرى أن قيادة الجيش هى التى تشرف على المحكمة العسكرية • وقد صدق قائد الجيش على الحكم • ولم يصادق الفريهر فون بيسنج حاكم عام بلجيكا على

حكم أعدام أديث كافل • ومن المعروف اليوم أن الدائرة السياسية التابعة للحكومة الالمانية فى بلجيكا وحتى كان يرأسها الفريهر فون بيسنج قد فعلت ما بوسعها للحيلولة دون تنفيذ حكم الاعدام •

ولكن محاولات الفريهر فون بيسنج ـ الذى شهد حتى اعداؤه بنبله وشهامته ـ ذهبت أدراج الرياح • واعدمت أديث كافل • ومن المؤكد أن كيفية الاعدام التى نشرتها صحف العدو ابان الحرب وبعدها واشار اليها أحد الافلام الآنجليزية ـ من أن اعدام أديث تم بصورة فظيعة ، لا يمت للحقيقة بصلة • فقد قيدت أديث كافل لاحد الاعمدة ، ولم ينته الضابط من اصدار الامر حتى انطلقت رصاصات الجنود الالمان وقتلتها فى الحال •

وقد نشرت وثيقة تبين مدى خطورة نشاط المرضة أديث كافل • على نجاح القوات الالمانية •

فقد نشر لورد برايس خطاباته ومقالاته التى كتبهـا ابان الحرب فى مجلد واحد • واستعرض روبرت ارك هذا الكتاب فى مجلة Justice العدالة (فى ٣٠ يناير سنة ١٩١٩) • وما يقوله روبرت أرك عن مصير أديث كافل قد كتبه بروح غير ودية لالمانيا • ويقول :

« لقد كان أولى بلورد برايس وغيره أن يمتنعوا عن استغلال مثل هذه الحوادث كاعدام مس كافل • ان ما فعلته مس كافل يستحق عقوبة الاعدام حسب قوانين الحرب • ان الجنس فى هذه الامور لم يعترف به حلفاؤنا ولا أعداؤنا ، وقد آن الاوان كى تعترف بذلك بأن مس كافل قد ضحت بحياتها وماتت فى سبيل بلادها ، ولكنها لم تمت ميتة تقل أو تفوق الآلاف الذين سقطوا فى ميادين الشرف •

١٢

بعـــد الحرب

عندما اعلنت الهدنة فى غابة كومبين ووضعت حـدا للقتـال بين دول وسط أوروبا كانت المدافع لازالت تدوى فى مناطق أخرى من أوروبا • فقد كانت الجيوش البيضاء فى روسيا تحارب يائسة ضد السوفييت ، وقد لعب التجسس فى هـذه الحرب دورا حيـويا • وكان لدى الروس الذين أنشأوا الديكتاتورية البلشفية عدد من الرجال الحاذقين ذوى الدهاء والذكاء الذين كان يوقعهم الحماس للدولة الجديدة وكانوا على اسـتعداد للقيـام بعمليـات التجسس الخطـيرة • وتاريخ الخـدمة السرية التى اسـتطاعت السلطات الروسية بمساعدتها أن تقضى على الجيوش البيضاء هو تاريخ جاسوسية وحشية عنيفة من جانب الشيوعيين وغير الشيوعيين على حـد سواء • انه تاريخ حافل بالقسوة الرهيبة والمجازر التى ارتكبها الطرفان معا عند وقوع جاسوس فى الفخ •

ففى سنة ١٩٢٩ ، وجهت التهمة لاورلوف ــ أحد مستشارى الدولة ــ فى برلين بتزوير وثائق ذات صبغة سياسية • وكانت الادلة تثبت ادانته فصدر عليه حكم بالسجن فترة من الزمن • وقد اشترك هذا الشخص فى جميع العمليات الهامة التى قامت بها المخابرات الروسية بعد الحرب •

وابان سير محاكمة أورلوف ، اشتدت موجة السخط فى الصـحف الالمانية ، فقد كشفت المحاكمة عن أمور تدعو الى العجب والدهشة • فقد ثبت أن عددا من المسئولين الالمان الكبار كانت لهم مكاتب مخابرات خاصة يدفعون اليها مبالغ كبيرة من المال ، وكانت أعمـالها غريبـة ومتنوعة • فبالاضافة الى جمع معلومات عن الاغراض السياسية للدول الاجنبية ، فقد كانت هذه المكاتب تهتم بالسياسة الداخلية لالمانيا • وادركت الصحف أن عملاء هذه المكاتب كانوا يتجسسون على كل شىء فى المانيا ، بل وان هذه الدوائر الحكومية كانت تتجسس على بعضها البعض • وظهرت حقيقة واضحة وهى أن مديرى هذه المكاتب كانوا من الروس الذين استخدموا عملاء روس معهم • وقد كانت الحقائق التى ظهرت أثنـاء سـير المحاكمة

تناسب التجسس كما هو فى عصرنا الحاضر • وان التجسس السياسى فى جميع دول أوروبا باستثناء روسيا حيث كان الوضع السياسى يختلف فيها عنه في الدول الاخرى فيما يتعلق بالشئون المحلية يعتبر اليوم نشاطا تموله الدولة •

وعلى العموم ، فان التجسس فى جميع دول أوروبا اليوم ـ بعد مرور ١٢ عاما على الحرب ـ أكثر مما كان عليه قبل الحرب • فلقد عمدت جميع الحكومات اليوم الى انشاء منظمات تزودها بمعلومات ـ وبسرعة مذهلة عن أى تغيير يطرأ على الاوضاع السياسية فى الدولة نفسها • ونادرا ما تكون هذه المعلومات السريعة صحيحة •

ويوضع زعماء الاحزاب الكبرى تحت المراقبة ، كما تجرى مراقبة المعارضة ، ويراقب موظفو الحكومة الذين ينتمون الى أحد أحزاب المعارضة . وقد عمد موسلينى للتغلب على خصومه السياسيين بانشاء شبكة من العملاء السريين فى أنحاء ايطاليا • وكان لبريمو دى ريفيرا جواسيسه وبالأخص فى الجيش لأنه يشكل خطرا على حكومة الديكتاتور • وتنفق فرنسا وانجلترا مبالغ طائلة لمعرفة نوايا الشيوعيين وكذلك الحال فى المانيا كما رأينا فى قضية أورلوف •

ويجدر بنا ان نمعن النظر فى قضية أورلوف لانه يستحق الاهتمام كشخص احترف التجسس طيلة حياته • ولسنا بحاجة الى القول بأن المستشار أورلوف لم يشترك فى عمليات التجسس اشتراكا فعليا وقد كان مركز أورلوف فى المكتب المركزى ولكنه يمسك بين يديه بخيوط المخابرات وكان أورلوف من أسرة متوسطة ، درس الحقوق ودخل الوظائف الحكومية واشترك كضابط احتياط فى الحرب الروسية ـ اليابانية • وعمل قاضيا للتحقيق من ١٩٠٦ الى ١٩١٧ فى سانت بيترسبورج ، وقد رقى بفضل براعته فى معالجة قضية تزوير هامة ، واصبح نائبا عاما ثم مستشارا للدولة فى النهاية الى منصب قاضى التحقيق فى الادارة السرية للبوليس السياسى • ولم يكن يوجد فى روسيا القيصرية من هؤلاء القضاة ذوى الاهمية السياسية الكبرى سوى خمسة أو ستة • وكان هؤلاء القضاة أرفع درجة من النائب العام فى حكوماتهم ، مثلما كان أورلوف فى سانت بيترسبورج • وعندما تولى أورلوف هذا المنصب دخل مهنة شاذة ترفعه الى أعلى الدرجات ثم تنزله الى الدرك الاسفل فى لمح البصر •

وقد طاف أورلوف وهو مزود بسلطة مطلقة فى أنحاء روسيا كرئيس لمنظمة كبيرة مهمتها مراقبة الزعماء الشيوعيين والاشتراكيين • وبناء على أوامر أورلوف اعتقل زعماء الشيوعيين أمثال لينين وتروتسكى وغيرهما ووضعوا فى السجون ونفوا الى خارج البلاد أو أعدموا •

وكان أورلوف يتولى التحقيق فى جميع القضايا والمؤامرات السياسية التى يكتشفها رجال البوليس السرى • وفى عهد الحكومة القيصرية ، أصدر أورلوف أوامره باعدام مئات المتآمرين رميا بالرصاص ونفى آلافا الى سيبريا • ويعود نجاحه الى شبكة للتجسس دقيقة التنظيم •

وفى سنة ١٩١٧ ، اندلعت الثورة الروسية ، وأول شىء فعله الحكام الجدد أن وضعوا مكافأة كبيرة لرأس الشخص الذى قضى على عدد كبير من رفاقهم فى عهد القيصر • وهرب أورلوف قبيل اعتقاله وحمل معه جميع السجلات السياسية التى كانت فى محفوظاته •

وطاف فى روسيا متنكرا فترة من الزمن ، وقد أحسن تغيير شكل شعره ولحيته الى أن نجح فى الانضمام الى الجيوش البيضاء حيث استقبله قادة الجيوش بترحيب كبير وكشف النقاب بصفته مستشارا للمحكمة العسكرية العليا فى هذا الجيش عن جواسيس البلاشفة وهكذا ، قضى أورلوف على المئات بالموت مرة أخرى • ولكن الكراهية المتبادلة كانت قد بلغت أشدها حتى أن الجواسيس لم يعدموا رميا بالرصاص بل بالتعذيب حتى الموت • وانسحب أورلوف من الجيش الابيض بناء على أوامر قادته ، وتوسلوا اليه أن يغامر ويدخل جيش الأعداء ، أولا من أجل مساعدة المعادين للثورة المسجونين وثانيا للتجسس على البلاشفة وهناك مهمة ثالثة وهى أنه نظرا لان قادة الجيش الابيض يعدون العدة لتوجيه ضربة ضد موسكو ولينينجراد ، كان على أورلوف تجنيد الرجال فى هاتين المدينتين لمساعدة المهمة الهجوم بواسطة قيامهم بثورة مسلحة •

واستعد أورلوف لهذه المهمة وزود نفسه بجواز سفر مستعار يحمل اسم أورلينسكى ، وظهر فى لينينجراد فى نهاية سنة ١٩١٨ • ونجح فى الحصول على عمل كحارس فى السجن • وكان السجناء من المعادين للثورة • واثبت حارس السجن ـ الذى لم يعرفه أحد ـ مقدرته • فقد استطاع بواسطة سماعه لاحاديث خاصة أن يربط ما سمعه بالاحداث الفعلية وسرعان ما أدركت التشيكا قيمته . وعندما أوكلت اليه مهمة الحصول على معلومات معينة تولاها بسرعة مدهشة • واصبح عضوا فى (تشيكا) ،

ثم خبيرا لها في الجرائم السياسية • وقد اتصل – وهو فى عمله الجديد بالمخابرات الالمانية وزودها بمعلومات هامة تتعلق بخطط روسيا الخاصة بتعبئة ثورة فى ألمانيا • وفجأة اختفى من لينينجراد وعاد الى الجيش الابيض واصبح كمدعى عام عسكرى فى قيادة (دنيكين) و (رانجل) • ومرة أخرى أصبح جاسوسا ونائبا عاما فأرسل الكثيرين الى الموت •

ولم يعلم أحد فى قيادة الجيش الابيض ان أورلوف – أورلينسكى بصفته عضوا فى تشيكا – مسئول عن مقتل عدد كبير من المناوئين للثورة •

وعندما تصدعت صفوف الجيوش البيضاء هرب أورلوف الى لندن • وعمل طاهيا فى السفارة الروسية هناك دون أن يعرف شخصيته أحد • واثناء عمله فى السفارة نقل اسرار السفارة بقدر استطاعته • وفجأة غادر لندن وتوجه الى باريس ، وعمل هناك كجاسوس للاضرار بالروس• وكان أحد المقربين من الغراندوق نيقولاس الراحل •

وغادر أورلوف باريس الى برلين ، حيث وجد عملا – كخبير فى الشئون الروسية – لدى عدد من مكاتب المخابرات السرية التى كانت تساعد السلطات المختلفة فى التجسس على بعضها البعض • وطلب هؤلاء وثائق أصلية تقوم دليلا على أغراض وزارة الخارجية الروسية ، وكان من العسير الحصول على ذلك • وبدأ أورلوف فى النهاية ليزور هذه الوثائق• وفى البداية ، انطلت الحيلة على السلطات ولكن عندما تمادى أورلوف فى ذلك وقدم هذه الوثائق الى صحفى أميركى انكشف أمره •

* * *

وهناك فصل مؤسف فى تاريخ التجسس الحديث وهو ذلك الفصل الذى يعالج موقف السلطات العسكرية الفرنسية وازاء بلد مهزوم مجرد من السلاح • والادعى الى الاسف هو أن المخابرات الفرنسية لم تجد صعوبة فى الحصول على معلومات عن المصادر العسكرية الالمانية نظرا لان هناك عددا من الالمان أرادوا التجسس على بلادهم مقابل مكافآت زهيدة •

وقد نشر هذا الفصل عن التجسس الحديث أثناء محاكمة الضابط الفرنسى الكابتن دارمون أمام محاكم ألمانيا • وفى غضون المحاكمة ظهرت الحقائق التي وردت فى الفصل التالى •

١٣

اعتقلت قبل الوصول إلى الحدود بيـاردتين

قام الجيش الالمانى بتدمير أسلحته وذخائره حسبما نصت عليه معاهدة فرساى · وتوجهت لجنة تحقيق ودية الى برلين واعطيت حسب نصوص المعاهدة المذكورة قائمة بالمواد الحربية التى لازالت موجودة فى المانيـا · وكان لابد من اخطار هذه اللجنة بمكان وجود هذه المواد · وكان نشـاط اللجنة واسع النطاق ، وكان اعضاؤها الفرنسيون يقومون بالشطر الاكبر من العمل ، وكان الكابتن هاموس أنشط الاعضاء فى هذا العمل · ونظم هذا الكابتن شبكة تجسس واسعة فى المانيا الغرض منهـا معرفـة أماكن الاسلحة المخفية اذا كان هناك شيء منها · وكانت هذه الشبكة بسيطة ، وكان نجاحها كارثة على ألمانيا · وكان الشخص الذى يقدم معلومات عن وجود اسلحة مخفية الى هذا الكابتن يحصل على وثيقة تكفل له الحصول على عشرة فى المائة من قيمة الاسلحة · واتصل مئات من الالمان بالكابتن هاموس · وفى مايو سنة ١٩٢٠ قدم الكابتن فيفيان ستراندرز ــ وهـو انجليزى ومن اعضاء اللجنة المذكورة ــ بيانا الى احدى الصحف عن نشاط هذا الكابتن الفرنسى ورفاقه · واهم فقرات هذا البيان هى تلك التى يتحدث فيها الكابتن الانجليزى عن « بيانات ملفقة » ·

« لقد تلقى هذا الضابط عن طريق جواسيس خبراء يوثق بهم ليس فقط معلومات عن مواد اشتراها عملاء بصورة غير قانونية بل تلقى أيضا بيانات ملفقة يستهدف منهـا معرفة مـا يدور فى الشركات التى يهتـم بأسرارها المنتجون فى دور معاهدة فرساى · ولما كنت رئيس المترجمين فقد كنت على معرفة بهذه الزيارات وبنصوص الفضائح المذكورة · ولـم اتمكن فى حالة واحـدة من اكتشاف أسلحـة مخفيـة فى الشركات التى زرناها ، وقد استطعت التوصل الى معرفة أن جميع حالات الفضائح التى كان يتطلب منى ترجمتها للضباط الاخرين ــ كانت ملفقة ·

ويمضى الكابتن ستراندرز فى أقواله فيقول أن الضباط الفرنسيون وضعوا عملاءهم للتجسس على الضباط الآخرين الذين يعملون معهم فى اللجنة والذين يدركون واجباتهم وشرف القيام بها ٠

ويقول هذا الضابط الانجليزى : لقد كانت هناك موظفة بولونية فى مركز التليفونات الرئيى للجنة ٠ وكانت هذه السيدة تزود الضابط الفرنسى الكابتن هاموس بتقرير سرى عن جميع المكالمات التليفونية التى تتم خلال اليوم ٠

ومن الواضح أن الفرنسيين كانوا يخشون أن تعيد المانيا تنظيم جيوشها فى المستقبل القريب بالرغم من تجريدها من الاسلحة ، لذلك أرسلوا عددا كبيرا من الجواسيس التابعين لمكتب المخابرات الفرنسية فى باريس ٠ وكان باستطاعة الفرنسيين فى المنطقة المحتلة أن يحصلوا على جميع المعلومات التى يريدونها ، ولسنا بحاجة الىالقول أنهم كانوا نشيطين فى معرفة الاسرار الفنية للمصانع الكيميائية الالمانية وغيرها ٠

وقد سلك مكتب ادارة المخابرات الفرنسية فى باريس نفس الطريق التى انتهجها فى السنوات التى سبقت الحرب ٠ لذلك ، اتخذ هذا المكتب مقره فى شارع فرانسوا ـ وهو مقره قبل الحرب ٠ وقد تعلم المكتب الكثير أثناء سني الحرب ، وقرر أن يستفيد قبل كل شىء بالمثل الذى ضربته مدرسه الكابتن بيكا للجواسيس التى كان الضباط الفرنسيون يزورونها كثيرا ٠ فأنشأ المكتب مدرسة فى ايكس ـ فى فيلا لوتيتيز ، وهو منزل كبير واسع كانت قد شغلته حامية المنطقة المحتلة ٠ وتم تجنيد الالمان فى ألمانيا نفسها للعمل مع المخابرات الفرنسية ، وكان يجرى تدريب هؤلاء الاشخاص قبل ارسالهم للتجسس على أبناء وطنهم ٠ ويجرى التدريب فى فيلا لوتيتز ٠ وكانت فترة التدريب تختلف باختلاف الاشخاص ، فقد تستغرق بضعة أسابيع أو شهور ٠ ويعطى هؤلاء الاشخاص ـ حسب استعدادهم وذكائهم درجات ورتب محددة ٠ ويجدر بالذكر أن رجال المخابرات الفرنسية طبقوا هذه الدرجات والرتب فيما بينهم وبذلك أمكن معرفة مدى نشاط التجسس الفرنسى فى ألمانيا بعد الحرب ٠

واول رتبة هى « المخادع » الذى يتخلص عمله فى نشر بعض الآراء السياسية والاندساس فى احدى منظمات العمل الالمانية الكبرى وان ينقل معلومات عن اهداف هذه الحركة العمالية ٠

والرتبة الثانية هي « المخبر » ومهمته الرئيسية هي الحصول على عمل لدى أحد المراكز الصناعية الالمانية الكبرى ونقل اسرارها الصناعية ·

ويأتي بعد ذلك المجند وهو عميل يجند عملاء جدد عن طريق المال والوعود والحيل ، ومعظم أعضاء هذه الذمرة من النساء · وتأتي بعد الى « العميل المتنقل » الذى يجب أن يكون دائما تحت تصرف ادارة المخابرات الفرنسية ويرسل من مكان الى آخر للاستعلامات عن حوادث فردية وهناك « العميل الثابت » المقيم فى احدى المدن الالمانية ويرسل تقارير دورية عن أشياء ذات أهمية · واعلى الرتب هو « المهرب » الذى يكون دائم الحركة ، يحصل على الخطوط وتفاصيل مكتوبة عن عمليات سياسية عسكرية صناعيه هامة ·

وتبعا للتقاليد الراسخة ، فان هؤلاء العملاء لا ينقلون المعلومات التى يحصلون عليها فى المانيا مباشرة الى باريس وانما يرسلونها الى مكتب وسيط فى بلد محايد · وكان هذا هو مكتب المخابرات الفرنسية فى بازل وله فروع أخرى فى زيورخ وبرن · وبعد أن انتهى العملاء من التدريب يتوجهون الى هذا المكتب الذى يرسلهم بدوره الى ألمانيا ويظل العملاء على اتصال بمكتب بازل · وكان مدير المكتب ــ الكابتن بندراى دارمون ضابط فى هيئة أركان الحرب الفرنسية وأحد العملاء الرئيسيين للجاسوسية الفرنسية فى ألمانيا ·

وقد نظم هذا الضابط ــ الذى لم يكن يكل من السعى وراء المعلومات اينما كانت ــ مكاتب صغيرة ثانوية فى مدن المنطقة المحتلة فى الراين ، وصدرت تعليمات الى هذه المراكز لتجنيد عملاء خاصين بهم · وحاول أعضاء المكتب ــ فوق ذلك ــ اغراء أقارب أفراد الجيش الالمانى بحيث يمكن استمالة هؤلاء الجنود للعمل فى الشبكة · وكان انشط هذه المكاتب الصغيرة ــ مكتب مينز الذى كان يديره الملازم الفرنسى توماس · وقد مارس هذا المكتب نشاطا جاسوسيا واسع النطاق · وتعرف حادثة قام بها هذا المكتب بطريقة فذة للوصول الى أهدافه · فقد حصل المكتب على قائمة بأسماء احدى فرق الجيش فارسل عدة رسائل لبعض ضباط الصف · واحدى هذه الرسائل منشورة فيما بعد وهى تحتوى على ثلاثماية مارك ، وقام جميع الاشخاص الذين استلموا الرسائل بتقديمها الى ضباطهم ·

والرسالة موجهة الى « الهير ايشلسر ـ انتروفيزر ميننجن ـ المشاة ـ الآلاى ١٤ • ونص الرسالة هو كما يلى :

السيد المحترم •

علمت من أصدقائى أنه قد تكون لك رغبة فى مساعدتنا فى أغراضنا، لذلك أخطرك بأننى استطيع أن أعرض عليك شيئا نافعا • لذلك ، ينبغى عليك أن تحضر الى فى ميتز قبل أن نسوى الامر نهائيا • وآمل أن أراك حالا ، واحييك •• توماس •

وكان عنوان مرسل الخطاب : الهير توماس ـ ٢ ميتز هيليجر ايجاس رقم ١ ـ الدور الاول •

وتضمنت الرسالة ملاحظة : ارسل اليك نفقات السفر •

وكان السنيور توماس يعتبر ونفقات السفر شيئا يلمس وترا حساسا ويجعل الموافقة على العرض أمرا مفروغا منه •

وبدأت السلطات الالمانية تدرك النشاط الذى يقوم به الكابتن دازمون فى مايو سنة ١٩٢١ • واطلق الكابتن على نفسه انذاك إسم وينجارتز واستخدم مكتب مينز عددا من الجنود الالمان الذين زودوه بالاسرار العسكرية التى حصلوا عليها • وكان هؤلاء يسلمون المعلومات الى الكابتن وينجارتز شخصيا ، ويقابلونه قرب الحدود الالمانية السويسرية • وكان للكابتن دارمون عددا من الجواسيس •

ومن هؤلاء الجواسيس شخص يدعى بينز ينحصر عمله فى التعرف على جنود وحدات دورتنبرج وتوجيه الاسئلة اليهم • وكان لدى بينز تعليمات مكتوبة من وينجارتر تتطلب منه الحصول على أوامر سرية من السلطات العسكرية الى جانب الاشياء الاخرى • وكانت هذه الاوامر موجودة فى مكاتب القيادة العسكرية فى ستوتجارب ، ودخل بينز القيادة بمفاتيح مزيفة أثناء الليل • وساعد بينز فى العملية أحد حراس القيادة •

وكان رودلف سنفتيل من لوراخ ـ بادن ـ أحد عملاء الكابتن دارمون الرئيسيين ، وقد شاهد رودلف مناورات الجيش الالمانى واستخدام الجيش للبنادق • وضم رودلف اليه المدعو رتنونسر وهو جندى المانى وقدمه الى

دارمون • وصدرت الى رتزنر تعليمات تطلب منـه رفع تقـارير من حين لآخر عن معنوية الجيش الالمانى • والى جانب هؤلاء كانت هناك شبكة من الجواسيس مهمتهم التجسس على الجيش الالمانى •

وشعر البوليس الالمانى بنشـاط هؤلاء الجواسيس فى أحـد الايام • فقد وصل الى ايدى السلطات رسالة من الـكابتن وينجـارتز الى بينز • ووضع الجواسيس تحت المراقبة ثم اعتقلوا فجأة • وعلم أن رئيس هذه الشبكة هو الكابتن دارمون الموجود فى بازل •

وفى أحد الايام ، لاحظ أحد موظفى رقـابة البريد فى كونسـتانس رسالة موجهة الى (انس كنال) ـ المفروض أنه يعمل فى كتيبة تتمركز فى كونستانس ولكن نظرا لعدم وجود شخص بهذا الاسم فى كونستانس لذلك ظلت الرسالة فى مركز البريد• وتبين من فحص الرسالة أنها تحوى مـالا ، لذلك قرر الموظف أن يفتحهـا فعثر بداخلهـا على عشرين فرنكا سويسريا ورسالة من الهير وينجارتز الى (انسن) تطلب منه أن يجتمـع بالهير وينجارتز قرب الحدود الالمانية السويسرية فى أحد الايام لان الكاتب لديه أشياء هامة يريد أن يخبره بها • وقد وضعت العشرين فرنكا لسد نفقات سفره •

وقال موظف البريد الذى شك فى الامر بتقديم الرسالة الى البوليس السياسى فى كونستانس • وادرك مأمور البوليس ـ ووجر ـ وهو خبير فى شئون الجاسوسية ـ تفاصيل الموضـوع وقرر أنه يجب على الكابتن دارمون أن يدفع ثمن تجسسه على ألمانيا• ونظرا لعدم وجود شخص باسم (أنسن كنال) لذلك قرر مأمور البوليس أن يقوم بدور هذا الجندى لذلك أرسل الى وينجارتر مذكرة مهذبة يشكره فيها على رسالته ويعلن ترحيبه بالاجتماع به واقترح أن يتم الاجتماع فى قرية كروز لنجن ، على الحدود السويسرية الالمانية• وسرعان ما وصله الرد ، ووافق وينجارتر على الزمان والمكان المحددين ، واجتمع الرجلان حسب الاتفاق • وتحـادث الاثنـان طويلا ، ورأى وينجارتر أن محدثه لا يعارض فى القيام بالتجسس وقـد أخبره الجندى بأشياء جديدة بالنسبة اليه فاعطاه خمسين فرنكا سويسرا ليشجعه على المضى فى العمل ، وافترق الاثنان بعد أن اتفقا على الاجتماع مرة أخرى فيما بعد •

وعقد الاجتماع الثانى قرب قرية آرلم المجاورة للحدود . وقد أعد مأمور البوليس لهذا الاجتماع استعدادات كبيرة : فقد تم ابعاد حرس الحدود الالمان لئلا تثور الريبة فى نفس دارمون . ولكن بالقرب من الحدود كان اثنان من الفلاحين يعملان فى الحقول ، كانا مخبرين متنكرين بتوجيه ووجر .

وحضر دارمون فى الموعد المحدد ، ووقف على الحدود بالقرب من الحرس السويسرى . وحضر انسن كنال فى الموعد المحدد ايضا وحيا الكابتن الذى دخل الحدود الالمانية واقترب منه ، وتوقف على بعد عشر ياردات من الحدود وانتظر اقتراب كنال . وتقدم انسن وصافح الكابتن الذى اقترح ـ لسبب ما اجتياز الحدود السويسرية لشعور بعدم الاطمئنان فى الاراضى الالمانية والذهاب الى احدى الحانات . ولكن كنال اقترح السير فى الاتجاه المضاد . وفجأة ، التفت الكابتن دارمون ونظر اليه متشككا ثم تقدم نحو الحدود ، وعلى الفور القى الفلاحان الادوات من أيديهما .

واسرع الفلاحان نحو الفرنسى ، وكشف انسن عن شخصيته وأمسك دارمون من ذراعه ، ولكن الكابتن تخلص منه غير أن الفلاحين أنقضا عليه فدافع عن نفسه دفاع اليائس ، واستطاع المخبران أن يتغلبا عليه وهو على بعد ياردتين من الحدود ، فالقياه أرضا ووضعا القيود فى يديه .

وجرى تفتيش دارمون هناك فعثر فى حوزته على قائمة باسماء عملائه الرئيسيين فى ألمانيا ، وصدرت الاوامر برقيا فى ذلك اليوم باعتقالهم .

وفى مارس ١٩٢٤ أحيل الكابتن الى المحاكمة . وتولى الدفاع عنه ثلاثة من محامى ستوتجارت، وفى بداية المحاكمة رفض دارمون الادلاء بأية معلومات عن شخصيته ونشاطه . وكان الشهود فى المحاكمة هم العملاء الذين اعتقلوا وحوكموا وحكم عليهم بالسجن فترات طويلة .

ولم يعد باستطاعة دارمون أن ينفى طبيعة نشاطه ، فاعلن أن ووجر اعتقله فى أراضى سويسرا ، ولذا فان اعتقاله غير قانونى وهو انتهاك للقانون الدولى . وهنا وقف رئيس المحكمة ـ الذى كان رئيسا لمجلس الشيوخ وتلا تصريحا من الحكومة السويسرية يقول أن عملية القبض على دارمون تمت فى أراضى المانية تبعد ياردتين فى حدود سويسرا .

وعندما سمع دارمون هذا التأكد الذى لا يقبل الجدال ، اعلن أن مأمور البوليس أغراه بدخول أراضي المانيا · فأجاب رئيس المحكمة على ذلك قائلا أن لالمانيا الحق بالدفاع عن نفسها ضد التجسس الاجنبي ووصف النائب العام الكابتن دارمون المتهم بأنه مدير التجسس الفرنسى على ألمانيا ، وانه استخدم ستة وعشرين عميلا ، وكان نشاطه شديد الضرر بمصالح الامبراطورية الالمانية · ولا شك أن دارمون قام بواجبه كموظف لدى حكومته ، ولكن هذا ليس مبرراً له · وان عملاءه الالمان الذين خانوا وطنهم من أجل أموال سهلة المنال هم أسوأ الخونة · وان المتهم ضابط قام بأعمال جاسوس في سبيل بلاده وهذا عمل غير مشين · ولقد أصدرت المحاكم الفرنسية أحكاما بالسجن على ضباط المان قاموا بمثل هذا العمل · ومع ذلك ، فان المحاكم الالمانية لم تفكر باتخاذ أعمال انتقامية حيال هذه الاحكام · وفي الوقت نفسه ، فان هناك الاعمال تعتبر انتهاكا فاضحا للقانون الدولى الذى ينص على عقوبة رادعة ·

وصدر على الكابتن الفرنسي حكم بالسجن ١٢ عاما ، وأعلنت المحكمة عند اصدار الحكم أن دارمون اساء الى ألمانيا اساءة بالغة وكانت المانيا مجردة من السلاح ولكنها ليست ضعيفة ، ومن بين القوى التى لازالت لديها هي الاحتفاظ بقواتها المسلحة في حالة استعداد ومقدرة كي تحافظ على السلام والنظام داخل المانيا · وان الامبراطورية الالمانية بحاجة للدفاع عن نفسها عندما يتعرض نظام الجيش للخطر عن طريق اغراء افراد الجيش بالعمل كجواسيس على بلادهم ·

وكان اعتقال دارمون ضربة شديدة للسلطات الفرنسية التى فقدت به أكفأ الجواسيس · وهددت فرنسا باتخاذ اعمال انتقامية في المنطقة المحتلة مالم يطلق سراح دارمون ـ متجاهلة فى ذلك القانون الدولى · ومع أنه ثبت بالدليل القاطع أن دارمون جاسوس ، وانه كضابط فرنسى اجتاز حدود المانيا للقيام بنشاط عدوانى ، فان فرنسا نفذت تهديدها · فقد اعتقل الفرنسيون في دسلدروف الدكتور لينزبرج رئيس مجلس الشيوخ واحد قضاة المحكمة العليا ، ولما اضطروا الى اطلاق سراحهم بسبب مرضه اعتقلوا نائب عام اسن شوتز بلكوم · ورئيس المحكمة العليا فى بوخوم واحد كبار المسئولين فى جلسن كرتشن ـ فيدل سنات ·

ومضى وقت طويل قبل أن تطلق فرنسا سراح هؤلاء الثلاثة الذين اعتقلتهم كرهائن · وبعد ذلك ، صدر أمر بالافراج عن دارمون وطرده من المانيا ·

١٤

مارثى موررويل : التجسس بالبراشوت

اكتشفت فى سنة ١٩٢٠ حادثة تجسس فى باريس أثارت موجة إستياء لا مثيل لها فى الصحف الفرنسية وفى طول البلاد وعرضها لان المشتركين فيها كانوا سيدة وثلاثة رجال يعتقد بأنهم جواسيس ألمان . ومبعث الاستياء أنه ثبت بأن الجواسيس ليسوا من الالمان وانما عملاء انجليز كانوا يتجسسون على الاسرار العسكرية فى دولة صديقة لحساب الحكومة البريطانية وأعقب الاستياء دهشة واستغراب ، فقد حدث نزاع ديبلوماسى بين دولتين صديقتين ، ثم انتهت المشكلة لمصلحة العلاقات الودية بين البلدين التى تعكر صفوها نوعا ما بسبب الحادث .

وقد كان الهدف الرئيسى للتجسس البريطانى فى فرنسا هو الحصول على معلومات عن السلاح الجوى الفرنسى ، ولكن الحكومة الفرنسية حرصا على كتم المسألة لما قد يترتب عنها من عواقب سياسية وخيمة ـ أصدرت بيانا ذكرت فيه بأن المسألة أكذوبة ولا صحة لها .

وحقيقة المسألة التى كانت مصدر انزعاج للسلطات المعنية . هو كما يلى :

فقد عاش فى احدى مدن فرنسا الصغيرة بعد الحرب موظف محترم كانت مطالب زوجته وأولاده تشكل عبئا على دخله المتواضع . واسم هذا الموظف موررويل . وكانت له ابنة تدعى مارثى موررويل سببت له متاعب كبيرة ، وكانت متاعبه تزداد كلما كبرت الفتاة ، فقد كانت جميلة الى أبعد الحدود . وضاقت الفتاة ذرعا بحياة الضنك التى فرضها أبوها على العائلة وكانت شغوفة بالحياة ومباهجها ، وقد أدى تشدد أبيها الى آثار سيئة على شخصيتها ، فقد غدت الفتاة عاطفية بلا حساب . ولما بلغت الخامسة عشرة من عمرها غادرت بيت العائلة الى غير رجعة . ولما كانت تدرك أن أباها لن يتخلى عن سيطرته عليها أبدت رغبة فى دخول أحد الاديرة وصممت على

ان تصبح راهبة ، وفجأة وبلا انذار غدت الفتاة تقية ورعة الى أبعد الحدود وفى النهاية أقنعت أباها بأن يرسلها الى مدرسة دينيـة فوافق الاب على الفور على أساس أن هذه هى الطريقة المثلى للتخلص من فتاة سببت له كثيرا من القلق وبذلك أرسلت مارثى الى مدرسة دينية داخلية ، ظلت فيها ثلاثة أيام ثم فرت الى باريس ٠

وماذا تستطيع فتاة شابة جميلة أن تفعل فى باريس اذا لم تكن لديها نقود وتريد أن تتجنب العمل كخادمة ؟ والجواب على ذلك أنها تستطيع أن تصبح نموذجا لاحد الفنانين ٠ وهذا ما حدث ، واصبحت مارثى موديلا لاحد الفنانين ٠ وكتبت لابويها تخبرهما بأنها أصبحت فنانة ولكن الاب الذى كان يشك فى مؤهلات ابنته لاحتراف هذا العمـل ذهب الى باريس لاستعادة ابنته ، ولما وصل وجد أن ابنته قد انتقلت من العنـوان الذى أرسلت منه الرسالة ٠ وكانت مارثى قد غادرت باريس فى صحبة اثنين من الرسامين كانا يرسمان صورا لها من حين الى حين ، ثم تجولت فى أنحاء فرنسا ، وأخيرا فشل الاب فى العثور عليها فعادت الى قريته حيث كانت تصل بطاقات بريدية عليها صورة الابنة مما يشير الى أنها كانت لا زالت على قيد الحياة ٠

وابتهجت مارثى بهذه الحياة الى أن انتشرت شائعات بين الرسامين فى باريس تقول أن الموديل مارثى قد اعتراها شذوذ خطـير ، وأثقلت على الرسامين الى حد أصبح من العسير التخلص منها ، وفى النهـاية وجدت مارثى نفسها فى موقف حرج لان الرسامين رفضوا التعامل معها ٠ وحاولت مارثى طرق أبواب العمل المختلفة فعملت ممرضة لدى الدكتور رابينوفتش فى نويلى وأخطرت أبويها بأنها تدرس الطب ، ولكنها ضاقت ذرعا بالتمريض وبدأت ترتاد الحانات والمقاهى فى العاصمة ٠ وبينما كانت تجلس فى احدى المقاهى ذات يوم ، جلس بجوارها رجل وقور متقدم فى السن ــ يبدو عليه أنه أرستقراطى ٠ وظهر على الرجل أنه ينتظر شيئا أو شـــخصا ما ، وتصفح جميع الصحف ثم وضعها جانبا ٠ ورأت مارثى أنها قد تساعده فى تمضية الوقت ٠ وانخرط الاثنان فى حديث ظهر على أثره أن الرجل العجوز أبدى اهتماما بمعرفته لمارثى التى راحت تعامله كأب واعترفت له

بمتاعبها المالية وروت له قصتها ولما فرغت من ذلك قالت له انها لا تعرف ما تفعل بعد ذلك • وخلال الحديث ظهر أن الغريب له مبادىء أخلاقيـة شديدة ، وقال انه يرى بأن على كل انسان أن يحترف عملا شريفا ثم سأل الفتاة عن نوع العمل الذى يعجبها • فلم تتردد الفتاة وقالت انهـا تحب أن تكون ممثلة كبير وهى تتمنى لو أتيحت لها الوسـائل للظهور أمـام الجمهور • وقال الرجل انه يستطيع مساعدتها فى ذلك وضرب لها موعدا فى المقهى فى اليوم التالى • واقترح عليها فى المقابلة الثانية بأن تكسب معيشتها من القيام بألعاب بهلوانية بالبراشوت وكان هذا العمل مدة عشر سنوات يعتبر خطيرا لذلك كانت أجرته كبيرة •

وقبلت مارثى موروبل هذا الاقتراح واجتمعت بالرجل المذكور عدة مرات بعد ذلك • وذهب معها الى مصايف جميلة ثم قال لها ان عملهـا الجديد سيدر عليها مبالغ كبيرة من المال تستطيع بموجبها أن تعيش حياة ترف • وطلبت منه مارثى أن يوضح لها الامر أكثر من ذلك • وعلمت أن صديقها الجديد شخص ذو مؤهلات ومصالح شتى وأنه يهتم بعدد الطائرات الفرنسية وقوة أسراب الطائرات وتشكيلها ومواقع المطارات ومحطـات اللاسلكى التى تتصل بالطائرات ولم يكن من العسير اقناع مارثى بقبول هذه المهمة • وأصبحت « بهلوانة » ، وحصلت على براشوت متين استورد من بريطانيا • واستأجر الصديق طائرة خاصة هبطت منها مارثى بالمظلة لاول مرة وبعد أن سيطرت الفتاة على خوفها هبطت الى الارض بأمان • وتعدد هبوط مارثى بالمظلة خلال الاسبوع التالى حتى فقدت رهبة الموقف ثم أرسلت الى أبويها بطاقة بريدية أخبرتهما بأنها أصبحت مظلية •

وبعد هذه الفترة ، اتخذت واجباتها طابع الجدية والعمل • فقد عثر لها صديقها ـ الذى لم يخبرها باسمه ـ على عمل فى شركة أجهزة اللاسلكى فى شارع دى سورين قرب مادلين • وفى الصـباح دخلت مارثى مركز الشركة فوجدت صاحبها يتحدث مع شخصين آخرين • وكان المحـل ذا طابع غريب فقد كانت هناك صالة كبيرة للعرض فيها عدد كبير من أجهزة اللاسلكى ، وخلف الصالة المكاتب وغرف المؤتمرات • وظهر أن هـذين الشخصين انجليزيان •

وكان اسم صديق مارثى ويليام فيشر وهو بولندى الاصل استوطن انجلترا وأصبح عميلا للمخابرات البريطانية ، وأما مدير الشركة فاسمه هنرى ليدز يقول عن نفسه أنه مهندس ولكنه فى الواقع أحد ضباط الجيش البريطانى • وكان ليدز مديرا للشركة وفيليبس أمين المكتبة وفيشر عامل يتولى لف البضائع وتسليمها للزبائن • وبالرغم من اختلاف مراكز هؤلاء الثلاثة فانهم كانوا يرتدون ملابس أنيقة ويعاملون بعضهم البعض دون تمييز •

وفى ذلك الصباح اطلعت مارثى موريول على الحقيقة • فقد أخبرها أصحاب الشركة أنهم على استعداد لان يعطوها مرتبا شهريا قدره ألفا ومائتى فرنكا مع جميع النفقات اذا قامت بزيارة جميع مطارات فرنسا متنكرة فى زى البهلوانة التى تستخدم الباراشوت من أجل الحصول على معلومات وفقا لما يصلها من تعليمات • وزودت مارثى بآلات تصوير ممتازة تحملها أثناء جولاتها ، وجرى اختبارها فحظيت برضا رؤسائها • وكانت عندما يطلب منها الحصول على معلومات عن قوة الطيران وأسرار أخرى تلجأ الى أساليب الجاسوسات المضادة فكانت توطد علاقاتها بعدد من الضباط الطيارين وتقضى الليل فى منازلهم وتسرق بعض الكتب والاوامر وغيرها من الوثائق الرسمية التى يمكن أن تصل اليها يدها • وأوصلت هذه الاشياء الى الشركة وحصلت على نظير أتعابها •

وفى سانت نازير كان الجيش يريد اختبار احدى الطائرات المائية الجديدة فذهبت مارثى الى هناك وصورت ما استطاعت تصويره • ثم أرسلت الى بوردو لتطلع على مستودعات البنزين والزيوت الخاصة بالطيران وفى عرض للطيران فى بوردو قامت بعرضها المعتاد بالبراشوت ولكنها وراء هذا العرض الذى لم يثر الشكوك التقطت صورا لمراكز تموين الطائرات المائية كما صورت مطارات جورى ، هيريس وسانت رافائيل بنفس الطريقة • وكانت مارثى تخفى آلة التصوير فى بطانة ثوبها • ومنعا لاثارة الشكوك أصبحت لا تعود الى باريس الا نادرا وكانت تنزل فى بنسيونات وتتلقى التعليمات بواسطة البريد من المستر ليدز • وكان هذا يرسل لها مظاريف بيضاء اذا وضعت عليها مادة سائلة أمكن قراءة ما فيها

وفى الريفيرا الفرنسية ، تلقت مارثى رسالة بالبريد ، ولما قرأتها علمت أنها فى خطر وأن أصدقاءها فى شركة أجهزة اللاسلكى هم موضوع مراقبة كأشخاص يقومون بالتجسس وأنها هى أيضا أثارت انتباه السلطات فغادرت مارثى الريفيرا فورا على أمل أن تهرب بالسفر الى باريس ومنها الى كاليه ثم دوفر . وكان لا بد لها من الاتصال برؤسائها للحصول على مزيد من المال اذ لم يكن معها سوى ثمن التذكرة للسفر الى باريس آنذاك . وفى القطار اخرجت أوراقها وأتلفت ما قد يثير الريبة قبل الوصول الى آفنيون . وعثر أحد موظفى السكة الحديد على قطع الورق التى مزقتها مارثى وأسرع الى أقرب محطة لانه أدرك بان الوثائق تتعلق بأسرار عسكرية وكان على علم بمثل هذه الامور لانه كان جاويشا ابان الحرب . وفى المحطة كان بعض ضباط الجيش وتوجه الموظف اليهم وأخبرهم بما عثر عليه ولحسن الحظ كان بينهم ضابط فى المخابرات الفرنسية .

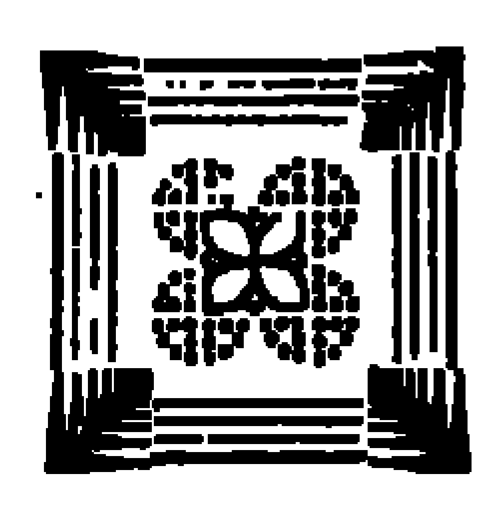
وكان هذا الضابط يعلم أن هناك فتاة باسم مارثى موروبل متهمة بالتجسس . وعثر بين الوثائق على فاتورة أحد الفنادق تحمل اسمها ورأى بين الوثائق ما يتعلق بأسرار حربية فذهب الى أقرب تليفون وحذر مخابرات باريس وعندما نزلت مارثى من القطار قبض عليها . ولم تسبب الفتاة للبوليس أية متاعب فاعترفت بكل شىء فورا وأعطتهم أسماء شركائها وهز ضابط البوليس الذى تولى التحقيق معها لانه لم يسبق له أن رأى جاسوسا من هذا النوع أصر على افشاء أسرار شركائه ، وبعد أن أفضت الفتاة بكل ما لديها نقلت الى المعتقل وفحصها طبيب السجن واستدعى ضابط الحرس وأخبره أن المريضة مصابة بحالة هستيرية غريبة وطلبت مارثى قلما وورقا وكتبت لابويها تخبرهما أنها انخرطت فى السياسة واعتقلت بصورة مؤقتة لانها أحبطت خطط أحد كبار رجال السياسة .

وألقى القبض على الجواسيس الانجليز الثلاثة ، وجرى تفتيش منازلهم دون العثور على وثيقة تدينهم . وأوفدت المخابرات الفرنسية أحد عملائها الى لندن فنجح هذا فى معرفة أن اثنين من الثلاثة جنود عاملون بينما الثالث عميل سرى . وجاءت الشهادة ضد الانجليز الثلاثة من صاحب احدى الحانات الذى قال ان ليدز مدير شركة أجهزة اللاسلكى كان يتلقى رسائله

على عنوان الحانة وليس الشركة • وكانت هناك أسماء كثير من الاشخاص ترسل باسمهم رسائل الى الحانة وكان ليدز يتسلم جميع هذه الرسائل ولم يعترف الجواسيس الثلاثة بشيء وأنكروا قيامهم بنشاط تجسس ولكنهم اعترفوا بأنهم كانوا ضباطا فى الجيش وأحدهم من المخـــابرات ، وجاء الاعتراف عندما ووجهوا بحقائق لا سبيل الى انكارها •

وتقرر وضع هذه المسألة فى طى النسيان لانها تسىء الى البلدين • وكانت مارثى موروبل حجر عثرة فى هذا السبيل • فقد كانت لديهـــا رغبة أكيدة فى الاعتراف بنشاطها وكتابة مجلدات عن هـــذه العملية • وعندما توجهت مارثى الى المحكمة شاهدت بعض الصحفيين الباريسيـين فنادتهم قائلة : لا تكتبوا كثيرا عن قضيتى الكبرى بحيث لا يســـتطيع المشتركين فيها أن يفلتوا •

وتعقدت المسألة كثيرا • ولما أفرج عن مارثى طافت بالصحف الفرنسية الباريسية وحصلت على نسخ من الصحف التى جاء فيهـــا ذكرها ، ثم أرسلت الجميع فى رسالة الى أبويها دليلا على عملها الذى كانت تعمل فيــه دون ما تقدير لآراء الوالدين فى هذا !!




Bibliotheca Alexandrina
04403637